سلافة النديم

في منتخبات

السيد عبد الله النديم

(جمع شقيقه عبد الفتاح نديم)

(طبع بالمطبعة الجامعة بمصر على نفقة شقيقه)

سنة ١٣١٤ - ١٨٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفصحت آياته عن بديع حكمته * ودلت آلاؤه على عظيم نعمته * فنطق بحمده لسان الوجود * واعترف بفضله كل موجود * وصلى الله على سيدنا محمد خير من أدب وعلم * وعلى آله وأصحابه وسلم * وبعد فهذا ما تيسر جمعه بعد بذل الجهد وطول العناء وتكبد المشاق من منتخبات فقيد العلم والوطن السيد عبد الله النديم وهو وان كان ليس بالشيء القليل الا انه كنقطة من بحر في جانب ماجادت به أفكاره السامية من الاشعار البليغة والرسائل الادبية البديعة مما لعبت بأكثره أيدي الضياع كما يعلم ذلك من ترجمة حياته المدونة في صدر هذا الكتاب وقد اعتنيت بجمع هذه المنتخبات ودعوتها « سلافة النديم » تخليداً لذكر الفقيد وان كانت اعماله العظيمة قد تكفلت له بذلك واعترافاً بما له من الفضل والمنة

وتنقسم هذه المجموعة الى خمسة أقسام القسم الاول منتخبات الرسائل الادبية والثاني منتخبات « التنكيت والتبكيت » والثالث منتخبات « الاستاذ » والرابع منتخبات علمية والخامس منتخبات متفرقة وبالله التوفيق ومنه الاعانة



ترجمة فقيد مصر السيد عبد الله النديم

بقلم صديقه الكاتب الشهير أحمد افندي سمير

هو الاديب الكاتب الشاعر الناثر الخطيب السياسي المشهور عبد الله بن مصباح بن ابراهيم وينتهي نسبه الى ادريس الاكبر من أسباط الحسن بن علي بن أبي طالب . ولد رحمه الله بالاسكندرية سنة احدى وستين ومائتين وألف من التاريخ الهجري (= ١٨٤٣) فحفظ القرآن الكريم واتمه قبل أن يبلغ التاسعة من عمره وكان أبوه وسطاً في اليسار غاية في مكارم الاخلاق فلما راى مخايل النجابة بادية عليه أدخله المدرسة الدينية الكبرى الشهيرة باسم « جامع الشيخ ابراهيم باشا » فحضر دروس أكابر الاشياخ كالشيخ محمد جاد شيخ الشافعية بالاسكندرية اذ ذاك والشيخ ابراهيم السرسي والشيخ ابراهيم الشافعي والشيخ خفاجة والشيخ محمد العشري وبه انتفع وعليه تخرج فأتقن فقه الشافعي والاصول والمنطق وعلوم الادب اللسانية وبلغ منها ما لم يبلغه أحد قبله وذلك كله وهو في سن المراهقة . وحينئذ بزغت شمس حياته الادبية من آفاق الفضل فاخذ يقول الشعر الرقيق والنثر المسجوع المحكم هبة من الله لا نقلاً عن أحد فما لبث ان سارت الامثال ببدائع آدابه وتسابق بلغاء الكتاب والشعراء الى مطارحته بألسنة الترسل . وكانت الكتابة الى ذلك العهد قاصرة على

هذه الصورة الفطوغرافية مستعارة من ادارة مجلة الهلال الاغر

السجع لا يعرف أحد من الادباء غيره حتى في المحررات العامة تقليداً للاعاجم الذين لو تأمل العربي لجزع حسرة وأسفاً على ان لغته لم تصل اليه الا بواسطة أولئك القوم اذ اضطرتهم بلاغة القرآن الكريم لاتقانها درساً وبحثاً وتأليفاً فوضعوا فيها ما وضعوا من الكتب التي لا زالت تشهد بفضلهم على تعاقب الاجيال فخلف من بعدهم خلف مشوا وراءهم خطوة خطوة متابعين لهم في الاسجاع وما وضعوا من المحسنات البديعية وكانت نتيجة ذلك ان بقيت الكتابة العربية أكثر من عشرة قرون على حالها الاولى يجاري فيها الخالف السالف حتى كانت كأنها ضرب من الالغاز او الطلاسم لا يصل اليها الا من صرف نفيس عمره في حفظ المقامات المسجوعة والرسائل المنمقة بالتجانيس والالفاظ المترادفة الا من عصم ربك وقليل ما هم

فلما انتظم المترجم في عقد أهليها جاراهم أولاً في طريقتهم ثم ما لبث ان برز عليهم وزاد بابتكار أساليب جديدة في الانشاء فاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين ان يلحقوا له في مضمارها غباراً تشهد بذلك رسائله الادبية ومؤلفاته التي تبلغ نحو مائة مؤلف في فنون مختلفة فقد أكثرها سرقة او اغتصاباً او رمياً في مياه النيل على ما ستحققه في غير هذا المكان

ولقد بدت على المترجم منذ ترعرع دلائل الجراءة والاقدام وركوب الاخطار والاهوال ومعاناة الشدائد والخطوب سعياً وراء المعالي وحباً لظهور الحق في عالم المشاهير من الرجال وقد رأى ان ذلك لا ينال عفواً ومن خطب الحسناء لم يغله المهر . فكان اول ما بدأ به من تلك المطالب المعجزة ان نظر في الوجود نظرة باحث مدقق فتبين ان الاشتغال بالعلم ربما عاقه عن بلوغ مقصده فتظاهر بترك الظاهر العلمي وطلب تعلم صناعة التلغراف ليقف بواسطتها على أسرار الامم في مخابراتها والممالك في سياساتها حتى يتيسر له المقابلة بين أحوال بلاده وغيرها من الممالك البعيدة لعله يقدر على اصلاح الفاسد وتقويم المعوج . ولم يكن للجرائد اليومية اذ ذاك وجود فدفعته قوة ذكائه الفطري البالغ حد الاعجاز الى تعلم تلك الصناعة بخصوصها فأتقنها في أقل مما يتصور من الزمن كأن الكهرباء لم توجد الا لتكون مزاحمة لخاطره في السرعة فلم يمض عليه بضعة أسابيع حتى استخدم تلغرافيا (= او تلغرافجياً) في مكاتب مختلفة أهمها مكتب تلغراف القصر العالي الخاص على عهد عزيز مصر المغفور له اسماعيل باشا الخديو الاسبق

ومع ذلك لم تكن وفرة الاعمال عائقة له عن التحصيل اذ كان ينتظر نوبة فراغه من العمل فيمضي الى الجامع الازهر ويطالع مع بعض رفاق شبيبته الدروس التي كانوا يشتغلون بها . وأخص من بين هؤلاء الرفاق امام البلغاء وحجة اللغويين في هذا العصر المولى الفاضل السيد السند الثبت الحجة الثقة صديقنا العلامة الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية بنظارة المعارف المصرية حالاً فلقد أخبرني المترجم انهما كان تربين لا يفترقان لدى المطالعة كأنما هي جذيمة وهما النديمان

ثم طرأ من الحوادث التي لا يخلو من مثلها وقت ما أوجب انفصاله عن الخدمة فاتصل بكثير من المقربين والعظماء كالمغفور له شاهين باشا كنج وغيره من وجوه القطر وأعيانه فكانت له لديهم مجالس مشهودة حضرها أفاضل الشعراء والمنشئين وناظروه وطارحوه في أساليب متنوعة وفنون متعددة من النظم والنثر فظفر بهم جميعاً حتى كانوا لديه كالراعي لدى جرير او كالخوارزمي امام بديع

الزمان فاعترفوا له بالسبق وهم مابين طائع وكاره

اذكر له من ذلك انه حضر اجتماعاً حافلا لدى شاهين باشا تحامل عليه فيه كل القوم فاقترح بعضهم عليه انشاء قصيدة يعارض بها دالية المتنبي المشهورة التي مطلعها

أقل فعالي بله أكثره مجد * وذا الجد فيه نلت او لم أنل جد

وقال انه لايتأتى لشاعر ان يعارض قوله في هذه القصيدة

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدواً له مامن صداقته بد

فغضب المترجم وأمسك القلم وانشأ قصيدته الدالية التي أولها

سيوف الثنا تصدا ومقولي الغمد * ومن سار في نصري تكفله الحمد

الى ان قال معارضاً ذلك البيت الذي ظنه المتعنت معجزاً

ومن عجب الايام شهم أخو حجا * يعارضه غر ويفحمه وغد

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما * لتحفظ اعراض تكفلها المجد

وأردفهما بخمسة أبيات على شاكلتهما ولكن لم يبق غيرهما في محفوظي لاني انما سمعتها منه سماعاً سنة احدى وثمانين وثمانمائة وألف فأفحم المعارض وأبلس ولم يدر كيف يقول

ومن غرائب بداهته ماجرى له في طنطا مع جماعة المكدين المعروفين « بالادباتية » وهي منشورة في العدد الـ ٤١ من الاستاذ

واعرف له من هذا القبيل اشياء كثيرة لو كنت أعلم اني أنا الذي سأكتب ترجمة حياته لطلبتها منه وحافظت عليها حتى يرى القارئون منها مالم يكن يخطر لهم على بال

ثم اختار المترجم ان يقصد المنصورة ترويحاً للنفس فمضى اليها وراى ان التجارة خير رياضة له فأنشأ هنالك متجراً ملآن بكثير من أنواع السلع الغالية فراج سوق بضاعته رواج آدابه ولكن تغلب كرمه الحاتمي على رأس المال والربح ففقدهما جميعاً وكان بيته ومتجره في تلك الأثناء كلاهما كعبة يحج اليها من رجال الادب من استطاع الى الحذق سبيلا فكانوا يتحدثون بمعجز رسائله ومحرراته نظماً ونثراً ولا يزال كثير من بلغائهم يباهي بما يحفظ منها في الاندية والمجتمعات

ولما رأى ان الغربة كربة حبب اليه الرجوع الى مظهر وجوده ودار مولده الاسكندرية فعاد اليها أوائل سنة ١٨٧٩ وهنالك أخذت شمس حياته السياسية تبدو ليستضيء بها الوجود المصري وكان اول سعيه في هذا السبيل ان اجتمع ببعض أصدقائه المخلصين ممن يتحقق فيهم حب البلاد والميل الى اعلاء شأنها بالوسائل الشريفة وهما أثنان من مؤسسي جمعية مصر الفتاة أحدهما نائب رئيسها والثاني كاتم أسرارها فتعرف منهما ليلة اجتماعه بهما بالمأسوف عليهما أديب أفندي اسحق وسليم افندي النقاش صاحبي جريدتي مصر والتجارة كما تعرف بكثير من أعضاء هذه الجمعية فكان ذلك بدء حياته السياسية وشرع في بث أفكاره السامية بما كان ينشره في تينك الجريدتين معزوا الى أقلام محرريهما ثم لما رأى ان جمعية مصر الفتاة (وكانت في بدء نشأتها) جمعية سرية يخشى عليها من غوائل الحكومة في ذلك العهد أقنع هذين الصديقين بالانفصال منها فانفصلا وتبعهما كثير من أعضائها ثم ذاكرهما في انشاء جمعية علنية تسعى فيما يعود على الوطن وأهله بالمنفعة الحقيقية فاستصوبا رأيه . ومنذ

ذلك العهد شرع في تأليف قلوب أهل الثغر وجمع كلمتهم علماً بان المرء قليل بنفسه كثير باخوانه وقد تم له ماأراد بعد مصاعب هائلة ومشاق لاتحتمل فتألفت الجمعية الخيرية الاسلامية وذلك في أواخر ولاية المغفور له اسمعيل باشا والاستبداد قد بلغ أشده والظلم جاوز حده والقلوب واجفة والافكار مضطربة وقد خرست الالسنة وغلت الايدي الى الاعناق واشتغل كل امرئ بنفسه فاصبح خائفاً يترقب زوال نعمته او نهاية محنته حتى دنت ساعة الفرج فلم تشعر الامة المصرية الا بالعزيز الكريم المرحوم محمد توفيق باشا جالساً على سرير الملك فقرت العيون وهدأت الافكار فقام المترجم يثبت دعائم دعوته ويبث في الاذهان فوائد الاجتماع بلسان طلق وعبارة هي السكر لولا انها تذيب ولا تذوب فبرزت الجمعية الخيرية بمساعيه في ثوب الائتلاف وتسارع أعيان الثغر ووجهاؤه للانتظام في سلكها عن طيب خاطر وسرور نفس وكانت هي اول جمعية اسلامية أسست في القطر المصري من لدن عام الفتح الى الآن

ولم يكن لها مقصد سياسي قط وانما كانت ترمي الى غرض واحد شريف وهو تربية الناشئة وبث روح المعارف فيهم لترقية أفكارهم وتطهير أخلاقهم من دنس الجهالة التي ليس للامم داء سواها على ما اوضحه المترجم في خطابه الطنان الرنان الذي القاه يوم الاحتفال بافتتاح تلك الجمعيـة ولم يزل صداه في الآذان والاذهان مسموعاً محفوظاً

انشأت هذه الجمعية مدرستها العظيمة لتعليم الايتام وابناء الفقراء مجاناً فسعى المترجم جهده حتى أكسبها عناية أمير البلاد فجعلها تحت رآسة ولي عهده ووريث تاجه اذ ذاك وهو خديونا الحالي اطال الله عمره فكان ذلك ادعى لنشاط رجالها وزيادة اهتمامهم فوسعوا دائرة المدرسة واستحضروا لها فضلاء المعلمين من العرب والافرنج وأقاموا المترجم مديراً لها فوضع لها أساساً (= بروغراماً) محكماً وأخذ على عهدته تعليم الانشاء وعلوم الادب فنمت وعظمت وبلغ عدد الطلاب بها أكثر من ثلثمائة طالب في زمن وجيز ورتبت لها نظارة المعارف ٢٥٠ جنيه في كل عام

فلما رأى المترجم ان غرسه قد كاد يثمر استرحم المغفور له الخديو السابق ان ينعم على الجمعية بالمدرسة البحرية لاتساعها وجودة موقعها فاجابه الى ماطلب

ولقد بلغت هذه المدرسة من الشهرة وبعد الصيت على قصر المدة مالم يبلغه غيرها في ازمان وحضر المرحوم توفيق باشا مرة امتحانها العامّ في يوم مشهود كان يسأل فيه رحمه الله بعض التلامذة بنفسه فسر من اجابتهم ونجابتهم سروراً بدت على أسرّة وجهه لوائحه . فاغتنم المترجم هذه الفرصة واستعطف مقامه الكريم ان يضيف الى منته القديمة منة أخرى وهي السماح بزيارة صاحب السمو الملكي ولي العهد (أميرنا الآن) ودولة شقيقه المدرسة تنشيطاً للطلبة وتكرمة لرجال الجمعية فتفضل بالقبول فما لبث ان حضر الاميران تتقدمهما المهابة ويحف بهما الوقار فجلسا في مجلس خاص مزين بالاعلام وبدائع الزهور وتقدم نفر من نجباء التلامذة فوقفوا بين أيديهما وألقوا ثمانية وعشرين مقالاً مختصراً نظماً ونثراً أغلبها من انشاء المترجم ثم انصرف الاميران في ابهة ملكهما مودعين بالابصار والقلوب فزادت بذلك المدرسة شهرة على شهرتها التي اوصلها المترجم اليها بما كان يعوّد التلامذة عليه من الخطب والمقالات المؤثرة في النفوس فيعقد لذلك حفلات عامة في بهرة المدرسة يحضرها كبار القوم وسراتهم

فيسمعون

فيسمعون المطرب والمغرب منه ومن تلامذته ثم ينصرفون ولا حديث لهم الا تفاهم ما سمعوا من تلك العبارات الآخذة بمجامع القلوب انشاءً والقاء . وكان مراده بذلك تدريب الناشئة وتمرينهم على أساليب الخطابة والجدل من جهة وبث روح الغيرة والنخوة في أفكارهم من أخرى ليتمكنوا اذا بلغوا مبلغ الرجال من أداء مقاصدهم بلا حياء ولا خجل لان الامة كانت لا تزال في أشد الحاجة الى ذلك بسبب ما قضى به ضغط الحكام السابقين على اذهانها من الجبن والخمول حتى ان أعظم عظيم فيهم كان لا يقدر ان يحدث نفسه في سرير نومه بشيء من دواعي الاصلاح خوفاً من الطيف ان ينم عليه كأنما كل مصري كان هو المقصود بقول أبي الطيب :

اذا رای غير شيء ظنه رجلا

ولهذا الغرض بعينه اختار المترجم ان يمثل بالاسكندرية في الملهى الاكبر (تياترو زيزينيا) حالة البلاد وكيف يكون الوصول الى الشهامة والمروءة فأنشأ روايتيه المشهورتين باسم «الوطن» و «العرب» ومثلهما هو وتلامذته في ذلك الملهى بحضرة ساكن الجنان الخديو السابق فكان لهما في نفسه من حسن الوقع ما بعثه على ان يدفع من ماله الخاص مائة جنيه مساعدة للجمعية التي لمدرستها مدير كالمترجم يعرف كيف يتلطف في اداء المقاصد العائدة على الوطن وبنيه بالنفع العام .

غير ان هذه المقدمة جاءت بنتيجة لم تكن في حسبان عاقل اذ ظن جماعة من سفهاء الاحلام ان في شهرة النديم ضياعاً لصيتهم وحطا من كرامتهم فأجمعوا أمرهم وائتمروا على الايقاع به شيمة كل ختال ختور مناع للخير معتد أثيم وقد ساعدهم بعض كبار الحكام في ذلك الوقت وكان هو الرئيس العامل للجمعية فدعا الاعضاء للاجتماع في ليلة استمدت من آراء المنافقين ظلامها وغاب فيها الرشد عن العقول فهمس بعضهم في آذان بعض وظهر ذلك الكبير بمظهر عدو ألد للنديم فطلب من الجمعية تقرير فصله من ادارة المدرسة والعضوية جميعاً وكان المترجم قد أحس بالمكيدة قبيل ذلك بأيام فكتب الى الجمعية كتاباً يستعفي به من الادارة والعضوية بعبارة ترقص الالباب طرباً ببلاغتها وقوة حجتها فأبرزه الرئيس وتلاه على الجمعية واتخذه من ضمن الاسباب التي ينقم بها على النديم . وكان الحاضرون تلك الليلة مرغمين على الخضوع لامر الرئيس اذ انه كان من أذناب دولة الاستبداد فأمر باغلاق الابواب وكتب وافضيحتاه كتاباً كله هذر وهذيان وضلال وافتراء مبين وتطويل بارد خلاصته ان النديم لايليق ان يكون عضواً في الجمعية او مديراً لمدرستها — مع انها غرس يديه — وكتبوا منه عدة صور ودارت الزبانية على الحاضرين تطلب التوقيع على ذلك الكتاب الذي سموه منشوراً . ثم انفض الحفل فمضيت الى المترجم وحدثته بكل ما جرى فلم يتأثر بل قال «لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون»

وقد كان قبل هذه الحادثة بشهور ترك الكتابة الادبية واشتغل بالتحرير السياسي على الاسلوب الحديث بلا سجع ولا تقفية فكان يحرر جريدتي « المحروسة » و « العصر الجديد » اللتين صرح للماسوف عليه سليم افندي النقاش باصدارهما عقيب الغاء «التجارة ومصر» وابعاد فقيد سورية أديب افندي اسحق الى خارج مصر فجاء فيهما بالمعجب والمطرب من غير تكلف قط حتى كان من شاهده لا يظن الا انه ناسخ يرسم ما يحفظه .

وما زال مستمراً على كتابتهما احتساباً الى ان استدعى صاحبهما من بيروت بالكاتبين الفاضلين

سليم افندي عباس وفضل الله افندي الخوري فترك لهما أمر هاتين الجريدتين وأنشأ « التنكيت والتبكيت » وهي جريدة أسبوعية ظاهرها هزل وباطنها جدّ وحقيقتها حكمة وتهذيب فاقتصر عليها وأودعها من الآيات البينات ما لم يسبقه أحد من كتاب العرب اليه ولن يقدر غيره على مجاراته فيه

ثم استبدل هذه الجريدة بالطائف على ماقضت به المناسبات الزمانية وذلك قبيل الثورة العرابية وكانت جريدة سياسية محضة بلغت من الشهرة ما لم تبلغه جريدة قبلها و آتاه الله فيها من التأثير على الافكار ما لم يؤت أحداً من العالمين . ثم اغتصبها منه أمراء الجند ولم يدعوا له منها غير الاسم فكانوا يحررون فيها ما يشاؤون دون ان يقدر على رد أمر واحد منهم حتى انطفأت جمرة تلك الثورة المشؤومة فاختفى

وهنا يقف قلمي ويضيق صدري ولا ينطلق لساني لو أردت بيان الدواعي الحقيقية التي اضطرته للانضمام الى القائمين بأمر تلك الثورة وكنت أودّ ان يبقى ذلك سراً مكتوماً حتى عن نفسي فما كل ما يعلم يقال ولكن ليس من الحزم كتمان أمر مثل هـذا من أهم ما تضمنه تاريخ حياته فاسمع ان شئت والا فلك الخيار

كان النديم ميالاً بفطرته الى الظهور في عالم الادباء بمظهر الخادم لابناء وطنه وملته فاخذ يخطب بذلك على ملا الاشهاد ارتجالا في كل ناد ومحتفل بصوت جهوري ولسان أمضى من الحسام وقلب أجرأ من الاسد . ويعلم الله اني ما رأيت عمري أخطب منه على كثرة من سمعت في الشرق والغرب من كبار الخطباء الذين تضرب ببلاغتهم وقوة براهينهم الامثال . فلما ناصبته الجمعية الاسلامية العداوة وقلبت له ظهر المجن غادر الاسكندرية واتخذ القاهرة دار هجرة ومقام وكان اسمه قد اشتهر وفضله ظهر وبهر فظن ان الهيئة الحاكمة تحفظ له ذلك ولكن ما لبث ان تبين فساد ظنه اذ ان تلك الهيئة تركت أبناء البلاد عموماً وبعثت فاستدعت برجل من غير المصريين مبعد الى بلاده فقلدته منصباً خطيراً ثم عرضت على المترجم وظيفة أقل من تلك في الاعتبار المعنوي ولو ان مرتبهما واحد فأبت نفسه الا الاباء حيث تيقن ان في تفضيل غيره عليه بعض التفضيل امتهاناً لقدره فاسرّها في نفسه ولم يبدها لهم وصادف ان أخذت نيران الثورة تبدو من خلل الرماد فاصابت منـه هوى في الفؤاد فتمكنت لا حبا في الهيجان ولا شقا لعصا الطاعة ولكن لكونه سمع رجالاً تنادي بطلب الاصلاح وتعقد الاجتماعات العلنية لذلك مجاهرة بمقاصدها في أهم الصحف الخبرية المتداولة عربية وغير عربية حتى اتفقت كلمة الباحثين على ان فى مصر حزباً وطنياً لاهمّ له الا السير بالبلاد في سبيل الحضارة والمدنية وانتشالها من وهدة الخراب التي ألقاها فيها الحكام السالفون ولم يستطع أحد من أهل الشرق والغرب انكار هذا القول البتة.فكانت رسل الحزب العسكري تتردد على المترجم ورؤساؤه يكرمونه ويعظمونه والقوة كلها في قبضة ايمانهم وتحت تصرف سيوفهم وكل ميال للسلم في اعتقادهم عدو للبلاد مبين فما زالوا به حتى انضمّ اليهم رغم ارادته فوسموه بخطيب الحزب الوطني واتخذوا جريدته مجالا لاقلام الكثير منهم ومظهراً لافكارهم ولكنه كان يتأفف سراً من وقوعه في تلك الورطة فاذا خلا باحد من اخصائه اظهر له حقيقة مايضمره .

سمعته مرة في غرفة نومه حيث لاثالث بيننا يقول مامعناه ان البلاد قد ضاعت بتهوّر رؤساء

الجند الذين خدعونا في مبدا الحادثة وأوهمونا ان لاخوف من العاقبة ولا فزع فانما هي أقوال تضرب باقوال وقد اعتاد الاجانب ان يبلغوا منا ما أرادوا بالتهديد والايهام فنحن انما نقابلهم بالمثل والا فهم اعقل بكثير من ان يقصدوا محاربتنا فعلا ولكن وجداني الآن يحدثني بفساد هذه المزاعم فلقد تفاقم الخطب واشتدت النازلة وظني ان الحرب واقعة ولابد فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انه ليس لنا اليوم الا ان نبقى مسيرين لامخيرين فقد ملئت الكاس ولا بد من شربها

ولم يمض أكثر من اسبوعين على هـذه المحادثة حتى زلزلت الارض زلزالها وهاجت القاهرة وماجت اذ حمل البرق الينا من الاسكندرية أخبار ضرب الانكليز لها في الحادي عشر من شهر يوليوسنة ١٨٨٢ وانتشاب الحرب بينهم وبين عرابي فقام المترجم مع محمود باشا سامي البارودي وغيره من رؤساء الجند المتخلفين الى الاسكندرية فوجدوا الجيش المصري يتأهب لمغادرتها الى كفر الدوار بعد ان صارت معالمها دوارس فبانا (هو وسامي) في منزل المترجم ولحقوا جميعاً بزعيم الثورة فاقام المترجم معه حتى كان ماكان من انتقال الجنود الانكليزية بحراً الى بور سعيد فالاسمعيلية ومحاربتهم المصريين في نفيشة والقصاصين والمحسمة فانتقل عرابي الى التل الكبير ومعه المترجم . فلما وقعت تلك الالعوبة المضحكة المبكية المسماة بواقعة التل الكبير فرّ عرابي وأخوه وعلى الروبي وتبعهم المترجم وذلك في الخامس عشر من شهر سبتمبر سـنة ١٨٨٢ وقت السحر فحضروا الى القاهرة في الساعة الرابعة بعد الظهر وقصدوا في الحال قصر النيل مركز نظارة الحربية اذ ذاك وكنت هناك وقتها فرأيتهم في منظر لايسر فقصدت المترجم واستخبرته الخبر فاخبرني ان الانكليز استولوا على التل الكبير ولم يزد على ذلك شيئاً . ثم ركب ومعه صاحب له عربة وتبعتهما بعد قليل الى بيته فلم أتمكن من رؤيته لاني صادفت بالباب من أخبرني انه لا يريد ان يقابل أحداً الا غدا حيث يكون قد ارتاح من تعب السفر فقصدت في المساء بيت عرابي لعلي أقف منه على بعض الشيء فوجدته يتأهب هو وطلبه عصمت لتسليم انفسهما وسلاحهما الى القائد الانكليزي المخيم بالعباسية .وفي تلك الساعة بلغني ان وفدا مؤلفاً من المترجم وجماعـة من العظماء على عزم المضيّ ذلك المساء الى الاسكندرية يحملون كتاباً من عرابي ورفاقه الى أمير البلاد يتضمن التوبة مما فرط ويعترفون بالعودة للطاعة والخضوع والاذعان

ولما أصبح الصباح بكرت الى دار المترجم فوجدتها مقفرة من سـاكنيها أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا فسألت عن الخبر فقيل لي انه لم يصل الى الاسكندرية وانما عاد من كفر الدوار في الساعة الرابعة بعد نصف الليل ثم اختفى هو ووالده وخادمه ولم أعد بعد تلك الساعة اسمع عنه شيئاً بالمرة مدة عشر سنين متوالية أمضيت بعضها في مصر وبعضها في القسطنطينية واوربا وقد ثبت في ذهني اننا ان نجتمع الا في يوم النشور لما نقل اليّ كثير من الناس انه قبض عليه عقب اختفائه وقتل في بعض الليالي خنقاً بسجن دمنهور وأكد لي ذلك اعتقادي انه لو كان حيا لراسلني وانا بعيد عن القطر المصري حيث لاخوف من رقيب .

الا انني تبينت بعـد ظهوره اني كنت مخطئاً في اعتقادي فقد سمعت من لفظه انه لما عادمن كفر الدوار خرج هو وأبوه وخادمه الى ساحل بولاق ثم ودعه أبوه بعد ان أوصاه ان يدعو الله كلما

وقع في خطر بسرّ رضا والديه عنه و اكترى لنفسه سفينة ركبها وأقام فيها مصعداً منحدراً الى ان عفا المولى الخديو عفوه العام فذهب الى الاسكندرية كما كان . اما هو فانه مضى الى صديق له مخلص من أهل بولاق فمكث لديه مستتراً ومعه خادمه نحو عشرة أيام تمكن في خلالها من استحضار ثوب من الصوف المصري الاحمر المعروف « بالزعبوط » فلبسه وتعمم بعمامة حمراء ووضع على عينيه غطاء وامسك بيده عكازة طويلة وخرج وكانت لحيته قد طالت فارسلها الى صدره حتى صار لا يعرفه أدنى الناس اليه ومشى هو وخادمه ليلاً الى الساحل فوجدا سفينة مقلعة الى بنها فركباها وتظاهر بانه من مشايخ الطرق الريفيين فلما وصلت السفينة الى بنها نزل اليها قوم من رجال التفتيش ليفتشوا عليه بخصوصه فخفي عليهم ولم يعرفوه ثم انتقل من تلك السفينة الى أخرى وقصد بليدة يقال لها «ميت الغرقا» (محرف منية الغرق) فاقام بها دهراً عند رجل من ذوي المكانة ونفوذ الكلمة وكانت الحكومة قد جعلت لمن يدل عليه ألف جنيه فتعب كثير من الحمقى في البحث عنه ولكن رجعوا بصفقة المغبون وهو آمن مطمئن يقرأ ذلك في الجريدة الرسمية وغيرها فلا يهتم ولا يضطرب

وقد كان خادمه أمياً أجهل من دابة فبكى وانتحب عقيب اختفائهما بايام قلائل وطلب الرجوع الى أهله تخشى المترجم ان يفتضح به أمره فجاء بالجريدة الرسمية ونظر فيها فاظهر الجزع والتأسف وضرب كفاً بكف فسأله الخادم عن السبب فقال ان الحكومة جعلت لمن يرشد اليّ الف جنيه ولمن أتاها برأسك خمسة آلاف فخاف الخادم وأخذ يبالغ في التنكر زيادة عن سيده وكان ذلك سبباً في ملازمته خدمته مدة اختفائه وقد كافأه المترجم أحسن مكافأة فعلمه القراءة والكتابة وحفظه جملة سور من القرآن الكريم واقرأه مبادئ التوحيد والفقه ثم زوجه واتخذه صاحباً ورتب له بعد ظهوره مايكفيه هو وأهله

ولما جدت الحكومة في طلبه ولم تصنع شيئاً حكمت عليه بالنفي المؤبد غيابيا فقرأ ذلك في الجرائد وهو غير هياب ولا وكل ولكن الطلب لم ينقطع فاستعان برجل من الاجانب شهم فاشاع هذا ان النديم هرب الى «ليفورنو» من أعمال ايطاليا وقد نقلت هذا الخبر جريدة الاهرام في سنة ١٨٨٣ وعنفت رجال الضبط والربط على اهمالهم تعنيفاً شديداً وحينئذ تحولت الانظار عن البحث عنه في مصر. وبلغ الحنق ببعض كبار الحكام ان بعث مندوباً خاصاً الى ليفورنو ليقتله فذهب وعاد بخفي حنين لم يقطع الاراس مال مرسله

ومن الغريب ان المترجم بعد نحو سنة من تاريخ اختفائه عرض على من آواه ان يبعث به الى محل آخر فارسله الى رجل يثق به في بلدة تابعة لمديرية الغربية تسمى «العتوة» ولم يمض على مفارقته مختفاه الاول بضع ساعات حتى أجلب رجال الحكومة بالخيل والرجل للتفتيش عليه فلم يظفروا منه بطائل

وما مضى على اقامته بتلك البلدة أكثر من سنة حتى قضى رب البيت نحبه فجاءت زوجته باكبر أولادها وهو شاب لم يجاوز الخامسة عشرة من عمره فقالت له هذا عبد الله النديم الذي جعلت الحكومة لمن هداها اليه الف جنيه افتريد ان تؤويه وتكرم مثواه كما فعل أبوك ام ترغب في حطام الدنيا فأكون بريئة منك الى يوم الدين فقال حاشا لله ان أخفر ذمامي فسترين اني أحافظ عليه محافظتي على عرضي ولن يصل اليه أحد بسوء مادمت حياً فقالت له والدته الكريمة بارك الله فيك من شهم

حازم فمكث في جوارهم نحواً من أربع سنين ضيفاً كريماً ثم وشى به بعض أقرباء الرجل لضغائن بينهما فمضى هو ليلاً وصار يضرب في بلاد مديرية الغربية وكلما القى عصا التسيار في مكان أكرمه أهلوه وانزلوه على الرحب والسعة وشدّوا أزره بترويحه منهم

ولا غرو فقد كان له من حلاوة الملق وبلاغة القول وذلاقة اللسان ما لا يستغرب في جانبه غريب فتلك خاصة طبيعية فيه جذبت اليه القلوب كما يجذب المغناطيس الحديد فلم يبال أحد من أولئك المفضلين بما كان يتهددهم في هذا السبيل الشاق من الحبس او التشريد او غيرهما من أنواع العقوبات الحاقة على من أخفى رجلا تهتم الحكومة بالبحث عنه حتى استقرت به النوى في بلدة تعرف بالجميزة فلم يبرحها الى ان قبض عليه هو وخادمه بسعاية بعض الطامعين غير ان ميعاد المكافأة كان قد انقضى فذهبت مطامع الثمام ادراج الرياح

ولم يكن له على أحد ممن آواه سابقة فضل ينتظر عليه أجراً او مكافأة وانما هي مكارم اخلاق وطيب عنصر ومحض شهامة خصوا بها فجزاهم الله عن الاحسان خيراً

ولقد كان في أثناء اختفائه كلما انتقل من موضع الى آخر غير زيه واسمه فتارة كان يبخر لحيته بالكبريت الى ان تبيضّ ثم اذا جاء الليل غسلها ومرة يجعل نفسه مغربياً وهكذا كانما نقل عن أبي زيد السروجي حيله. وقد انتحل تسعة أسماء منها الشيخ يوسف المدني والشيخ محمد الفيومي وسي الحاج على المغربي وغيرها مما أتى على ذكره في كتاب الاختفاء في الاختفاء

ومن مدهشات وقائعه اثناء اختفائه انه اجتمع بكثير ممن كانوا يعرفونه حق المعرفة وحادثهم في شؤون مختلفة وهم لا يظنون الا انه رجل غريب نظراً لتغيير الشكل والصوت واللهجة . اخبرني انه اجتمع بالمرحوم مصطفى باشا صبحي مدير الغربية في ذلك العهد بالكوم الطويل وتكلما طويلاً فقال هذا لولا علمي بان النديم قد مات وانقضت أيامه لقلت انه هو هذا الرجل بعينه ولكن جل من لاشبيه له . وجلس ليلة على افريز (رصيف) محطة طنطا ينتظر القطار القائم الى كفر الزيات وكانت الحكومة قد أرسلت الجواسيس في أكثر البلاد للقبض عليه فلقيه هنالك فريق منهم اشتبهوا في أمره وقد عرفهم وهم له منكرون فما زال يحدثهم حتى اعتقدوا انه رجل من الصالحين المقربين فلما جاء القطار أوصلوه اليه وحملوا معه امتعته وظلوا وقوفاً الى ان اوشك القطار ان يتحرك فقبلوا يديه وسألوه الدعاء

وغاية الغايات المأثورة في مكارم الاخلاق انه لما قام من ميت الغرقا قاصداً العتوة صادفه في طريقه أحد مأموري المراكز وكان جركسيا ومعه قوة صغيرة من الجند فأمرها ان تسبقه قليلاً ثم لوى عنان فرسه الى المترجم فقال لا ضرورة للتنكر فقد عرفتك وأنت النديم فلم يكن له بدّ من الاعتراف بجلية أمره فقال له المأمور لابأس عليك اذهب في دعة الله وحفظه ولا تخف واعلم اني وان كنت جركسي الاصل فاني عربي الكرم ولهذا وهبتك حياتك وتنازلت عن الجعل الذي جعلته الحكومة لمن دل عليك مع احتياجي للقليل كما تنازلت عن كل ماعسى ان أناله بواسطة القبض عليك من الرتب والمناصب لتعلم ان في الوجود بقية للكرام . ولكن اياك وهذا الطريق المسلوك فربما صادفك من يقبض عليك فيه فعرج عنه الى جهة اليمين ثم مدّ يده الى جيبه وأخرج ثلاثة جنيهات

ودفعها اليه وقال والله هذا هو كل ما أملك الساعة فخذه واستعن به على أمرك

وكان القبض عليه في شهر نوفمبر سنة ١٨٩١ أواخر ولاية المرحوم توفيق باشا فجيء به الى طنطا مركز مديرية الغربية وهناك حبس أياماً حبساً سياسياً لا جنائياً وسئل عن موجب اختفائه فأوضحه بما لا يخرج عما تقدم فعفا عنه الجناب الخديوي ولكن أمر بابعاده الى حيث يشاء من البلاد غير المصرية . فاختار يافا من ثغور فلسطين لانها مدخل بيت المقدس فسافر اليها على احدى البواخر المصرية وشيعه محافظ الاسكندرية اذ ذاك صاحب السعادة عثمان عرفي باشا. ولما أرست السفينة على ساحل يافا نزل اليه بعد ان دفع له ربانها خمسين جنيهاً كانت الارادة السنية الخديوية قد تعلقت بصرفها له ليستعين بها في غربته . وكان في استقباله على الشاطيء عدد عديد من العلماء والادباء والاعيان والوجوه فقابلوه بالبشر والترحاب ودعاه رب المجد والكرم والعلم والادب والفضل السيد علي افندي أبو المواهب مفتي ذلك الثغر الباسم للنزول عنده فقبل الدعوة شاكراً وبقي في ضيافته أياماً ثم اتخذ لنفسه داراً خاصة وأقام فيها نحو سبعة أشهر فكانت نادياً عاماً يجتمع فيه أفاضل القوم وسراتهم للبحث والمذاكرة . وحينئذ أخذ يكاتبني بعد ان انقطعت عني رسائله أكثر من عشرة أعوام

وفي تلك الأثناء كان يتردد على مجلسه للسلام والمحاضرة كثير من كبراء بلاد فلسطين فيسمع من أخبار مواطنهم ما يبعث فيه روح الشوق ويحرك منه ساكن الاماني ابتغاء الوقوف على الحقيقة فعقد النية على السياحة في تلك الاماكن المقدسة ليتعرف مجاهلها فقام على ما نقلت من خطه في الثامن عشر من شهر شعبان سنة ١٣٠٩ (مارس سنة ١٨٩٢) ومعه صديق له من أكابر الشرفاء فوصلا الى جبل الطور المسمى جبل جارزيم حيث شاهدا بأعلاه محج السامرة ومن هناك قصدا مقام العزير فزاراه هو وكثيراً من قبور انبياء بني اسرائيل ثم مرا بعدة قرى ووديان مختلفة الى أن بلغا نابلس فلبثا بها في حفاوة واكرام مدة يومين غادراها بعدهما الى سبطية وبها أديا حق الزيارة لمشهد سيدنا يحيى الحصور (مار يوحنا المعمدان) ثم عاودا المسير وقصدا طريق الناقورة فلما جاوزاه سارا في طرق صعبة المسالك كلها عقاب وهضاب فكانا يترجلان كثيراً لعدم قدرة الخيل على قطعها وظلا كذلك ترفعهما النجود والثنايا وتخفضهما الاغوار والمنحدرات حتى عادا الى نابلس بعد أن نظرا من غرائب الآثار وبدائع الطبيعة شيئاً كثيراً بينه المترجم في رحلة له صغيرة شرح فيها هذه السياحة شرحاً بديعاً

وقد زار مدينة الخليل وبيت لحم والمسجد الاقصى وعدة أماكن مقدسة كان موضوع التجلة والاكرام في جميعها ولا سيما لدى العلماء والحكام خصوصاً صاحب السعادة والفضل ابراهيم حقي باشا متصرف القدس الشريف

ثم لما خلف مولانا العزيز عباس الثاني والده الابرّ على سرير الملك عفا عن المترجم وذلك في سنة ١٨٩٢ فعاد من يافا الى القاهرة وظل متردداً بينها وبين الاسكندرية أكثر من شهر ثم اتخذ الاولى موطناً وأنشأ بها مجلته العلمية الادبية التهذيبية الشهيرة باسم « الاستاذ » فجاء فيها من دلائل الاعجاز بما لم يأت به احد من قبله فأخذت من الشهرة العظمى ما لم تأخذه جريدة سواها

وأثرت

وأثرت في أفكار الامة على اختلاف نحلها تأثيراً كاد يضطر كل قادر على القراءة ان يشترك فيها فبلغ ما يطبع منها أخيراً نحو ثلاثة آلاف نسخة مع ان عمرها لم يطل أكثر من عشرة اشهر. كان كل عام من أعوام احتفائه يقابل شهراً في مدة ظهوره

ثم ألغيت لأسباب يعلمها كل متدبر خال من الغرض لان العهد بها غير بعيد . وأعقب ذلك ان كلف المترجم بالخروج من مصر فغادرها ثانية الى يافا ودفعت له الحكومة المصرية أربعمائة جنيه يعتد بها لسفره ورتبت له ٢٥ جنيهاً كل شهر على شرط أن لا يكتب شيئاً في الجرائد يختص بسياسة مصر فلبث أربعة أشهر في يافا . ثم سعى به بعض أرباب الغواية والتضليل فأبعد منها بارادة سلطانية فرجع الى الاسكندرية وأقام أياماً قابل في خلالها صاحب الدولة الغازي مختار باشا المندوب السلطاني العالي فساعده هذا على المضي الى القسطنطينية فسافر اليها بارادة شاهانية .وما كادت تستقر بها قدماه حتى صدرت الارادة السلطانية بتعينه مفتشاً للمطبوعات بالباب العالي وترتيب ٤٥ جنيهاً مجيدياً له كل شهر فكان يتقاضاها هي والمرتب له من الحكومة المصرية وبأبى كرمه الا ان يصرفها جميعها مع ما كانت تجود به عليه المكارم الحميدية من الاحسانات الخاصة في سبل الخيرات والبر بالاهل والاقارب والاصدقاء

وقد نال هناك لدى المقام السلطاني الحظوة الكبرى التي لا تنال وتعرف بكثير من الوزراء وأرباب المظاهر العلية ولكنه اختص بالملازمة والصحبة والمودّة الامام العلامة الخطير فيلسوف الشرق السيد جمال الدين الافغاني فاتصلت بينهما أسباب الالفة وتمكنت منهما روابط الاتحاد حساً ومعنى فكان لا يصبر أحدهما عن الآخر ولا يطيب له مجلس الا اذا كانا فيه معاً . وقد بلغ تعلق السيد جمال الدين به وجميل اعتقاده فيه ان اصبح وأمسى يعجب بقوة حجته في المناظرة والجدل وسرعة بديهته في التحرير حتى صرح في عدة مجالس بأنه ما راى مثل النديم طول حياته في توقد الذهن وصفاء القريحة وشدة العارضة ووضوح الدليل ووضع الالفاظ وضعاً محكماً بازاء معانيها ان خطب أو كتب

ومن عجائب المقدور ان واشيا وشى به الى السلطان ونسب اليه أموراً كثيرة هو منها براء فكاد الامر يصدر بنفيه الى بعض الولايات البعيدة لولا ان الخبر بلغه وهو في احدى ضواحي القسطنطينية فكتب الى السلطان تلغرافاً يتبرأ فيه مما اختلقه الواشي وختمه بعبارة حماسية معناها انك أنت أمير المؤمنين القادر على الانتقام والعقاب بلا معارض او منازع ولكننا سنقف بين يدي عادل قاهر يقضي بيننا بالحق وهو خير الحاكمين . وكان السلطان يحب الثبات على المبادئ ويميل لكل رجل فيه عزة نفس واباء فأعجبته تلك الشهامة ولذلك عاد فرضي عنه ورجع عن عزيمته ورد الله الذين مكروا بغيظهم لم ينالوا مما أرادوا نصيباً

وقد كان يود الرجوع الى مصر ليقضي بها بقية أيامه شأن كل حر كريم لا يهنأ له عيش الا في ارض نشأته ومعهد أهليه وأقربائه ولعل هذه هي الامنية التي أعجزه نيلها فما كل ما يتمنى المرء يدركه . ولما سافر الجناب العالي الخديوي الى القسطنطينية منذ سنتين شرفه باستدعائه الى سدته الشريفة مراراً وكان يسر بلقائه وما يسمع من لطائف محادثاته فلما ازمع الاوبة الى القطر سار المترجم بامره العالي في

منادمته الى مضيق الدردانيل (جناق قلعه) ثم عاد وقد ضن الجناب السلطاني به على مصر فحسده الدهر على مكانته وكانما خاف على نفسه من نفثاته فتنبه له بعد الرقاد واستعان عليه من السل الرئوي بعدو شديد الباس فتاك غطى على أعين الاطباء ثم انقض عليه فاورده حتفه في ليلة الاحد عاشر شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ فمات بموته العلم والادب وحزن عليه من عرفه ومن لم يعرفه وحاشا له ان يكون مجهولاً

وعند ما علم سيدنا ومولانا أمير المؤمنين بموته أصدر أمره المطاع بالاحتفال بمشهده على نفقة الجيب الشاهاني الخاصة فسار امام نعشه فرقتان من الجيش المظفر وفرقة من الشرطة (البوليس) وتلامذة المكتب السلطاني وعدة من الوجوه والكبراء والعلماء يتقدمهم العلامة السيد جمال الدين الافغاني والمولى الشيخ محمد الظافر شيخ السلطان والشهم الكريم المفضال السيد عبدالرحمن الجزولي (وهو الذي توفي المترجم في بيته اطاعة لاشارة الاطباء) وغيرهم من الفضلاء الذين

خرجوا به ولكل باك خلفه * صعقات موسى يوم دك الطور

واودع صدف التراب من مقبرة يحيى أفندي في باشكطاش در جمه النضيد

بالامس كان غريباً في ديارهم * واليوم صار غريب اللحد والكفن

وكانت والدته وأخوه لما علما باشتداد العلة عليه قد برحا الاسكندرية الى القسطنطينية لعلهما يريانه قبل ان يلحق بربه ولكنهما لم يبلغاها الا بعد ان سكن الثرى فليس يعلم الا الله مقدار ما حاق بهما من الهلع الذي تخلع لهوله القلوب وتذوب الانفس حسرات ومع ذلك تجلدا وقصدا بيته عسى ان يجدا فيه من آثاره ما يخفف عنهما ألم المصاب وليتهما لم يفعلا فقد وجدا البيت أفرغ من فؤاد ام موسى لان بطانة المترجم استحوذت على كل ما كان فيه من الفرش والامتعة والاثاث ولم تترك الا الهواء ولو قدرت عليه لاخذته فكان موتاً وخراب ديار لان تلك المقتنيات الثمينة كانت مشتراة بمال من الجيب السلطاني الخاص وفق ما قضى به الامر الكريم

ولقد مات المترجم ولم يورث أهله الا الحزن والعناء فقد كان يقبض مرتبه من مصر والقسطنطينية فلا يمضي عليه بضعة أيام حتى يفرغ من توزيعه على الاقارب والاباعد دون ان يسأل عن نفسه مكتفياً بان له أجر المناول

اما اخلاقه فكانت محياً للناس اذ انه كان ابرّهم بوالديه وذوي قرابته وقصاده ولو لم يكن يعرفهم فما أقرض أحداً شيئاً وطالبه به ولا رد يوماً سائلاً ولا خضع لعظيم قط وانما كان يلين ويتواضع لصغار الناس وأوساطهم

وأما خطبه وتأثيرها السريع في الاذهان فيكفيني مؤونة الكلام الطويل فيه اجماع كتاب الجرائد العربية والاجنبية على تلقيبه بخطيب الشرق فهو اول شرقي وقف المواقف الهائلة وخصوصاً قبيل الثورة العرابية اذ كان يستدعى بالتلغراف الى الاسكندرية وسواها فيرتجل من حرّ القول البليغ القوي القويم الحجة ما يترك الالباب سكارى من غير مدام

حضرت له من ذلك يوماً في دار وزارة الداخلية تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرّ الجبال هدّاً اذ اجتمع في بهرة تلك الدار بعد انقطاع المواصلات بين القاهرة والاسكندرية عدد

عظيم من سراة المدينة وعظمائها وعلمائها وفيهم رؤساء الملل الاسلامية والمسيحية والاسرائيلية للمشاورة في أمر الحرب فلما دار الاخذ والرد بينهم قال المرحوم علي مبارك باشا ما الذي يمنع من ان يكون كل ما بلغنا من أخبار الاسكندرية كذباً وزوراً وكانه كان يقصد بذلك التهكم او المغالطة فلم يكد يتم عبارته حتى ابتدره النديم بصوت اجش وقال اذا كانت لاتكفيك شهادة نحو ثلثمائة الف نسمة من الرجال والنساء والصبيان خرجوا من ذلك الثغر مهاجرين لايملكون الا انفسهم هائمين على وجوههم في البلدان والقرى لايلوي الوالد منهم على ولده ولا الاخ على أخيه كأنهم الى المحشر يساقون فما ذا الذي يكفيك .ثم استمر في خطابته والقوم سكوت كأنما على رؤوسهم الطير حتى كانت النتيجة تعين وفد من أعضائه المغفور له علي باشا مبارك ليذهبوا الى الاسكندرية فيحققوا الامر بأنفسهم فمضوا اليها واستمروا بها الى ان وضعت الحرب أوزارها

واما الحفظ فاني كنت اعتقد ان ما يروى عن المنصور فيه من باب المبالغة ولكن لما رأيت المترجم يأخذ ما يراد له من الكتب والرسائل فيقرأ فيه عدة صحائف ثم يعطي الكتاب او الرسالة لبعض من يحضره ويعيد عليه جميع ماقرأ حرفاً بحرف علمت ان كل مانقل عن المنصور صحيح

ولا تسل عن الكتابة فقد كان فيها أمة وحده فلو تدبرت أمره من بدئه الى نهايته لرأيت رجلاً قال في صباه وشبيبته السجع الادبي والشعر المعجز والزجل العجيب ثم اختار التحرير المرسل في الجرائد ونسك آخر عمره من لدن احتفى وطالع كتب القوم فأنشأ في العقائد والمذاهب شيئاً كثيراً وكان لايدانيه مدان في واحد منها والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

وله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة مايعد بالمئات منها ديوان شعر يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت نظمها وشبابه باسم الثغر طلق المحيا — وديوان آخر في نحو ثلاثة آلاف بيت — وروايتا « الوطن » و « العرب » — ورسائل أدبية مسجوعة لم تصل أيدي جامعي السلافة منها الا الى أربع عشرة رسالة بعد السعي الكثير ومكابدة العناء الجزيل . وكان ويكون (وهو الذي طبع بعضه في الاستاذ) — وواحد وعشرون كتاباً في فنون مختلفة قطع لاجلها أيام حرب الاختفاء رقاب الفراغ بسيوف الاقلام . منها ديوان شعر يحتوي على مايقارب عشرة آلاف بيت وهو الآن محجور عليه في القسطنطينية مع باقي تلك الكتب التي ينادي لسان حال كل واحد منها

عسى فرج يأتي به الله انه * على فرجي دون الانام قدير

ومنها « النحله في الرحله — والاحتفاء في الاختفاء — والشرك في المشترك — وكتاب في المترادفات — وآخر في اللغة سماه موحد الفصول وجامع الاصول — والفرائد في العقائد — واللآلي والدرر في فواتح السور — والبديع في مدح الشفيع — وامثال العرب » وغير ذلك مما ينطق بانه هو المجلي في كل فن وسواه السكيت

ولما كان في يافا اول مرة بعث الي محرراً يكلفني به ان اطلب ديوان شعره الصغير من صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ (والد تلميذنا الابر المغفور له مصطفى افندي توفيق احد أساتذة المدارس الاميرية كان) فلما قصدته وجدته مصاباً في قواه العقلية بما لم يدع للطلب مجالاً . ثم كتب الي كتاباً ثانياً بان ديوانه الاوسط عند م . بك . ف . فطلبته منه فاعتذر بانه ضاع فلما أنبأت المترجم بذلك ارسل

اليّ في مكتوبه الثالث انه انما طلبهما ليحرقهما براءة منهما ومن أمثالهما لان فيهما هجواً كثيراً وختم المكتوب بهذه العبارة «قد خلعت تلك الثياب الدنسة ولبست ثوب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»

وعلى ذكر الشعر وبراعته التي لا تدرك فيه نورد له هنا طرفاً يسيراً مما عثرنا عليه صدفة لاقصداً فمن ذلك قوله متغزلاً

سلوه عن الارواح فهي ملاعبه * وكفوا اذا سل المهند حاجبه
وعودوا اذا نامت أراقم شعره * وولوا اذا دبت اليكم عقاربه
ولا تذكروا الاشباح بالله عنده * فلو أتلف الارواح من ذا يطالبه

وقوله

أراه بعيني والدموع تكاتبه * ويحجب عني والفؤاد يراقبه
فهل حاجة تدني الحبيب لصبه * سوى زفرة تثني الحشا وتجاذبه
فلا انا ممن يتقيه حبيبه * ولا انا ممن بالصدود يعاتبه

الى ان قال

فلو ان طرفي أرسل الدمع مرة * سفيراً لقلبي ما توالت كتائبه

وقوله مفتخراً

أتحسبنا اذا قلنا بلينا * بلينا أو يروم القلب لينا
نعم للمجد نقتحم الدواهي * فيحسب خامل انا دهينا
تناوشنا فنقهرها خطوب * ترى ليث العرين لها قرينا
سواء حربها والسلم انا * اناس قبل هدنتها هدينا

الى ان قال

اذا ما الدهر صافانا مرضنا * فان عدنا الى خطب شفينا
صلينا ياخطوب فقد عرفنا * بانا الصلب صلنا أو صلينا
وقرّي فوق عاتقنا وقولي * نزلت اليوم أعلى طور سينا

ومنها

ولسنا الساخطين اذا رزينا * نعم يلقى القضا قلباً رزينا
فانا في عداد الناس قوم * بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الزمان بنا حلمنا * ولكنا نهينا أن نهينا
وانا والورى قسمان لكن * اذا ماتوا بنازلة حيينا
وان شئنا نثرنا القول دراً * وان شئنا نظمناه ثمينا
وان شئنا سلبنا كل لب * وان شئنا سحرنا المنشئينا
ومسطرنا يناجي كل حبر * بما يهوى ويعلي الكاتبينا
سلوا عنا منابرنا فانا * تركنا في منصتها فطينا

ورثناها عن الآبا بحق * فان صرنا نورثها البنينا
سرى فينا من الآباء سر * يسوق البر نحو المعوزينا
فان عشنا منحنا سائلينا * وان متنا نفحنا الزائرينا

ولضياع أغلب مؤلفاته بواعث شتى منها انه كان اذا سوّد شيئاً جاء اليه من يستعيره منه ثم لا يرده عليه وقد فعل ذلك معه جماعة من اهل القاهرة والاسكندرية والمنصورة . ومنها انه كان مقيماً في بلد من أعمال الدقهلية يقال لها بدواي فبلغه ان فريقاً من أهل البلدة يأتمرون به ليقتلوه فاتخذ الليل جملاً ومضى الى حيث يأمن فلما جاء المؤتمرون ولم يجدوه احرقوا البيت حنقاً فاحترقت كتبه فيه . ومنها انه زمن مقامه بالمنصورة للاتجار غافله خادمه وسرق بعض متاع البيت ومنه الكتب وهرب . ومنها ان والده رحمه الله هاجر من الاسكندرية الى القاهرة فيمن هاجر يوم الحرب الاخيرة فاحضر معه كتبه جميعها (وكان لي انا أيضاً فيها كتب قيمة) وملأ بها وبباقي أمتعته عربة نقل من عربات السكة الحديدية فلما وصل القطار الى كفر الزيات ازدحم المسافرون من المهاجرين وغيرهم ازدحاماً هائلا فلم يسع رجال المحطة الا ان رموا جميع ما بتلك العربة في النيل ليركب الناس فيها ولم ينتطح فيها عنزان

وان شاء القارئ ان يعلم الباعث على اتصال المودة بيننا حتى عرفت من أمره مالم يعرفه غيري فذلك اني كنت في أوائل سنة ١٨٨٠ عقيب خروجي من الازهر مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية القبطية بالاسكندرية فجاءها المترجم يوماً زائراً وهناك تعارفنا فمال كلانا لصاحبه وما لبثنا ان تآخينا فتركت المدرسة القبطية وسكنت معه في بيت واحد بعد ان قاسمني التدريس بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فكان يعلم الانشاء وانا أدرس علوم اللغة حتى انفصل منها فتبعته ثم جئنا القاهرة معا وبقينا متلازمين ليلا ونهاراً وسفراً ومقاماً الى ان فرّقت الحوادث بيننا نحو احدى عشرة سنة ثم اجتمعنا وكأننا لم نجتمع الا لنفترق فانه

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

فماذا أقول أم ماذا أكتب في ترجمة رجل طبقت سمعته الآفاق وكان في كل دور من أدوار حياته شغلاً شاغلاً لافكار الباحثين وأقلام السياسيين فان أخبار خطبه وكتاباته السياسية وما تبع ذلك من اختفائه وظهوره والعفو عنه وسفره وايابه الى أن أدركه القضاء المحتوم شغلت كل الجرائد الشرقية والغربية حتى صح ان يتخذ مثلاً للشهرة بدل النار على العلم . فياليت مبدع الصور المتحركة قد تمكن من نقل صورته ليبرزها لرجال المستقبل عنواناً على انه نادرة مصر في هذا العصر أدباً وفضلاً

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

أحسن الله عزاء الوطن فيه وأنزل على قلب الوجود لفقده الصبر والجلد انه على كل شيء قدير

القسم الاول

﴿ منتخبات الرسائل الادبية ﴾

(وهي مما أنشأه في أيام صباه)

﴿ لواء النصر في أدباء العصر ﴾

وهي رسالة أنشأها عند دخوله محروسة مصر الاقامة بها سنة ١٢٧٧ هجرية وكان سنه اذ ذاك ستة عشرة سنة وقد اجتمع بجماعة من الشعراء والمنشئين بواسطة أديب مصر المرحوم الشيخ أحمد وهبي وقد تعرف منه بستة من الشعراء علم انهم أدباء العصر على التحقيق فكتب هذه الرسالة في تراجمهم منسوجة على منوال من السجع لا على وتيرة واحدة وهي

الحمد لله * مولاه * والصلاة على أصل البديع * الشفيع * وبعد فهذه نتيجه بهيجه * عن ناقل الاكياس * من الناس * روى عن فكره * عن لبه * عن نظره * عن قلبه * حديثاً * حديثاً * الصدق * منه * والحق * عنه * والدقة * اليه * والرقة * عليه * انه ركب أفراسه * وثار * واستصحب الفراسة * وسار * يجوب الاقطار * اختباراً * ويترك الاوطار * اختياراً * ويقرأ الجرائد * اكتشافاً * وينظر الخرائد * استلطافاً * في شرف نفس * عن الناس * على طرف أنس * بلا كاس * لا ترده المتاعب * عن أمله * ولا تلهيه الملاعب * عن عمله * حتى ملأ أوعيته * حكماً * وعاد أنديته * حكما * وقابل أحباره * ببضاعته * وقص أخباره * على جماعته * فغطوا رؤوسهم * وناموا * ثم قطبوا وجوههم * وقاموا * سكوتاً لا يتكلمون * من الهم * ومرضى يتألمون * من الذم * فتعلق بالاذيال * وصاح * وتحقق الوبال * فناح * ونادى بأعلى صوت * أيها الكرام * هذا هو الموت * تقومون بلا كلام * مع اني عبدكم * في الخدمه * وعندي عهدكم * في الذمه * ما أضعت لكم مالاً * ولا أطرت لكم سراً * ولا عكست لكم حالاً * ولا أثرت لكم شراً * زودتموني للسفر * فجبت * وقضيت الوطر * وأبت * بكواكب دريه * كلها غرر * وغرائب أدبيه * حليها درر * حسبما اوصيتموني * وقت النحله * فلم تركتموني * بعد الرحله * هل بضاعتي رديئة * أم

بيعتي نسيئه * كلا لا بضاعة أحلى من جوهر العقد * في جيد السعد * ولا أجل بعد النقد * يداً بيد * ولئن أبيتم القبول * بقبح أذواقكم * مضيت بها قبل الذبول * لغير أسواقكم * ثم رحل بها الى الاسواق المأنوسه * أسواق الادب * في مصر المحروسه * بستان الارب * ووضعها بخان * شاهبندر التجار * فحفظها وما خان * وأمنت البوار * الا أنه لم يعرض البضاعه * على أهل الصناعه * من أول الامر * بل لزم حده * وسكت مده * على نار الجمر * واستصحب الجلد * ودار البلد * لمعرفة السلع * حتى عرف الجديد من الرث * والثمين من الغث * من الجواهر والخلع * فرأى الناس يتهادون بالمواهب * مع اختلاف المذاهب * في المعامله * وكل ينادي على بضاعته * ويفتخر بصناعته * حتى يكدر آمله * فلا يربح منها غير الكاسد * ولا ينجح منهم الا الحاسد * البليد الحمار * تراه في المشدقه * كانه في مشنقه * يحاول الفرار * يعارض استاذه * ويفتت افلاذه * بما يبديه * ان دخل على أمير * لا يفارق السرير * حتى يسديه * وان فارق صوبه * جر ثوبه * مهرولاً في مشيته * يسلم بالبنان * وينكر بالجنان * ويعبث في لحيته * ان جلس تفرطح * وان نام تبطح * وان قام تمطى * وان تكلم مقت * وان استفتى سكت * فان أجاب أخطا * وما ذاك الا من عدم الالمام * والخروج عن مذهب الامام * والاقتصار على الاجتهاد * فلو اكتسى بالحلم * ولزم أهل العلم * لروى واستفاد * فان من حاد عن هذا المورد النهل * ورضي بمر الجهل * ضل * ومن اعتمد على العقل * وازدرى بالنقل * ذل * ولكن صار الجهل شرابهم * فاستنعق البوم غرابهم * لخراب رؤسهم * واتخذوا الطمع امامهم * فحول الفقر ذمامهم * لذل نفوسهم * فقال بئس الصنيع * يتقدم الوضيع * ويتأخر الشريف * ويتطاول اللئيم * في مجلس الكريم * ويذم الظرف * — فرجع الى الشاه الكبير * الجليل الامير * السيد الشهير * تاج النباهه * بدر الكرام * وراوي الأوام * بل باب السلام * ونفس النزاهه * لسان العرب * ومعين الادب * عريق النسب * طاهر الاخلاق * روض البيان * ثبت الجنان * حلو اللسان * سليم الاذواق * بغيض المعازف * حبيب المعارف * الغيث الواكف * سمير المعالي * البليغ الرشيد * اللبيب المجيد * العقد الفريد * ناظم اللآلى * — انسان عيني * وعين انساني *

بل نور لبي * لسان فني * وفن لساني * السيد أحمد وهبي * وجلس بين يديه * وأخبره بالحقيقه * الى آخر القصه * فمال بعطف اليه * وأدخله الحديقه * وداوى له الغصه * بحديث أحلى من الشهد * وأطيب من القرب * وألذ من الوصال * فاستراح من السهد * واقتحام الكرب * في نقد الرجال * ثم استعاده منه * لحلاوة الوعظ * في هذا المجال * ليرويه عنه * لفظاً بلفظ * فابتدأ وقال * لكل سلعة قوم * ولكل قوم بضاعه * ولكل عصر رجال * وحالنا اليوم * تزييف الصناعه * وطلب المحال * والعادة ان اعتيدت * صارت طبيعه * لا يمكن فوتها * والسادة ابيدت * في المدة البديعه * ومضى وقتها * ولكن على من اجتمعت * وجلست معه * ومن عرفت * وممن سمعت * وكنت تبعه * ومنه اغترفت * هل اختبرت بنفسك * وعلمت أفرادهم * أم اتكات على الاخبار السائره * فأن أبناء جنسك * لايحسنون انشادهم * الا في الامور الطائره * وقد كثرت تجار هذه البضاعه * في كل سوق * وكلٌ ممتري * فهجرت الناس هؤلاء الباعه * ومالوا الى الفسوق * فقل المشتري * فالتزم كل دلاّل * ان يحمل على رأسه وكتفه * ويمشي في طرق غير مستقيمه * ليروج هذه الاحمال * بتزيينه وحلفه * ولو بدون القيمه * فقال اني لم أجيء للبيع والشرا * مع هذه الطائفة الزائفه * وجوب القرى * في المدة السالفه * للامة العارفه * ولم أدخل بيت أحد * طمعاً في فوائد * أو جرياً على عوائد * بل دخولي هذا البلد * برسم السيد الماجد * الفرد الواحد * الكامل المؤدب * البارع النجيب * البليغ الاديب * الشهم المهذب * المجيد اللبيب * المحب الحبيب * عزيز الوجود * حافظ (١) العهود * ومنه تعرفت بحضرتكم * وبه تقربت اليكم * ووفدت عليكم * حتى تشرفت بطلعتكم * ووقفت بين يديكم * وحظيت ببعض ما لديكم * ثم أخذت أسأل جرائد الاخبار * عن أهل المعارف والعوارف * فرأيت فيها من عد من الاحبار * وهو من أهل المعازف * أو المناسف * حتى سئمت نفسي * وعلمت ان الادب عدم صحبه * فقضى نحبه * وتحققت فوت أنسي * وقات أقنع من الغربه * بحسن الأوبه * والزم وكري * فهو لي جنه * بل جنه * وأجانس فكري *

(١) اشارة الى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ

واحسن

وأحسن ظنه * بلا منـه * ـ فقال انك لم تر غـير هذا الشهم * سماء اخوانه * وبدر خـلانه * وسحاب جيرانه * صائب الفهم * المغنى الوجـيز * عبـد العزيز * الحافظ المجيز * الواله بالجود * حسن الخلق والخلق * محب الصواب والحق * باب الوفاء والصدق * ذي السير المحمود * والرأي الصافي * والعقل الوافي * والقول الشافي * نعم وان كان شمس الاماره * ومعدن الكرم * وثابت القدم * بل المفرد العلم * الا انه لم يجلس لهذه التجاره * وانما هو ذو مقام عالي * يشتري اللآلى * بالثمن الغالي * والا فصـناعها في هـذا المصر * كثيرو العـدد * قليلو الرشـد * عادمو المـدد * لا لفقد المشـتري في هذا العصر * بل لسعي الاجـلاف * في غش الاصناف * مع عدم الانصاف * فشقي كل بفعله * وانكسر جمله * وخاب أمله * وضل عمله * فلم يبق منهـم على أصله * سوى من لاذ به البديع والتجا * ولم يرض منه بمسكن غـير الحجا * حتى أمن من السـفلة ونجا * من رضع قلمه ثدى البيان * فجرى في بحر الادب وخط * وسار بالسـلامة من شط الى شط * ولم يدركه عطب قط * فنظم فكره عقود الجمان * وحلى بالدرر * النحور والغرر * بل الطرر * العالم المـدقق * بدر هذا المصر * ولسان الادب في مصر * السيد على أبو النصر * زكي محقق * امام كبير حافظ خبير * ليس له نظير * ـ فانه ان تكلم أوجز * وان أنشأ أعجز * وان وعد أنجز * وان سكت هابته القلوب * ليس في مجلسه شغب * بل كله طرب * في أدب * بكل أمر محبوب * وفيه من حسن الاخلاق * ماتحلى به الاذواق * بل الاطواق * في الرقه وعنده من المعاني * حصن الاماني * محكم المباني * بكل دقه * فهذاقوي الجلد * طاهر الخلد * أديب البلد * أبو الفصاحه * ابن الشرف * وخدن التحف * مباهي السلف * بحسن السماحه * نظمه نظم اللآلى * ونجمه بدر المعالي * وحظه مـدح الموالي * وحليه الذوق السليم * والطبع القويم * يقول الزجل * على عجل * بلا وجل * بأفصح لسان * وبالسجع * يداوي الصدع * ويشنف السمع * بأوضح بيان * ـ ويليه صاحب الحماسه * والفطنة والكياسه * روض البديع * وثمرة أفنانه * مجلي عرائس الابكار * في خـدور الافكار * لكل مقام رفيع * من قومـه واخوانه * الذي طلع في سماء

المعارف شمساً * وطاب برقائق الاقوال نفساً * وأرضع العلم لليراعه * فنطقت بأحسن براعه * زاحم من تقدم حتى جلس في الصدر * وسهر الليالي حتى رأى ليلة القدر * ففاق الجماعه * في هذه الصناعه * تمشي المعاني تحت ظل ركابه * وتجري البلاغة طبق أمر جنابه * فانه زينها حتى تحلت * وزفت في الوجود وتجلت * خاتمة أهل الادب * وقاموس لسان العرب * من سحت سحب معانيه فأروت * محمود أفندي صفوت (١) فهو المشار اليه بالبنان * المنفرد بالبيان * في الرقائق الاديبه * والمحاسن العربيه * لم يلحقه في هذا الميدان فارس * ولم يدرك معارفه ممارس * وانسجام البديعيه * يقضي له بالافضليه * مع بقية غرائبه الشهيره * وكواكب سمائه المنيره * التي ظهرت للعيان * فابصرها العميان * لاينكرها الا الجاهلون * ولا يعقلها الا العالمون * ويليه الشاب الذي غرس غصن القريض فأثمر * وأطلع هلال البديع فأقمر * وفوق سهم الاجادة فأصاب الغرض * وعالج جسم العروض حتى نقه من المرض * اللوذعي السري * المدره الجري * مجلي من خدور أفكاره كل بهنانة رعبوبه * ومبدي للوجود كل آية أعجوبه * المرجف بفخامة لفظه قلوب المرّان * والمخرس بجزالة نظمه السنة الخرصان * من رق حتى استعبد حر الكلام * وعف حتى تشربته قلوب الكرام * ان جلس للانشاء جثا سحبان على ركبه * وان اعمل قلمه كف قس عن خطبه * غيث البديع الهامي * محمود بك سامي * (٢) - ويليه بستان الكلام * وعنوان الكرام * الشاب الذي شمر عن زند الفهم وحسره * وحمل على جيش المعاني فأسره * البارع الذي فاح عطره على المعارف فنشقته * ورأت بنات الافكار جمال ذهنه فعشقته * الفاضل الذي ألفته اللغة العربيه * وعرفته المعاني الاديبه * فطلع في سماء العلم بدرا * وجرى في فيافي الفنون بحرا * الاديب الذي سمعه بلبل الذوق فافصح * ورآه زهر البديع فتفتح * ولزمته المحاسن لزوم النور للبدور * وهامت به المعارف هيام النفوس بالسرور * خد البديع المورد القاني * الشيخ أحمد الزرقاني - * ويليه الامير الذي دعا الادب فلباه *

---

(١) الشهير بالساعاتي السكندري اصلاً

(٢) محمود باشا سامي البارودي رئيس مجلس النظار في الحوادث العرابية ونزيل سيلان الآن

وساسه حتى رباه * فظهر للوجود بدراً مابه أفول * وغصناً لم يعتره ذبول * فهو بين أهل الصناعة الرئيس * والجوهر النفيس * نظم من المباني أرقها * ومن المعاني أدقها * الشاعر الناثر * المجيد الماهر * من غاص بحر الادب واستخرج الصدف من قاعه * وحاصر جيش البديع حتى صار من حزبه واتباعه * عقد جيد الزمان الفريد * محمد بك سعيد (١) فانه امتد في البلاغة باعه * فأعيا معاصريه اتباعه * - وأفضلهم بستان العلم * وزهر الحلم * مجري جياد أفكاره في كل ميدان * محلي بجواهر ألفاظه كل ديوان * رامي نبال وعظه الى الاحشاء * ومفوق سهام بديعه الى الانشاء * حامل لواء العلوم العقليه * وقائد جيوش الفنون النقليه * مطلع شمس الاماني * ومبارز فرنسان المعاني * الهمام الذي ان أطنب أطرب * وان أعرب أغرب * اللوذعي الذي ان ألف * لم يتكلف * بل يجعل الانسجام * زينة الكلام * وان نثر كر بهجوم * على سرايا النجوم * فالنثر كتاب هو عنوانه * ولبه ملك والنظم ديوانه * نفث في المعاني نفثة ماهر * لا نفثة ساحر * وخدم الفنون خدمة مجدي * لا خدمة مكدي * ورواه الصدق بنهله * حتى اعترف بالفضل لاهله * من ملأت من دنان أدبه اقداح سكري * عبد الله بك فكري (٢) فهو واحد الدنيا * وممتطي العليا * فهؤلاء هم تجار البيان * ونبلاء الزمان * لا تنشر الرقائق الا عنهم * ولا تقتبس المعارف الا منهم * ومن عداهم رعاع * لم يضيء لهم شعاع * يسرقون الكحل من العيون * ويمزجون الجد بالمجون * فساق في صفة عباد * وسفلة في هيكل زهاد * ثياب منقوشه * وعمائم منفوشه * (واعباب) كبيره * ممتلئة كبيره * لا يعرفون من العلم الا اسمه * ولا من الادب الا رسمه * ان رأوك على بساط الادب تطفلوا * فان أخذت في البحث تنصلوا * على ان شهرتهم أكبر من الاجرام * ولحاهم أطول من ألية الاغنام * فعلمت انه التزم الصدق * وقال الحق * وعجبت من حسن قريحته * وشكرته على نصيحته *

﴿ التنور المسجور ﴾

---

(١) نجل المرحوم جعفر باشا مظهر

(٢) المرحوم عبد الله باشا فكري ناظر المعارف المصرية سابقاً

وهي رسالة وضعها أيام صباه أيضاً في المفاخرة بين السفينة والوابور وكانت مسودتها قد تمزقت وبقى منها جانب اعتنينا بتبييضه وان لم يكن تاماً حرصاً على مافيه من الفوائد قال

حديقة معاني * ونادي مغاني * وبستان أفكار * به قصور أبكار * وجياد تجري بفوارس الالباب * وعروس تجلي وكانت دونها أبواب *

تسحر اللب ان تأمل فيها * بمعان تمر خلف معاني
رافعات على البديع بنودا * ساحبات على البيان يماني
مثل جيش اجابه النصر يوماً * فتوالى كأنه الملوان

فكاهة نفوس * وزينة طروس * هزلها أدب * وجدها طرب * ان سئلت أوجزت * فان سألت أعجزت * لو أقمت لها حكماً * وجدها كلها حكماً * بكر ما نيط عنها سجف * ولطف مركب من لطف * لايمل منها نظر * ولا تسأمها الفكر * لم يحم حولها فهم * بل ماترق لها وهم * ولا تصورها عقل * ولاحواها نقل * محاوره * في مفاخره * تأليف عجيب * وتركيب غريب * سر ضاق به الصدر * وصبح نم عليه الفجر * بحر كله درر * وأنجم كلها غرر * بل روض كله ثمر * وسماء ماغاب لها قمر * سفينة مشحونة برقائق * وساعة لم يخلها الدهر بدقائق * اكليل بديع رصعه الفكر بجواهر * وبدر تم باتت له الالباب سواهر * ولست أعني بها جواهر لعبت بها القيان * ولابدورا سترها الكسوف عن العيان * وانما هي عقود سلوكها لطائف * في جيد آداب تخدمها من ابكار المعاني وصائف * الطف من النسيم في الرقه * وأحكم من الفكر في الدقه * وأفصح من قلم روى حديثه عن المحابر * وأوقع في النفس من خبر دعا أميراً الى المنابر * تتزاحم فيها المعاني مزاحمة الشفاء للامراض * وتحن اليها النفوس حنين السهام الى الاغراض * بكر صداقها الصدق * وأنسها الرجوع الى الحق * لا يكشف لثامها * ويفض ختامها * ويحظى بوصلها * ويفتخر بأصلها * الا من رغب في صحبتها * فبادر لخطبتها * ليرى نفاسة حليها * وبراعة وليها * فانه قال

أرسلت فكرى في ميدان المفاخرات * ودخلت به حومة المحاورات * فرأيت

كل ضد زاحم ضدا * وكل لبيب نظم منهما فرائد وعقدا * الا السفينة والوابور فانهما لم يتفاخرا في جمع * ولا حاول ذلك بينهما فكر ولا سمع * ولا حواه منقول ولا مأثور * وليس لهما ذكر مسطور * فسرحت في حالهما النظر * وأطلقت فيهما سراح الفكر * فرأيتهما جاسا يوماً للمناظرة والفخر * وقابل كل صاحبه بقلب كالصخر * وطلبا الركوب للبراز * والدخول في ذلك المجاز * فشمرت السفينة عن الذراع * و سحبت طرفها ونشرت الشراع * واعتدلت ومالت * وابتدأت وقالت

حمداً لمن اسبغ على عباده جزيل الانعام * وسخر لهم من فضله السفن والانعام * وجعلهما مطيتين لحمل الارزاق والاثقال * وحافظين للذخائر عند السفر والانتقال * وامتنّ بهما على عباده وهو عليم بما يصنعون * فقال تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون * وصلاةً وسلاماً على من أسفرت أسفاره عن عظيم اخلاقه * فانفتح بتوجهاته الشريفة باب السياحة بعد اغلاقه * وآله وأصحابه الذين تحملوا في الغزوات مشاق البرد والحر * واقتحموا في نصر دينه عقبات البحر والبر * وبعد فان المخترعات في الدنيا كثيره * وقد صارت سهلة بعد ان كانت خطيره * ولكن من المعلوم لكل عاقل * عارف بأحوال الاوائل ناقل * ان شكلي أول غريب ابتدع * واحسن عظيم اخترع * ما تقدمني سوى الحيوان والكواكب * وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب * وكان البحر قبلي ظالمة ماطلع لها فجر * ولا انشرح لها صدر * بل غرضاً ما أصابه سهم * ومعنى ما ترقى له وهم * حتى أمر الله نبيه نوحاً بصنعي * وعلمه تركيب ضلوعي عند جمعي * فبذل فيّ جهده * وباشر عملي وحده * وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون * فقال تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون * فاستمر حتى أتم عمله * وحقق رجاءه وأمله * وأنزلني البحر عروسا * وأطاب بي نفوسا * فتلقاني البحر على راسه * وجريت بين روحه وأنفاسه * وصار كل غريب حاضراً لدي * وكلما تلاطم البحر ضربته بيدي * لا ترهبني منه الامواج * ولا تردني عنه الابراج * أحمل الذخائر والارزاق * وأجمع الاحباب والعشاق * ومع ذلك فان أصلي معدن الثمر * ونزهة الارقاء عند السمر * فمن له أب

كأبي * ومن قبلي صنعه نبي * فمجدي شامخ ومجد غيري متهدم * والفضل كل الفضل للمتقدم * فالتهبت احشاء الوابور بفحم الحجر * وصعدت أنفاسه مشوبة بشرر * وزمجر وكفر * وصاح وصفر * وجرى حتى خرج عن الشريط * وقال السكوت على هذه من التفريط * ثم كر بعجلة وجال * وابتدأ راداً عليها فقال *

الحمد لله خالق كل موجود * الذي شرفني بالذكر قبل الوجود * حيث امتنّ على عباده بخلق عليها يحملون * ثم قال ويخلق مالا تعلمون * ويستأنس لي بقوله وخلقنا لهم من مثله مايركبون * ولا يغفل عن ذكري الا الجاهلون * والصلاة والسلام على من تكلم بالمغيبات من غير شك ولا التباس * المنزل عليه وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس * وأصحابه الذين اتخذوا من معدني دروعاً وتيجانا * وقاتلوا بها حتى أظهروا ديناً وأرضوا ديانا * وبعد فالوقوف عند حد النفس انصاف * والخروج عنه من قبيح الاوصاف * الفخر لايكون الا عن كبر أو غباوه * وهو أول داع للحرب والعداوه * فكم أثار حرباً وأضرم نارا * وكم هدم قصراً وأباد دارا * ولكن شرٌّ أهر ذا ناب * وكوّة فتحت بها أبواب * فاني ما كنت أظن أن السفينه * الحقيرة المسكينه * تخرج من الاجراف * وترفع في وجهي المجداف * ولكن قد يلقى الانسان ضد أمله * والمرء مجزي بعمله * ومن سل سيف البغي قتل به * وأهم أمريك الذي أنت به فانتبه * فقابل أعداءك بأردا الحجاره * واياك أعني فاسمعي ياجاره * فانك وان كنت أول عمل للخلق * وصناعة نبي بوحي الحق * الا انك حمالة الحطب * قريبة العطب * ان هبت عليك نسمات * هلك من فيك ومات * وان كتبت لك سلامه * فلا حباً ولا كرامه * وان كسر ضامك فار * علا فيك الماء وفار * بم تفخرين وأنت مكتفة بالحبال * وخدمتك ينادون بالوبال * ان سلكت طرق الامن ارتجفت القلوب * وان ساعدتك الصبا اهلكتك الجنوب * تغرقين ان زادعليك (طرد) * وتهلكين ان نزل عليك (شرد) * فان أبيت السير سحبوك على وجهك * وان كلوا تركوك وباتوا على قلبك * ما أقبح أصوات الاوباش * حين يصعدون لسحب القماش * وما أفظع تلك الضجه * (اذا شحطت) وسط اللجه * كم عقت محباً عن حبيبه * واحرمت تاجراً من نصيبه * وكم جعلوك مطية

للفساد

للفساد * وآلة لهلاك العباد* فان كنت ذكرت في الكتاب صراحة فقد ذكرت ضمنا * وان ظهرت قبلي لفظاً فقد كنت معنى * ما تأخر لتاجر عندي سبب * ولا حرم من صاحبني بلوغ أرب * طريقك معوج وطريقي مستقيم * لا يملني صحيح ولا يسأمني سقيم * فسحبت السفينة (المداري) * وقالت له (باري باري) * كم تعرض وتصرّح (واصفح واصلح) * ولكن مهلاً ياأبا لهب * فقد خرجت عن الادب * ولا بد ما (ارسي) على برك * وأحرقك بلهيب جمرك * حصرت بين (عجل وقضيب) * ووقعت في حميم ولهيب * وتغذيت (بالخشب والفحم) * وتفكهت (بالزيت والشحم) * وتولعت (بالمشاقة والكهنه) * وتحليت (بالنقش والدهنه) * وتمكن الغيظ فيك وانحبس * حتى صارفيك (نفس) * وجئت تقول اني حمالة الحطب * وانت حمال النار واللهب * واني قريبة العطب * وانت أبو البلايا والكرب * ان جريت فضحت عرضك * وان وقفت تاكل بعضك * وان صدمك شيء هلكت * ووقفت وما سلكت * وان كسر (ذراعك) وقعت * وقليل ان طلعت * وان دخن أنفك تعمي صورتك * وان ظمئت يوماً طقت (ماسورتك) * تجري في الخلاء والقفار * وتقول النار ولا العار * ماأوسخ رجالك * وأضيق مجالك * يامفرق الاحباب * ومفزع الركاب * غريقي أرجى من حريقك * وبحري أنجى من طريقك * كم هرست من شخص وطحنت من حيوان * وخلفت راكباً وتركته حيران * وكم جعل رجالك الناس مسخره * اذا لم يجدوا معهم (تذكره) * وكم أضعت على تاجر فلوسه * اذا فقدت منه (بوليسه) * أعلى غير (الشريط) تجري * فضلاً عن لجي وبحري * ادخل نفسك في (مخزن الوفر) * (وفضك من النفخ والصفر) * تفتخر على أغصان الطعوم * وأنت (حديد يامشوم) * ولئن سرت على (عجل) * فقلوب أهلك في وجل * اما علمت ان العجلة من الشيطان * وان الباغي جزاؤه النيران * شغلت بالاكل والتمني * ففاتك الرفق والتأني * وبالجملة فاني سابقة هذا الميدان * ولا ينتطح فيها عنزان * فتحرك الواود تحرك ناقد * وتنهد تنهد حاقد * وقطع (قطره) وأبى (شحنا) * وقال أسمع جعجعة ولا ارى طحنا * أبعوض تطن في أذن فيل * وصورة تعد في التماثيل * ولكني

قد أبيت مخاطبتك وعفت * وكرهت وجهك المدهون (بالزفت) * فان حالك حال الجيران * وصباحك صباح (القطران) * وكيف أفاخر امرأة عقلها في (موخرها) * وهلاكها في تمزيق مئزرها * تقاد بحبل طويل * وتنقاد لادنى (عويل) * يديرها (شاغول) * وفكرها مشغول * تتبع هواها في السير * ولها جناح كالطير * أمية وفيها (قاريه) * ويد عاجزة لها (باريه) * ثالثة العيرين في ذل (الوتد) * حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد * اه

﴿ طالع الكرامه بحسن السلامه ﴾

وهي رسالة كتبها الى أستاذه المرحوم الشيخ محمد العشري وقد بلغه انه كان راكباً عربة مع بعض الناس في زمن المطر فوقعت بهم العربة ونجا الشيخ منها سالمًا وأصيب الذي كان معه فكتب اليه بعض الاخوان من الاسكندرية يهنئه بسلامة الاستاذ وكان اذ ذاك بنبها فكتب الى الشيخ هذه الرسالة وهي سجعات مختلفة الاوضاع والاوزان من مبتكراته كما سيظهر للقاريء

منحتنا اللهم سلامة الروح فلك الحمد على هذه المنحه * حمداً بلا عد * ووهبتنا صحة لب البيان فلك الشكر على هذه الصحه * شكراً بلا حد * يلوح بدره * ويفوح عطره *** روح هو عين الحياه * ومدد العقل * ولب هو منطق الشفاه * وسند النقل * طال عمره * وجال أمره *** غذاء النفوس * وبهجة المهجه * ونور الشموس * ومهجة البهجه * أمنا سره * وعمنا بره *** استاذي وقدوتي * وعين بشرى * وملاذي * وعمدتي محمد العشري * قام ذكره * ودام شكره ** سيدي * ومجيري * ومؤيدي * ونصيري * يخصك التحيه *** غرس بستانك * وغصن رقك * وزهر احسانك * وثمر دقك * الطيبة الشهيه *** ويهدي لسيادتك * الرفيعة الشريفه * ويعرض لسدتك * المنيعة المنيفه * سلام لسان وجنان *** ويميل لرأفتك * وعظيم فضلك * بل الى رحمتك * وعميم عدلك * ميل حيران ولهان ***

رُمي بالعناء وطول التنائي * على انه مخلص في الوفاء

لعبت به الاشواق * في مصارع المشاق * لعب الراح * بالارواح * في مجلس الانس *

وجرت به الاتواق * في ميادين الاذواق * جري السحاب والارواح * في حومة الشمس *** وقاده الهيام * الى باب السلام * فظللته الارواح * وطابت النفس * حتى طرق الباب * وتقدم للجناب * فكتب في الالواح * مزيل اللبس ***

صار عين البديع بحر المعاني * باب كنز الفنون سر البيان

وما زلت تغمسه في ألوان الفنون * حتى انصبغ * وتنشده الجد والمجون * حتى نبغ * وجرى خلفك * في ميدان النباهه * وصار الفك * في العفة والنباهه *

قد كابد الصبر حتى صار مطعمه * لا يسأل الناس الحافاً والحاحا

ان تكلم بلسان * فبيان * من جنان * وان خط ببنان * فباحسان * عن عرفان * وان انتسب * فنعم النسب * مع الحسب * ولا عجب * فالى العرب * فن الادب *

آباؤه الغر أهل الجود والكرم * وكلهم غاية في الحلم والكلم

ربيت فأحسنت * وغذيت فأسمنت * مؤدباً ليثا *** ولنت فسودت * وجدت فعودت * مهذباً غيثا *** وعلمت فأفهمت * وأثرت فألهمت * غرض سهمك *** وقد نلت ما أملت * فيمن عليه عوّلت * بحسن فهمك ***

غلامك الشهير بالنديم * من صار في البيان كالنسيم

وكيف لا يكون لساني قوس البديع * وكلامي السهم السريع * وانت باريه ورامية ***
أم كيف لا يكون مقامي الحصن المنيع * وقدري العزيز الرفيع * وانت معليه وبانيه ***
فوجه جمال العلم انت غرّته * وانسان عين الحلم انت قرّته * وحاليه وجاليه *** وجبين العقل انت طرّته * وكتاب الفضل أنت صورته * وطاليه وتاليه ***

على بابك العالي من الفضل راية * على رأس أرباب المعارف تخفق
فعلمك جنات وحلمك جنة * وكلك خيرات وغيثك مغدق
أرى غصن من يدعو الى الفضل نفسه * من الفضل عرياناً وغصنك مورق
اذا رمت انشاءً فمن صدق فكرة * تهادي بأبكار وغيرك يسرق

ثم أنهي لفضيلتك وحضرتك السنيه * ماوصل اليّ * فأوجب الشكر عليّ * مادمت حيا *** وهو سلامتك من تلك البليه * بمعرفة العربيه * وقد وقع في الري * من

أدركه العي * ولم يع شيا *** أدخله التقصير * في جمع التكسير * فكنت في جمع السلامه * تحية وكرامه * اذ كنت تقيا *** وظهر ذراعه الكسير * ظهور الضمير * ومذ رأى أولاده آلامه * وفهموا كلامه * صاحوا بكيا ***

قد أتى أهله فساءت دياره * اذ وهت رجله وبانت يساره

ولو جاءهم الخبر * في الابتدا * لطلبوا الفدا * وقالوا انقبر * هل للصدى * رد الندى * ولو سلك الفحل * طرق الهدى * أمن الردى * وما وقع في الوحل * وترك العدا * تجلو الصدا * فالحمد لله على السلامه * والنعمة والكرامه * اذ انقذ عمدتي * وانجد منيتي * فانه باب السلام * وبدر التمام *

﴿ نار الغدو وثار العدو ﴾

وهي رسالة من غرائب المنثور فانها سجعة وآية قرآنية مع تمكن الدخول على الآية من غير خروج وقد كتب بها الى صديقه المرحوم عبد العزيز بك حافظ تنبيهاً وايقاظاً حينما رآه يجتمع ببعض المغاربة ويشتغل معهم بخرافات باطلة واوهام ما أنزل الله بها من سلطان

لا حول ولا قوة الا بالله * اشتبه المراقب باللاه * واستبدل الحلو بالمر * وقدم الرقيق على الحر * وبيع الدر بالخزف * والخز بالخسف * وأظهر كل لئيم كبره * ان في ذلك لعبره * سمعاً سمعاً فالوشاة ان سعوا لا يعقلوا * ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا * فكيف تشترون منهم القار في صفة العنبر * وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر * وكيف تسمع الاحباب لمن نهى منهم وزجر * ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر * عجبت لهم وقد دخلوا دارنا وهم عنها معرضون * فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون * فقابلوهم بنبال الطرد في الاعناق * حتى اذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق * أيدخلون بما لا ينفع * في بيوت اذن الله ان ترفع * سيعلمون مقام الهبوط والعروج * يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج * ويقولون اذا لم يجدوا ملاذا * يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا * فانهم عزموا على الاقامة مده * ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عده * وانت يا عزيز العليا * ووحيد الدنيا * قد بينت لك فعلهم * فبما رحمة

من

من الله لنت لهم * ولكنهم طمعوا في عميم طولك * ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا
من حولك * أتراهم يعقلون كلامك أم يفهمون * لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون * لهم
قلوب لا يدرون بها للحسد قرارا * لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا * واني قد شيدت
لك بقلبي حصنا صعبا * فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا * نسيت بالعاذل
جميل الصوت وأنكره * وما انسانيه الا الشيطان ان أذكره * رميت ايها العاذل بسيف
الغدر في نحرك * اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك * فان لم ترجع عن السحر وفعله *
فلنأتينك بسحر مثله * كيف يسمى العاذل بين النديم والفه * وقد خلت النذر من بين
يديه ومن خلفه * فيا سادتي دعوني من المعجب والمطرب * ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب * واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسلولا * وأوفوا بالعهد ان العهد كان
مسئولا * فانهم ان قالوا كذب النديم او بطر * سيعلمون غدا من الكذاب الاشر * وها قد
صار أمر الحزين عندك جليا * اي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا * أتظن عهد العاذل عند
غضبك لا ينكث * مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث * على انه لكم عدو كبير *
ففروا الى الله اني لكم منه نذير * فانه جمع لقتالك الاولاد والاحفاد * وآخرين مقرنين
في الاصفاد * تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه * فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم
يلقونه * وظني ان وصل اليك كتابي انهم يطردون ويردعون * وحرام على قرية أهلكناها
انهم لا يرجعون * ايعجبك اذا مشى هذا اللاه * ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله * وانك
وان فرحت بعلم ما يجهلون * قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون * فان قلت ان
اجتماعي بهم لاجل الصدقة اوشيء من هذا القبيل * انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل * على انه لا تحل
الصدقة لذميم * هماز مشاء بنميم * وطباعهم كما تعلم منكرة مستقذره * كأنهم حمر
مستنفره * فرت من قسوره * وقد قال وفائي خاطب عزيزك هذه المرة وان لم يعمل
فيك فكرا * وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى * فقال لساني ان الود هو
الرسول المأمون * فارسله معي ردءاً يصدقني اني أخاف ان يكذبون * فقلت سيروا مع
المحبة ذات الفتوه * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه * وقولوا له عند الغايه *

قد جئناك بآيه * ولا تهابوا جيش الاعداء وان كبر * سيهزم الجمع ويولون الدبر * ولا تظنوا من ظاهر الامر حلول البلوى * اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى * بل قاتلوهم قتال المستشهدين * وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين * واذا اشتبك القتال فليذب كل منكم عن مولاه * وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله * فسيروا ودعوا الاولاد والجنه * وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنه * ولا تسألوا عن الميرة من أصله * وان خفتم علية فسوف يغنيكم الله من فضله * فان الله قد أثاركم لقتال العذال العائبين * ليقطع طرفا من الذين كفروا اويكبتهم فينقلبوا خائبين * واحملوا عليهم فانهم متى طعنوا في جنوبهم * رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم * ولا تدبروا اذا أريتموهم اقدامكم * ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم * وان أخذتم أسرى فقاتلوا أنصارها * فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * فان أطعتم رفعتم واصلح الله بالكم * وان تتولوا يستبدل قوما غيركم * ثم لايكونوا أمثالكم * وسألوا في خطبتكم عند قدومكم سالمين * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين *

﴿ استعطاف المقرّر قاب المحرّر ﴾

وهي رسالة مسجوعة بعث بها الى المرحوم الشيخ أحمد عبد الرحيم محرر الوقائع المصرية سنة ١٢٨٩ وسببها انه كان قد نظم قصيدة بديعة في مائة بيت وخمسة ضمنها وصف الافراح التي قام بها ساكن الجنان اسماعيل باشا الخديو الاسبق لانجاله احتفالاً بتأهلهم وقد أتى فيها على شرح ماجرى في تلك الافراح بالتفصيل وارسل بها مسودة الى ذلك الشيخ لينشرها في الجريدة الرسمية فتداخل بعض حساد النديم وكلفه ان لا ينشر منها الا القليل فنشر منها سبعة أبيات فقط ومزق المسودة فضاعت ورقاً وحفظاً وكان مطلعها

بيت السعادة مطلع الافراح * دامت سلالته غذا الارواح

وشطرة التاريخ
(نور الخديوي ادوم الافراح)

اما الرسالة فهذه هي

راكب جياد الآداب * في ميدان المعاني * ومطلع بدر الالباب * في سماء الاماني *

وباري قوس الملح * لصيد البيان * ورامي سهم المنح * لغرض التبيان * ومنتضي سيف الايضاح * لحسم المشكلات * ومفوق نبل الافصاح * لفصم المعضلات * لسان سمر يطرب العقول بلفظه * في ثغر قمر * يشرح الصدور بوعظه * لزم الادب لزوم الممنوح للشكر * فخدمته البلاغه * وقام بالانشاء قيام المعاني بالفكر * فأحسن الصياغه * فما ترى الا جواهر في جيد عرائس * تجلى على الاذهان * وكنزا ينهب منه النفائس * انسان كل انسان * ان قلت نبيه في فصاحة سحبان * خطأك حسن نسج لسانه * أو قلت بلاغة زياد بن أبي سفيان * كذبك لطف تطريز بنانه * وانما هو سرٌ ضاق صدر الادب عن كتمانه * فاظهرته البراعة ظهور البدر * وكتاب بديع عرف بعنوانه * كما عرفت بالنور ليلة القدر * فانهم وان تقدموه في الوجود * فكم تقدم الصباح فجر كاذب * وان حازوا أصول البلاغة والجود * فكم سبق العروس خاطب * كيف وهو ثمر أفنان المعاني * وزهرها العاطر * وبدر سماء التهاني * وغيثها الماطر * مجلي أبكار الافكار * على كل كفؤ نبيه كريم * فمن يتوهم الانكار * على مخاطب أحمد عبد الرحيم * محرر الوقائع المصريه * وحافظ الحوادث العصريه * وما على النديم اذا وقف ببابه * كباقي الشعراء * وعرض على رحابه * تهنئة الامراء * أظنه يحظى بمشاهدة جلاله * ويتروح بتلك البدائع * ويذكر في طبقة أمثاله * ضمن صحف الوقائع * فاني أمرت بذلك وما تكلفت * كبعض الطفيليه * فقالت فكرتي هلا نظمت درا والفت * في الحضرة الخديويه * أما ترى سماء اجلاله * وسحبه الصيبه * منيرة هامعة بانجاله * في حياته الطيبه * انظر الى الافراح * في ديار مصر * وابتهاج الارواح * في رحاب القصر * ألست مستظلاً بهذه الدوحة العظيمه * دام ظلها * وغارقاً في بحار نعمها العميمه * فاض نيلها * ألم يك أحب اليك * ان تشمر عن الذراع القصير * ولا بأس عليك * فلك اسوة بكثير

وماعليك اذا ما قلت تمدح من * في مدحه يحسن الانشاء والكلم

فما أراد بليغ مدح سيده * الا تسابق فيه الفكر والقلم

فثرت وحقك من نومي بهمه * كأني عثرت على كنز لآلي * وصرت أهجو التأخير وأكثر ذمه * على فوات تلك الليالي * ولكن رأيتني ان دنوت من القول شبرا أخرتني

الاشغال ميلا * فيغيب بدر فكري في محاق الافول * فان ذكرت نزرا من نعم سيدي اوجميلا * أرى الذهن صفا ويحب أن يقول * وما زلت على هـذه الحال * عدة أيام لا اذوق المر والحال * ولا طيب المنام * فناداني لبي عند ذكر الطول * وقال ما هذا الاهمال *

(جبنت وما عهدتك بالجبان)

فقلت له اذا الزمتني القول * مع ملازمة الاشغال *

(أر لي فكرتي وألن لساني)

فوربك لقـد رأيتني تحن اليّ المعاني حنين السهام الى الاغراض * في ملاعب فرسان * وتزاحمني الغرائب مزاحمة الشفاء للامراض * في مسالك أبدان * فقمت بليلة طلع بدرها وقت الاصيل * فلم أر فيها ظلمات * حتى مال عليّ الفجر بخصره النحيل * وما بقي الا كلمات * فشربت على ذكر سيدي راحات الراحات * برهه * وأجلت فكري في تلك الساحات * نزهه * فرأيتني تناشمت من شراب تلك النعم * حتى كاد يفترسني النوم * فما نمت ولا سعت لي قـدم * في صباح ذاك اليوم * بل قلت لا بد للسكران من كاس * لعله من سكره يفيق * فأردفت كاسا بطاس * على محبة ولي عهدنا توفيق * ثم ملت الى شراب خدمة صدقها أصفى من اللجين * تستدعى لشربها الصالح الحليم فسكرت في مدح دولة الوزراء حسن وحسين * وأصهار الخديوي طوسون وابراهيم * ومن سكري بحبابهم * وشكري لجنابهم * ما قمت ولا ارتحلت * حتى أتممت ما ارتجلت * وسميتها خدمة المملوك * في تهانئ الملوك * وهي بفضل الله بمدحهم وافيه * وان صعبت القافيه * وكنت قد أرسلتها بجملتها الى ناديك * لتنشرها * فاضمّ هذه اليد الى أياديك * واشكرها * ولكن خاب الامل * بتعرض الحاسد * المتشاعر * فقل لي ما العمل * أيها الواحد * فانك آمر * لا أرى سبيلاً للوصول * غير العتاب * فقد ضاعت الاصول * وأغلق الباب *

درر النحله وغرر الرحله

وهي رسالة بعث بها من الاسكندرية الى صديقه الشيخ أحمد وهي

لك الحمد يا موفي كل عامل أجره * والصلاة والسلام على صاحب الهجره * وبعد فقد ألهمني خير من رحم * السعي في صلة الرحم * فخرجت آخر الصوم وقت العصر * من المحروسة مصر * بوابور يقطع الطرق قطع الصواعق للجو * والغيث للنو * كلما أطعموه نفر * وزمجر وصفر * حتى اذا التهب قبسه * وطلع نفسه * أرسل الدخان خلفه ذوائب * والاخبار أمامه جوائب * ثم نبه رفقته للسير * وحثها على الطير * (١) وسار ولكن بحساب * وهي تمر مر السحاب * فما ندري اهو النعمان يوم عبوسه * أم الحجاج يمر على حبوسه * أم عنترة يكر على آسر عبله * أم الكسعي يشفع قوسه بنبله * أم جبان راى الصمصامة في يد عمرو * أم سياف صدر له من الخليفة أمر * تارة يرينا حملة عليّ على ابن ودّ * وهجومه على باب خيبر وقد سد * ويقول خذوا من اندفاعي * كيفية سير الافاعي * فما نعلم ابساط الارض يطوى على عجل * أم ليالي الانس تسرق الاجل * فانا كنا لا نظر في هيئته * ونعجب من مشيته * الا وقد عدل عن السير وكف * وأدرك المقصود ووقف * اذ ذاك يضيق عليه المجال * لكثرة النساء والرجال * والاطباء تجس نبضه * وتتعهد طوله وعرضه * فان وجد فيه اختلاج * بادروه بالعلاج * حتى اذا صح السقيم * وأخذ شهادة الحكيم * ودع القوم وثار * وأرسل العنان وسار * وأنا أقول فيه * لا كون من واصفيه *

نظر الحكيم صفاته فتحيرا * شكلا كطود بالبخار مسيرا
دوما يحن الى ديار أصوله * بحديد قلب باللهيب تسعرا
ويظل يبكي والدموع تزيده * وجداً فيجري في الفضاء تسترا
تلقاه حال السير افعى تلتوي * أو فارس الهيجا أثار العثيرا
أو أكرة أرسلتها ترمي بها * غرضاً فجلت ان ترى حال السرى
أو سبع غاب قد أحس بصائد * في غابه فعدا عليه وزمجرا
فكأنه المديون جاء غريمه * فانسل منه وغاب عن تلك القرى
أو انه شهب هوت من أفقها * أو قبة المنطاد (٢) تنبذ بالعرا

(١) المراد برفقته العربات المقطورة خلفه (٢) المنطاد هو البالون

لا عجب للنيران اذ يمشي بها * فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وما زال يقوم من محطة بعد محطه * وهو على نسق لا يخالف خطه * حتى شممت الشذى العنبري * من النسيم السكندري * فتحركت الاعضاء واضطربت * وأحست النفس بالسرور وطربت * وتلعثمت تلعثم المخمور * وحرت حيرة اليحمور (١) * وزناد الانس ان قدح أذكى * وهكذا السرور ان زاد أبكى * وما زلت أشرب السرور شيئاً فشيئا * واتفرس القصور هيئة وفيئا * حتى مزجت بالفرح * وتناساني الترح * فحصرت عن ان أقول شعرا * أو أكتب نثرا * بل اقتصرت على التمتع بنورها الطبيعي * وتروح الفكر بشكلها البديعي * فانها نزهة نفسي * ومركز أنسي *

(وأول أرض مسّ جسمي ترابها)

فلما انجابت عني الكروب * ودخلتها وقت الغروب * وجدت السماء عابسة اليها * والمزن حاقدة عليها * ترمقها بعين الانتقام * وتوبخها على فوت النظام * والذي أدركته من كلامها * وسمعته من ملامها * قولها : أيها الثغر المحروس * العامر المأنوس * جوك لله الحمد منير * وخيرك دون الثغور كثير * وبيوتك في غاية النظافه * وطرقك في نهاية اللطافه * ودرجة الكسب فيك عظيمه * وعاقبة الامور بك سليمه * وخيرك لم يكن قاصرا على القريب * بل هو متاح له وللغريب * والصحة فيك سهلة الحصول * اذ كنت معتدل الفصول * وفيك من الرياض والبساتين * ما هو جنة للناظرين * وحولك نهر وبحر كالحرس لك وقت العجاج * هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج * وفيك من قديم المصانع * ما يعجز كل صانع * وكم فيك من مسجد يشرح الصدر * وعباد كأن وجوههم البدر * وكتب العلم تقرأ فيك وتسمع * في بيوت اذن الله أن ترفع * وبالجملة فانك مصر الامصار * ونزهة الارواح والابصار * فلام تتعصب على أهل الادب * وتحرمهم القصد والارب * وتجلب عليهم بخيلك ورجلك * وتجشمهم المشاق من أجلك * حتى اذا ضاقوا وملوا * تركوك لجة وانسلوا * ورحلوا بالحريم والاولاد * واستوطنوا غيرك من البلاد * وهذه عادتك مع كل أديب برع * وأخذ

(١) اليحمور حيوان اذا رأى الماء دار به حيران ولا يشربه

في

في جمع شمل البديع وشرع * وليس هذا من الانصاف * ولا جميل الاوصاف * فقال الثغر ايتها السماء العاليه * ذات الدراري الغاليه * من عهد ما أنشأني الله من العدم * لم تزلّ لعالم فيّ قدم * ولا خاب له في الحياة سعي * ولا ضاع له بعد الممات نعي * ولا كدرت عليه عيشه * ولا قصصت منه ريشه * ولا ألزمته بكد * ولا ضربته في حد * وهذا ما اعلمه من نفسي * فلمَ حجبت عني شمسي * فقالت السماء ان كان ما تقوله هو الحق * ولم يعصك احد منهم ولا عق * فكيف ارتحل عنك لسان العرب * وأصل الظرف والطرب * غصن روض النباهه * وزهر ثمر البداهه * مقلد جيد الكلام بلآليه * ومحلى جبين الايام بلياليه * غارس أغصان البديع في رياض ذهنه * وجاعل أبكار المعاني في ضمانه ورهنه * من أرضع البلاغة ثدي فكره حتى تربت * ودعا بطون اللغة فهرولت اليه ولبت * حتى عرف الادب بخديم ركابه * واشتهر البيان بنديم رحابه * بليغ استجارت به الفصاحة من الاغبياء فأجارها * واستنجدته الغرائب فمبأ لها عساكره وأثارها * من تهافت عليه الرقائق تهافت الفراش على النور * وتحن اليه المحاسن حنين المؤمنين الى الحور * أديب رقت برقة كلامه الارواح * وتحلت بزهر معانيه الادواح * وانتثرت النجوم تشاكل نثره * وبدرت البدور تختلسه نظره * فضلت الشعرى في محاسن شعره * وابت الزهرة الا ان تسام بسعره * ونزل زحل من الافق الاعلى الى الحضيض * ووقعت نقود المشتري فاستنجد جاهه العريض * ونظر نعش الى بناته فكأنه ماولد * وحمل العقرب على الشمس وهي في بيت الاسد * فتدلت تدلي كفة الميزان * وغابت عن الوجود وقد لحقها السرطان * والبدور رأت وجوه ابكار افكاره كشفت * فأدركها ظلام المحاق لو قتها وكسفت * مجيد تلتذ بألفاظه المعاني * لذة الاسماع بالأغاني * قد شيد للبراعة أبياتاً على أحسن أساس * فدارت أبيات غيره البلاد تقول لامساس * لبيب يكاد قلمه ينطق بلسان * وفخامة لفظه تقتل بسنان * من أرضعته النزاهة لبانها * وسلمته القناعة عنانها * وقال الادب هذا الفاضل دون أهل العصر حسبي * العالم النحرير السيد احمد وهبي (١) *

(١) توفي رحمه الله يوم العاشر من المحرم سنة ١٢٩١ بعد وصول هذا اليه بنحو العشرين يوماً ومراثيه مذكورة في الديوان الثالث من دواوين شعري . مؤلفه

فانه نشأ فيك وتربى * ثم دعته الغربة فلبى * فلمَ لم تعظم له النحله * وتمنعه عن الرحله * أخرج حالة سهوك * أم كنت في حظك ولهوك * أم أنت زاهد في أهل الادب * وكاره لسان العرب * ام حظك موقوف على اهل العي * ورجال الفجور والغي * فقال الثغر أيتها السماء ما منعته من الزلال ولا صافيه * ولا اخرجته زهداً فيه * وانما لا يخفاك ان الجار * كساكن الدار * وقد اوصى النبي على اكرامه * ومواساته واحترامه * وانت تعلمين ان مصر المحروسه * ذات الرياض المغروسه * لها عليّ حق الجوار * وملاحظتها وقت البوار * وكان قد بلغني ان الادب فيها كسد * وعدم الروح والجسد * واندرس رسمه * وما بقي فيها الا اسمه * فساءتني هذه المصيبه * وخفت على تلك الحبيبه * فعينت لها هذا السيد المجيد * العالم الوحيد * ليجمع شتات هذا الفن * ويقطع باليقين رقاب الظن * ويحل معضلاته * ويبين مشكلاته * حتى يحيه من العدم * ويعلمه ولو للخدم * فودعته وقلبي طائر * وانسان عيني حائر * وسار حفظه الله حتى دخل مصر * واجتمع على أدباء العصر * فوجدهم يسمون شقشقة اللسان * عنوان البيان * ويرون البلاغة والفصاحه * في الهجاء والوقاحه * ويعدون الغلط الشنيع * من أنواع البديع * فتحركت فيه همة حفظ الود * وشمر حرسه الله عن ساعد الجد * وقام باعبائه * واجتهد في احيائه * حتى ظهر بهمته الشهيره * ظهور الشمس وقت الظهيره * فمالت اليه الناس * وتناولته بالكاس والطاس * حتى كادت تقتحم لججه * وتعرف من أين أخذ حججه * فعاقهم عن ذلك حب الظهور * واشتغالهم بحساب الايام والشهور * وميلهم للسعي والكسب * ولو بالنهب والغصب * ولكنهم اغترفوا منه بطريق الشوق * ما طهر منهم الفكر والذوق * وصاروا من أهل الادب لا الطلبه * ولزمهم هذا الاسم بالغلبه * فانسدت الطرق بالاشعار * وباعوها بأوهى الاسعار * حتى ملأوا البلد بيوتاً من غير تحكيم * فهدم أغلبها وضاع في التنظيم * ولم يظهر الا ما شيدته الاكابر * ظهور الخلفاء على المنابر * ولخوفه من ذهاب الادب بموت أهله (١) * ورجوع العالم لضلاله

(١) قد وقع رحمه الله فيما خاف منه فان ديوانه وبديعياته عثرت عليها أيدي المتشاعرين فاختلستها من التركة ليدعوا ما لم يكن مشهوراً فحسبي الله ونعم الوكيل . مؤلفه

وجهله * أنشأ في هذا الفن بديعيات عده * هي للمتأدب سلاح وعده * ودوّن في الشعر ديوانا * جعله للامراء ايوانا * ما غرس كدوحه غارس * ولادخل حومته فارس (١) * كيف وقد قاتل عليه بالرمح الرديني * حتى اشتهر بالشاعر الحسيني * وطالما بذل الهمة العلويه * في مدح الحضرة النبويه * فمن ذا الذي شاكله في فعله * ومن له فضل كفضله * كلا لم يدركه طالب * ولم يفته هارب * فانه امام الدنيا * وقبلة العليا * ولم أزل في وجد عليه * وشوق اليه * فانه من سوء الدهر وغدره * كان يشكو بصدره * فلم أزل أسأل عنه كل حاضر * وأراسله مع كل صادر * حتى حضر الليلة أخوه وخديمه * وصديقه ونديمه * فسكن روعي بما أبداه * وأوصله لسمعي وأهداه * من انه في صحة وعافيه * وأحوال صافيه * منعم بنزاهة نفسه * ممتع بضياء شمسه * قد فتح باب الادب بعد الاغلاق * واستغنى عن الخلق بالخلاق * لا يقول الا الحق الظاهر * ولا يخدم الا البيت الطاهر * فسررت بهذا الخبر * وألبسته عليه الحبر * واكتفيت منه بهذه الاشاره * فهي عندي أعظم بشاره * فقالت السماء أو حضر النديم لبلده * لزيارة اهله وولده * فقال الثغر نعم قد حضر * وسرني بهذا الخبر * فقالت السماء يلزمنا مقابلته بالملابس الرسميه * والامطار الوسميه * فقامت وقعدت * وبرقت ورعدت * وأرسلت السحب كالبحار * وسوّت بين الليل والنهار * فاستكنت في الاماكن الابدان * حتى تطهر الثغر من الادران * ثم طلعت الشمس بعد أربعة أيام * وامتلأت الطرق بالظباء والأرآم * فاردت الخروج للنزهه * واقامتي مع بعض الاخوان برهه * فرمدت بعيني اليسار * وأردت أن أزور فصرت أزار * فلما برئت من الرمد * أدركني الكمد * بخروج دمل تحت ابطي * كانه مخ الشرطي * فانه عاندني عناد السكارى * والزمني حالة الاسارى * وكبر الى ان صار كثدي الناقه * وآلمني بما هو فوق الطاقه * فاستعملت له اللبخ * حتى لان وانطبخ * ثم ضربته بريشة من الحديد * وشغلته بفتيل جديد * حتى تحققت انه برئ من سقمه * وتطهر من دمه * فقطعت الفتيل عنه * بعد فراغ الدم منه * فالتأم وختم * وضم ثغره وكتم * وبعد يوم ظهر في جهتين * وكنت

(١) في فارس التورية بالمرحوم أحمد فارس محرر الجوائب

في بلوى فصرت في بلوبين * فلبخت لهما أياما * وتحملت منهما آلاما * حتى صار استحقاق الضرب * ليزول عني الكرب * فضربت الذي لان بريشه * رجاء ان تصنو العيشه * فلا تسل عن ضرب الحكيم جسمي العليل * ولا تنس هول تفيير القتيل * وبعد يومين من فتحه * اكتحل الاصلي من قيحه * ففتحت عينه العميا * ورمت بالدموع رميا * فزاد الالم في يدي * واتسع حتى خفت على كبدي * وبين هاتيك الاحوال * مصائب وأهوال * منها ان الدم وقف باعضائي حتى يبس * وعدمت الاحساس لو بالنار لمست * ثم زادت الرطوبة حتى صرت كالبرد * وقد وهى جسمي كأنه انبرد * فتحقق لاهلي الموت * وضجوا بالصياح والصوت * وقد لزمتني الغمرات * وقامت بي السكرات * فكأني أنظر للروح تمشي مشية مدلّ بنفسه * وجسمي بعدها يتهيأ لرمسه * وعينك ما تصورت نفسي سوى باريها * ومعدمها وذاريها * ولم أكترث بعيوبي * ولا كثرة ذنوبي * بل انحصر رجائي في ربي * واتسع أملي في حسبي * فطلبت الماء وتوضأت * واستقبلت القبلة وتهيأت * فبعد برهة تداركني الله باحسانه * ولطفه وامتنانه * وعادت الروح للبدن * وشب جسمي من العافية وشدن * فادركت الجس واللمس * وتكلمت ولكن بهمس * ثم قلت الحركة عما بدأت * وسكنت الاعضاء وهدأت * فرأيت الفرح ينشر على أهلي راياته * والسرور يتلو عليهم آياته * وقد غصّ البيت بالجيران * وكثير من الاخوان * فلما تم لي الشفاء * ونوّر بيتنا الصفاء * تحركت الهمة القرشيه * والرأفة الاخويه * في شقيقي عاشق أفعالك * ومحب أهل الادب أمثالك * فأحضر جملة من حملة القرآن * ودعا ثينا من الاخوان * وأحيا تلك الليلة وليلتين بعدها * شكراً لله اذ أتم لهذه العائلة سعدها * واحيا لها عديمها * وانطق فيها نديمها * والوالدة الرؤوفة * المحبة العطوفه * ما صاحت ولا بكت * ولا ندبت ولا اشتكت * بل لم تحول عن القبلة ليلتها * فسبحان من قوّاها وثبتها * والناس يدخلون عليّ افواجا * فرادى وازواجا * حتى اذا طوى الليل بساطه * وحل النهار رباطه * نمت ساعة او ساعتين * وقت وقد شغل أبطي بالبلوبين * فما وجدت سبباً لانسي * وراحة نفسي * سوى مخاطبة مقامكم العالي * واستهداء عذبكم الحالي * فانه مرهم النفوس الجريحه * واثمد

العيون القريحه * فكتبت والألم يطاردني * والأمل يساعدني * شوقاً اليك * ونداء عليك * فادرك اخاك ولو بحرف * او شرف ولا تستكثر الصرف * وعلى أية حالة فالقصد لفظك * ورقائقك ووعظك * فالشفاء كلماتك * والصفاء ذاتك * ثم اني أعرض لسدتك السنيه * وحضرتك البهيه * اني مع هذا المرض الاليم * توجهت مرة الى الشيخ سليم * فوجدت العدوى سبقتني اليه * وتخلف في بيته بعينيه * فسألت عن داره * من جاره * فأفادني افادة ركيكه * وقال سل ابنه أو سل شريكه * فلشدة المطر * وخوفي من الخطر * رجعت الى مسكني ولزمت مأمني * وقلت عند الشفاء أرجع اليه * وأسأل عليه * حتى لا أعود الا بخبر صحيح * وقول صريح * فسجنت بعدها تحت العرش * ولزمت الوساد والفرش * وشربت صبر أيوب بالكاس * وأظهرت التجلد للناس * أسامرهم وأنا حريق * وأنجدهم وأنا غريق * وهم يضحكون وأنا الباكي * ويلعبون وأنا الشاكي * وقضيت على هذا عدة ليال * اسامر الصحب والآل * وقد صيرني الألم * كالرمح بل القلم * فكتبت ما كتبت * ودر ألفاظك طلبت * وأنا مخاطر بنفسي * مظهر لنقسي (١) * طامع في شراء الصدف * بردئ الخزف * واستهداء اللآلي * بالخلق البالي * ولكن عادة كل أمير * ان يخاطبه الصغير والكبير * ولطفه يشمل الكل * ولا يريهم الذل * بل ينزل ويترجل * ويحسن ويتفضل * فلا تؤاخذني بغروري * ولا تمنعني من سروري * وارمق الخادم بلحظك * وداو كبده بلفظك * فانه يستفتح باب أبياتك * ويقسم عليك بحياتك * وحاشاك أن تغلقها امامه * وتجعل جوابه حمامه * وأنت السيد حيثما كنت * فلله أنت ثم انت *

حفظ الودائع لدرر البدائع

(وهي رسالة كتب بها الى بعض اصدقائه شكراً على محرر وصله منه)

لبيك كوكب الصبح دام نداك * وسعديك نسيم الصبا طاب شذاك * وأهلاً بك يا نور النهار * ومرحباً بك يا نور البهار * فاني أرقت للقاء * مذ سمعت بالاسراء * ومازلت أسأل عن ركبكم في منازل البدر * واستفهم من ركبان النجوم حتى مطلع الفجر * فالشعرى

(١) النقس العيب

تقول تركتهم بتلك المرحله * وعطارد يقول تقدمتهم بمنزله * والمريخ يقول اناخوا ركائبهم * والمشتري يقول أثاروا نجائبهم * والدجى تقول ليلهم قمري * والزهرة تقول هم ادلاء على أثري * وكل ذلك وأنا هائم كحاطب ليل (١) * حتى طلع عليّ من جانب السحر سهيل * فهممت بتقبيله فأبى * وارتفع عني ونبا * فأشرت له بتلطف * وانشدته بتعطف *

سهيل انعطف وانزل بساحة مغرم * يراك بعين طول ليلتها عبرى
عسى يأخذ الاخبار منك عن الألى * سيصلى بهم جمر الغضا ولك البشرى

فسحب رداء التيه * وانشدني من فيه *

كأنك بالذكرى وقد بان ركبهم * اليك ونجم الصبح في القبة الخضرا
فشاهد محياه وقبل يد الصبا * لعلك باللقيا من الاصطلا تبرا

فقبلت أثره الف الف * وحولت نظره الى خلف * واذا ببريد النسيم يناديني * ودليل الفجر يناجيني * ويقول أنا الضمير المستتر * وما كنت تنتظر * فما لويت من وجهته جانبا * بل شكرته وان كان كاذبا * فلما رآني أجيب نداءه * وعيني تنظر وراءه * تلطف في الكلام * وانصرف بسلام * ثم اعقبه السيد الأصيل * والأمير الجليل * منبع الاشراق * ومعدن الأرزاق * منبه القوم من الغفله * ومانح الانام ظله * شارح الصدور * وباعث النشور * ينادي امامه الفجر الوضاح * سبحان فالق الاصباح * ونسيم الصبا يميس بحسن القد * ويعطر الوجود بنشر المسك والند * وداعي الخير والصلاح * ينادي حيّ على الفلاح * فقمت أتعثر في أذيالي * لأقابل هؤلاء الموالي * فرأيت الصبح قد تقنع بقناع أحمر * وتحلى بنفيس الدر والجوهر * والنسيم قد زادت رقته * وازدانت دقته * والنور قد كشف اللثام عن وجه النهار * والروض شاكل السماء بتفتح الازهار * والقطر طيب الوجود بماء الغوالي * والغصون ماست تحاكي السمر العوالي * والارض توشحت بوشاح أخضر * وجرى عليها الماء حتى تقنطر * فقلت للصبح أيها الامير الزاهي المنير * هذه اللمعه * أنوار يوم الجمعه * أم ذاك فجر عرفه * وانت

(١) حاطب ليل طائر لا يسكن الليل كله

صبح مزدلفه * فقال ما أنا ذاك * لا عدمت شذاك * انما انا صبح الوسائل * ونور الرسائل * وهـذا نسيم الطب * حامل كتاب الحب * وما تراه في الوجود زينة قدومه * وواجبات رسومه * فقلت من أين يا مطلع شمسي * فداك روحي ونفسي * امن حبيب صادق * ام من عدو منافق * فقال بل من المخلص في ودّه * الوفيّ في قربه وبعده * الصادق في حبه * الواله في صبه * عنوان الادب * ومنتهى الارب * وكتاب الامان * وانسان التبيان * غارس المعاني في حديقة افكاره * وجاني ثمر البديع بعد قطف أزهاره * مجري جياد القريض في ميدان البداهه * ورامي نبال الانشاء في غرض النباهه * أثيل المجد * أصيل الجد * فرع شجرة الجود المثمره * ونجم ليلة القدر المقمره * واحد السلالة المطهره * وزهر الدوحة المنوّره * شقيقي نسبا * وصديقي حسبا * السيد الشريف * والمولى الظريف * الصاحب الابر * والخليل الاغر

الماجد الحر اهل الجود والكرم * أباؤه الغر أصل الخير والنعم
شوقي اليك لطيف الود حركه * فطرّز الود في نوع من الكلم

فقمت لمقابلة النسيم على قدم الاجلال * ووقفت وقفة المستمنح من الجواد النوال * فوافاني وقطر الندا يسيل من يمينه * واشعة الشمس تشرق من مشارق جبينه *

سرّ به تنعش الارواح من طرب * مخلق الثوب مطبوع على الرشد
ناديته سيدي بلغ رسالة من * بلفظه تشتفي الاحشا من الكمد
فجاء نحوي بكل اللطف ينشدني * ابشر نديم ببرء القلب والكبد
هـذا كتاب الصفا في طي بردته * شفاء داء الحشا والصدر والرمد
اخـذته بيمين العهـد مستلماً * من غير واسطة لكن يداً بيـد

ووضعته على رأسي * وروحت به نفسي * ثم كشفت لثامه * وفضضت ختامه * ونظرت له بعين الجلال * وللنجوم بعين الجمال * فاذا النجوم رسوم وهو حقيقتها * والمعاني غصون وهو حديقتها * ان شبهت مداده بالمسك كان عكس التشبيه * او حروفه بالدر كان عين التمويه * فانما المسك ترب ثم مداده فتعطرت عكنه * والدر خزف شابه حروفه فغلا ثمنه * وما هو الا ترياق النفوس * وأنوار الشموس * تبتهج الارواح بتلاوته *

وتحلى الاذواق بحلاوته * وتضيء العيون برؤيته * وترتاح القلوب بروبته * كيف لا وقد رق النسيم بحمله * وحصل البديع به على جمع شمله * كتاب تهيم فيه الالباب * هيام قيس بالرباب * وتميل اليه الارواح * ميل النور الى الصباح * وتنتعش به القلوب انتعاش الولي بعلم الغيوب * وتحن اليه الافهام * حنين الاغراض للسهام * كتاب لو سمعه الحريري لعاقه عن المقامات العي * أو علمه فرعون لرجع عن البهتان والغي * بل لو تلي على سحبان ما تفنن في خطبه * أو نشر على ابرهة لارتد على عقبه * كلماته أبطلت سحر هاروت * وألفاظه أوهت قوى جالوت * من بيانه اخذ الصاحب ابن عباد * وبحسنه تحسنت ذات العماد * كتاب لفظه عنوان الحماسه * ومعانيه اسرار الفراسه * تتبختر الآداب في رحابه * وتتيه محاسنه على أترابه * اذا قرأت لفظه * وسمعت وعظه * ورأيت ما فيه من المرقص والمطرب * والمنعش والمعجب * وتلوت ما فيه من الرقائق * ونظرت ما حاز من الدقائق * علمت انه معجزة المتنبي وان تأخر زمانها * وفطنة المعرّي وان بعد مكانها * كيف لا وعطر نرجس بلاغته أزرى بطيب الريحانه * وحسن دمية بيانه نبه على ضيق الخزانه * وانسجام رقائق كلماته أغنى عن البديعيات * ورقة لطف سجعاته تاهت على الارتقيات * سكرت من سلاف معانيه رشفا * وقرأت ما فيه حرفاً حرفا * فاذا هو سفير عن فؤادٍ ودود * وترجمان عن ضمير غني عن الشهود * ضمير ظاهره المراسله * وباطنه المواصله * ما أصاخ اذنا للاحي * ولا اعتاض سكران بصاحي * قد سكن قلباً شعاره الود * ودثاره حفظ العهد * ما اساء محبه * ولا مل قربه * ولا رغب في صد * ولا غر بضد * ولا ابق من حب * ولا تحول عن حب * قلب اصفى من الصفاء * واوفى من الوفاء * كامن بحب ظاهر * في صدر طاهر * واسع رحب عامر بالصحب * صدر كأنه اصداف اللآلي * او صفحة مقمر الليالي * ركب في جسم جليل * ورسم جميل * في غاية الجمال * ونهاية الكمال * يحار فيه الطرف * ويعجز عنه الوصف * جسم قده غصن البان * وانامله اقلام مرجان * وسواعده سبائك اللجين * وراحتاه صفحتا القمرين * ووجهه طوق الهلال * وثغره منبع الزلال * وعيونه كأنها الصبح بعد السحر * بياض حول سواد كالقمر * وأنفه كأنه في اللطف ميزان النجوم *

وخده

وخـده في صفاء اسلحة الفرسان وقت الهجوم *وجبينه النهار وقت الرواح * وحواجبه قسي نبال الكفاح * قام بادارة الجميع عقل وافي * يدبره فكر صافي * عقل ما الف الا دقيق المعاني * ولا انف الا من كاذب الاماني * ولا اثمر الا فضلا * ولا جنى الا نبلا * ولا اتى الا بطرف * ولا اشتغل الا بتحف * فكم له في النظم ابكار * تحلى بها الافكار * وكم له في النثر قلائد * تتزين بحسنها الخرائد * فمن كلامه الفائق * ونثره الرائق * ما اتحفني به في هذا الكتاب * وفتح برقته باب اللباب * يتوجع فيه من تأخير مكاتبتي * ويميل بحسن الى معاتبتي * فما احلى كتابه * وما الذ عتابه * ان عتابا يسوقه الود لعين الوصال * وكتابا يحث على حفظ العهد لنفس الكمال * فودّه وعتابي جدير بقول العتابي

ولقد بلوت الناس في حالاتهم * وعلمت ما وصلوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

فلا غرو ان قلت أخ عاتب شقيقه * ومحب كاتب صديقه * كيف وغرس أصولنا واحد *ومنبت شعر رؤوسنا ذاك الماجد * سر الوجود * وبدر السعود *باب الحق* وأصل الخلق* سيد العالمين * وامام المرسلين * الهادي الى الجنه * والاصل في كل منه* منقذ الارواح من الشقاء * ودال السعداء على البقاء *النور المكوّن منه كل موجود * والذات المنتسب اليها كل محمود * العلم المرفوع فوق كل علم * والمولى الناطق بصواب كل قلم * الجواد الذي من فيض جوده زهرة الدنيا * ومن وطء نعال قدمه رفعة العليا* المفرد الكامل المكمل الممجد * غياثي وملاذي سيدنا ومولانا محمد * عليه صلاة الله ما تحرك شيح مرّ عليه نسيم *وسلام وتحيات ماتعلقت رحمة بارادة كريم *ولو علم السيد ما انا فيه من معاناة الامور * ومعاداة الدهور * لالتمس عذراً لتأخيري * وضرب صفحاً عن تقصيري * ولكنه أصاب اذ متعني بنور خطه *وان اغرقني ببحر معانيه في ساحله وشطه* فمن أين للنهر * معارضة البحر * ومن أين للراجل مجاراة الفارس * وكيف يقاس موري زنده بقابس * ولكن كم سيد كاتب عبده * وجعله كالرفيق عنده * وكم عبد عرض لمولاه * ما نعمه به واولاه * وانا أعرض على مسامع سيدي * ومالكي ومؤيدي *

اني على ماربانى * منعم بما اولاني * حافظ لعهده * مغرم بوده * اتضلع حبه * وآمل قربه * هائم بذكره * مشتغل بشكره * وأرجوه العفو والصفح * عما يوجد في هذا من القبح * فقد حررته ليلة نوبتي * بعد عشائي وقبل نومتي * مع صفير الوابورات * وجعجعة العربيات * ونداء العده * مدة بعد مده * وعندي من الاوباش * كل سكير حشاش * حزب يلعب الدمنه * وفريق يقرا كليلة ودمنه * وقوم يلعبون النرد * وشخص يقزح كالقرد * وكنت في بلوى كبيره * اذ صار المحل كبيره * فظني اني أسامح على الغلط * واعذر بكثرة اللغط * وكل هذا اذا صحبت كتابي نسمة قبول * ووقع عند سيدي موقع القبول * والا فهو لا يصلح لمسامعه الكريمه * ولا يليق بفكرته السليمه * ومع ذلك فاني مهديه من السلام * مايتعطر به زهر الاكمام * ومن التحية مايرضاه * ومن الاجلال مايهواه * فالشوق لايعبر عنه لسان * والوجد لايملكه الانسان * ولا اقول شوقي اليك شوق المذنب للرحمه * والمعدم للنعمه * ووجدي بك وجد الشمس بالظهور * وحبي لك حب الايام للدهور * وشغفي بك شغف الطفل بالرضاع * وولهي بك وله القوة بالسباع * فانه تعبير تقريبي * يغضبك ويزري بي * لان حبنا ليس كحب الناس * فانه لازمنا ملازمة الحياة للاحساس * وان يسر الله الاياب * وصرف عني دواعي الذهاب * ووصلت حضرتك السنيه * ودخلت ساحتك البهيه * وحظيت من التحف بما لديك * لثمت خدك وقبلت مابين عينيك * ان شاء مالك الملك * ومجري الفلك * جلت قدرته

وبلغه ان صديقه المرحوم عبدالعزيز بك حافظ فصل من تفتيش السكة الحديدية فكتب اليه من بنها يستفهم عن الحقيقة ويظهر الاسف فأجابه ذلك الصديق بان انفصاله من تلك الوظيفة هو عين مأموله ووصف له سرور أهله به في كل ليلة بعد ان كان مكابداً خطر الاسفار فردّ عليه النديم بهذه الرسالة وسماها

﴿ تنبيه اللبيب * وتسلية الحبيب ﴾

الحمد لله ذي الجلال والاكرام * وعلى نبيه الصلاة والسلام * وبعد فاحسن حالات العشاق * قبول العتب وبث الاشواق * لا سيما اذا لهج محب بالاحبة وغرد * ولزم

خطابهم وأنشد

است الملول مع التدلل والنوى * ان لم يكن روحي على هجري نوى
مادام يرضى منيتي فقد استوت * عندي الاقامة في شبين أو نوى
أطعمته أثمار ودّي كلها * وغذيت من تمر المحبة بالنوى

نية المرء غذاؤه وطبه * ومن يتوكل على الله فهو حسبه *

خلاصةَ الوجود * ونتيجة السعود * وغاية العليا * وبهجة الدنيا * ولطف البها * ونور النهى * عزيز جدي * وحافظ ودّي * رق لفظك وكلامك * فطاب عتبك وملامك * الا اني وان ظننت السراب ماء * وتخيلت السحاب سماء * واستنزلت البدر الى الارض * واشتغلت بالنفل عن الفرض * وتوهمت الدر من الخزف * والسلامة في التلف * وتصورت الصحة في الاسفار * والبعد عن الامصار * واقتصرت من النقد على النحاس * وفضلت الدر على الالماس * وقلت ان مصبوغ القماش هو الديباج * وكساد البضاعة عين الرواج * واستبدلت البحر بالنهر * والدهر بالشهر

وفضلت النجوم على شموس * أضاءت بالاشعة كل وادي

فلست مخطئاً في فهمي * وان حسن خطابك * ولا مسترجعاً سهمي * وان لذّ عتابك * فما رأينا كبيراً الا عن صغر * ولا حسن أخلاق الا من سفر * ولا بدر تم الا بعد هلال * ولا تمكن حب الا من دلال * وما سمعنا ان بيتاً بني بلا اساس * ولا جيشاً هزم من غير حماس * وانك وان كرهت التفتيش وبغضته * وابيت المرور ورفضته * وسمعت من اخوانك ما نفرك * وعلمت ان القدر قدم غيرك واخرك * فلا تنكر مقدمات الامور * وامتحانات الدهور * وركوب المشاق لبلوغ الارب * واستعذاب الصبر لتفريج الكرب * فعاقبة المتاعب * علو المراتب * جهل اخوانك هذا فكدروك * ولو علموه لاستلطفوك واكبروك * الم يستعمل الله نبيه في التجاره * اكان ذا تمام اللذة ام نقصا في الاماره * كلا فان اللبيب من دار * لا من لزم السرير والدار * ومن لم يظهر بحذقه * لم يظفر برزقه * فانه وان كان مضمونا * ومن الغوائل مأمونا * الا ان البركه * في السعي والحركه * فالبطالة عيب الانسان * والكسل بئس العنوان * وان

كانا ليسا مقصودين لجنابك * ولا يتمثلان ان شاء الله ببابك * فان المعالي حومة وأنت فارسها * والمفاخر روضة وأنت غارسها * والحسن ذات وأنت دلاله * والمجد عذب وأنت زلاله * والادب جيش وأنت أميره * والبيان فلك وأنت منيره * والفصاحة باب وأنت مفتاحه * والمعارف بيت وأنت مصباحه * ظهرت فبهرت العقول بلفظك * ونظرت فأسرت القلوب بلحظك * فالمعارف والناس بين عاشق ومعشوق * والنديم وعزيزه بين راشق ومرشوق * ان حضرت عندي فذاتك شمس السعود * وان غبت عني فذكرك عين الوجود * واسفي على لؤم الدهر * لا على حساب اليوم والشهر * فأنت لله الحمد في غاية الرواج * لا فقر أعاذك الله ولا احتياج * ولقد راقني وصفك الاهل * وورودهم المورد النهل * وركوبهم سرير النعم * وطربهم منها باصفى النغم * لا زالت الافراح تخدم موائدهم * وأيام السرور تحمد عوائدهم * وصعاب الامور اليهم مذللة * وتيجانهم بدراري سعودهم مكللة * وجيد أيامهم مطوقا بصافي ابريزهم * وسماء وجودهم منيرة بشمس عزيزهم * القوة الفعالة في النفوس * والمغناطيس الجاذب نور الشموس * ونسيم اللطف الذي منه اوكسيجين الحياه * وزلال اللطف الذي فيه ادروجين المياه * والواسطة بين الذات والفوتغراف * والقوة الموصلة سلوك التلغراف * وميكروسكوب النظر القوي والضعيف * وبارومتر النسيم اللطيف * عجب عجيب * وسر غريب * اتحدنا في الفكر والعقل * واتفقنا حتى في النقل * فاني لما خرجت من مصر وانفصلت عنها * وحضرت من المحروسة الى بنها * رأيت بركاب العاده * سليمان افندي واولاده * فقال أريد ان تعنون بعنوان الوكيل * فقلت حسبي الله ونعم الوكيل * فاتني أنسي * وحياة نفسي * ان عينت بجهة ليس بها عزيز * وفاتني من آدابه الحرز الحريز * وما ثمرة الحياة اذا تجردت عن اللذه * ومامزية النفوس اذا لم تكن أعزه * ولم أدر ان القصد اتحاد انتقالنا في وقت * وان صحبتك المعالي وصحبني المقت * ولو يدري الانسان عواقبه * لأمن عواطبه * ولكنها اقدار تجري وفق مجريها * واغراض أجسام نصبت لقضاء باريها * ومن جعل الفرقة سيفاً لجيد القرب * ولذ النوح للمحبين ولثم الترب * قادر على جمع الشتات * وعدم افتراقنا حتى المات * فاني من بعد ايام قلائل * ظهرت

على

عليّ من السقام دلائل * وتحيرت حيرة المديون * ولزمت قول ابن زيدون

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقاً اليكم ولا جفت اماقينا

شغلت بما لو شغلت به الكواكب لوقفت * او حلّ بعضه بشوامخ الجبال لنسفت * احشاء ملتهبه * واعضاء مضطربه * وقلب مجروح * ودمع مسفوح * وفكر في وهم * وعقل بلا فهم * وجسم نحيل * من خطب جليل * اثارته داهيه * ليست بواهيه * وما ادراك ماهيه * نارٌ حاميه * لا يخمدها الا الحنوّ * ولا يطفئها الا الدنوّ * متعنى الله بنور ذاتك * وابهجني بحسن صفاتك * خرجنا من هذا الباب * الى ما هو الصواب * ورفع الاكف الى الله * في طلب ما تمناه * حتى ينتهي الامل * وينقضي الأجل * ونحن على ما نحب * من النعمة والقرب

وكتب عن لسان المرحوم السيد عبد الواحد الحريري شيخ الطريقة العنانية كان الى بدوي بك شعير لما بلغه انه فصل من وظيفته ماصورته

نور سماء الآمال * وبهجة رياض الصحب والآل * ليست التهنئة على قدوم مولود ولا وجود مفقود * فالمولود مجهول الغايه * والمفقود عوده آيه * بل ليست التهنئة على حصول مرتبه * اوزيادة منقبه * فالمرتبة يشترك فيها الشريف والوضيع * والمنقبة سجية لكل ذي قدر رفيع * وانما التهنئة على قرب حبيب * اوعودة غريب * فبعد الحبيب يوجب الهيام * وغيبة الغريب تشغل الاوهام * واذا واصل الحبيب احيا محبه * واذا عاد الغريب أزال كل كربه * وأنت الحبيب الا انك في نفار * والغريب مع قرب الدار * وطالما تشوفت اليك ادارتك * وكادت تطير اليك امارتك * والقدر يشغلك بالوظائف * ويحرمها تلك اللطائف * فضجت الى الله بالدعوات * في الظهور والخلوات * حتى تقبل الله منها * وازال الاكدار عنها * فاعادك بدراً في أفق تلك السماء * وجعلك بركة في ذاك النماء * فغنت لقدومك الاطيار * ورقصت من الطرب الاشجار * كيف وأنت بحر ضاق عنه مجراه * وبدر لم يجد فضاءً لمسراه * اللهم الا ان تكون رتبة على قدر همتك * وادارة تسع عظيم سطوتك * اذ ذاك نود من الله دوامها * ونرجو زيادة الحالة

وانتظامها * وأما ما تركتها فقد كانت صغيره * والاسف على فوتها كبيره * فحركة ادارتك منها أسنى * والانس بالاهل أشهى وأهنا * ولذلك بادرت بالتهنئة على ما فات * راجياً من الله علو الدرجات * فالمحب يحب رفعة الحبيب * وكل آت قريب * ان شاء الله

وكان قد بلغه عن صاحبه المرحوم عبد العزيز بك كلام وكانا قد هجرا بعضهما فكتب اليه هذه الرسالة وسماها

﴿ دفع العرام (١) * بذل الغرام ﴾

بينما أنا راكب لجة بحر الفكر * مجدّ في طلب فريدة بكر * تارة أغوص ومرة أسبح * وآونة اقف وطوراً أصنح * لا يقرّ لي قرار * ولا يمكنني الفرار * ولا يقصر عن طرح شباكي ذراع * ولا يطوى لسفينتي شراع * كلما أدركني الملل * هاجت عليّ رياح الامل * حتى دخلت في بحر عجاج * متلاطم الامواج * فاقتحمت هذا القاموس الصعب * وتهت بين الجزائر والشعب * فتعلقت أفكاري بالسواري والحبال * وبت بليلة نجومها كواحل * لا يرى فيها برّ ولا سواحل * وقلت اشتداد الامر يستدعي ضده * ولا يأتي الفرج الا بعد الشده * وعينيك ما سل سيف فجرها على مفرق مساها * حتى سمعت بسم الله مجراها ومرساها * فكان من تمام حظي وسعودي * ان تركت لجة اليمّ واستوت على الجودي * وانصرف خوفي وارتباكي * وبادرت بطرح شباكي * فاذا هي قد ملئت بأصداف الجوهر * وعلقت بها شجرة العنبر * ففتح الصدف عن در يستخدم الاقمار * وفاح العنبر بما أذهب شذى الازهار

وصرت ما بينها كسرى الزمان له * شمس تنادمه في مجلس عطر
ونلت أقصى أمانٍ كنت آملها * الانس في خلدي والنور في نظري

ولما جلوت الطرف * بما فيها من الظرف * ووقعت عندي الموقع الحسن * أردت أن أسومها بثمن * فاذا هي درة يتيمه * لا يقدر لها أحد على قيمه * فاستهديتها من ربها * لشغفي بحبها * وجعلت القلب لها كنزا * والفؤاد لها حرزا * الا وهي محبة العزيز الحافظ *

(١) العرام الحدة

ابدع

أبدع مرئي وأبلغ لافظ * فلا تعتب أيها العاذل * فلست بالمحب الهازل * واترك النقول * واسمع ما أقول * غلب الوجد فلا عتب ولا ملام * ونأى الحب فلا وصل ولا منام * وما شكوت من سهد ولا سقام * ولا رغبت في كسب ولا مقام * ولكنها الايام ** رأت منيتي بالمقام الاسنى * وقد ملك فؤادي بسيرته الحسنى * فلما رآى أغصان محبتي مالت اليه لتجنى * دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى * ثم انصرف بسلام * * فذبلت لبعده أغصاني * ووقفت لصدّه أجفاني * وجرت بعتبه أعياني * وحسن كلامه أعياني * وهذه عادة المدام * * كلما هبت الارواح المصريه * وخلقتنا النسمات العطريه * وجاءت البواخر البريه * تحمل خلقاً من البريه * براني الغرام ** فأهيم في الليل البهيم * حيث لا نديم * ولا كليم * ولا همام * * فجسمي للهموم هدف * والحظ قالوا صدف * بدر في صلف * وصب في تلف * أين النظام ** بعدت الشقه * وزادت المشقه * فأخذني الوجد رقه * واستوفى مني حقه * بنبل وحسام ** دعوه دعوه * لقوم ودّعوه * بحفظ المقام ** وزدني ياهوى * سقاماً وجوى * فقلبي في هيام ** ما شاء الله كان * قد صار في الامكان * ان أنشئ الكلام * فيا لنظي الوجيز * اذا جئت العزيز * قبل الاقدام * * وتلطف في الخطاب * اذا دعيت للجواب * واحذر الاوهام * * فمطر الاحسان * عذب أسيره * وانه غضبان * وحجتي قصيره * تاهت بها الافهام * * وحاذر التزييف * وألفاظ النفاق * واستعمل التلطيف * وترج التلاق * تبرأ من الآلام * * واستشهد بالاشجان * وطول الارق * وزكها بالاحزان * ونيران الحرق * في مجلس الاحكام ** واذا قدمتم اليه * فاستعدوا الاوقات * ولا تهجموا عليه * في مجلس الدعوات * خشية الزحام * * بل قفوا بالباب * واسألوا بالوزن * فان دخل البواب * وأتى بالاذن * فادخلوا بسلام

وكتب الى محمد افندي فتح الباب على لسان الاديب البارع الشيخ احمد ابراهيم الاسكندري شاكراً له ما صنعه مع والده (ناظر الدخيلة كان) من الجميل ما صورته الكرم بالهمم فوق الكرم بالمال * والتعاضد بالانفع لا بالآل * فكم أخ لم تلده الام *

ودعوة سمعتها الصم * والمصاهرة بالافكار * خير من المصاهرة بالابكار * فالمرء بهمته يعرف نسبه * وبحسن مساعيه يقدر حسبه * ولا يعلم السعي الجميل * الا في الخطب الجليل * ولذلك سنت المدائح * للمتفضل المانح * لاسيما اذا كان السعي للاحباب * وظهر الخير من فتح الباب * فان الشكر يكون أوجب * ودوام المودة أصوب * ولا يشكر على الهمه * الا من عرف قدر النعمه * وانا ذلك العارف بقدرك * المستضيء ببدرك * العاجز عن القيام بالشكر * المتمايل براح همتك من السكر * واذا لم تقم الافكار بامتداح الامير * فلا أقل من الاعتراف بالتقصير * وهذا كف المغترف * به رقيم المعترف * فاذا كان له حظ * ولمحه منك لحظ * ترجم عن فؤادي * شكر تلك الايادي * وحمدك أيها الماجد * على ما فعلته مع الوالد * وهكذا تكون الرجال * اذا ضاق المجال

فالناس بالناس والدنيا مكافأة * والشكر للحرّ دون الناس ميدان

وماذا تقول الفكر * في بحر كله درر * ومعنى سرّه سمر * وروض حليه ثمر * وسماء ما غاب لها قمر * فانك كوكب افق الاناره * ورب سرير الاماره * فقد طالعت من كتاب والدي ما أنار انساني * وأعجز لساني * فحررت هذه السطور * شاكراً سعيك المبرور * الا انها بلسان الامكان * لا بقلم التبيان * وفي طيها الود والوفا * وسلام على عباده الذين اصطفى * والا فلو ألزمت فكرتي مدحكم بالحتم * لاستحال عليه الانتهاء والختم

وزار يوماً منزل المرحوم محمد باشا سيد احمد بشبرى مع المرحومين السيد عبد الواحد الحريري والسيد محمود العكام فلم يجده ولكن وجد هناك ولده حسين بك حسني ومعه الشيخ سليم عمر امام مسجد القلعة فبعد المسامرة ساعة عرجوا جميعاً على المدرسة والبستان ورأوا مافيه من اللطائف والقصور المزخرفة بجميل الظرائف ثم خرجوا بعد الغروب فكتب له رسالة ومعها قصيدة دالية ابتدأها بمدح السيف ومطلعها

سبق الجياد اعانة المستنجد * وجلا السيوف اغاثة المستنجد

أما الرسالة فهي ﴿ نجوم الليالي * في عقود اللآلي ﴾

ما شاء الله كان * وصار في الامكان * فترقت له الهمم العاليه * لرشف كؤوسه الحاليه * بعقلها الوافي * وفكرها الصافي * فالعقل لا يتصور الا ما يراه * من صنع من براه * واذا وصل الغاية وقف * وسكت عن السير وكف * وقال ليس في الامكان * ابدع مما كان * ويحمد الله على ما أوصله اليه * وما تفضل به من الاحسان عليه * ويصلي على ضمير غيبه الظاهر * ونور سره الباهر * سيدنا محمد بن عبد الله * وآله وصحبه ومن والاه * حتى اذا خرقت الاقدار العادات * وبزغت شموس السعادات * تحلى الوجود بآيه * فوق تلك الغايه * فيرمقها العقل بعين التدبير * ويعرضها على فكر التعبير * فيراها شمساً لا يحجبها سحاب * ولا يعتريها اياب * فيعقل أو يتأول * ثم يرجع لقوله الاول * فتجذب رداءه آيه * وتنشر على رأسه رايه * فيستظل بظلها الوارف * وينظم في سلك المعارف * وهكذا في كل آن * يمتد ساعد الامكان * فيعد وينجز * لا يفتر ولا يعجز * بدليل نص الكتاب المعجز الوجيز * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز * فقد فتح كنوز سره لقوم يعقلون * بارشاد قوله ويخلق ما لا تعلمون * فكلما تعلقت به الارادة التي لا يعتريها سكون * طلعت عليه شموس كلمة كن فيكون * وهذه كلمة واحدة كان بها الوجود أسفله وأعلاه * ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله * وحجة العقل المستكمل الادوات * يوم تبدل الارض غير الارض والسموات * وهذه نعمة من نعم العزيز الغفار * وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار * وخالق الارض والسماء * يزيد في الخلق ما يشاء * لا يعجزه شي * ولا يلحقه طي * ولا يعتريه حصر ولا عي * ولا يطلق عليه ظمأ ولا ري * ولا يخفى عليه ميت ولا حي * ولا تنفعه طاعة ولا يضره غي * فعبارة ليس في الامكان * أبدع مما كان * بالنسبة لحد الافهام * وقصور الاوهام * لابالنسبة لتعلقات الاراده * ورفع القدرة نقاب العاده * الا ترى انا قطعنا باليأس * من عود فطنة اياس * ولوينا اعنة الجياد * عن حومة ذكاء زياد * وقطع علينا ثعبان * طريق خطب سحبان * وحرمنا كل فائده * من بلاغة ابن

زائده * وتكدر كل حي * بموت حاتم طي * ومات منا مدنف * بطلب حلم أحنف * وعدمنا الحظ ونقله * بذهاب ابن مقله * وفاتنا الانشاء البليغ المفيد * بموت ابن العميد وعبد الحميد * وتفتتت في طلب الادب الاكباد * فلم تدرك الفتح ولا الصاحب ابن عباد * وقد حرنا حيرة المديون * في معارضة رسالة ابن زيدون * وأسف كل الملا * على حفظ ابي العلا * وقبضنا في شرف الانفس الجمر * طمعاً في هيبة ابي عمرو * وكم اصبحت الفرسان بعقل خرب * من الفكر في شجاعة ابن معدي كرب * وعجزنا عن القول المنبي * من حكم وأمثال المتنبي * فرفعت القدرة حجاب الاوهام * وفتحت للفكر باب الافهام وأطلقت العقل من عقل العجز * وفكت عن مقدماته عقود الحجز * وأطالت همته القصيره * وايدته بنور البصيره * ثم أتمت له اللذات * وجمعت له هؤلاء في ذات

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم في واحد

روض الادب المثمر * وفلك البيان المقمر * وبحر البديع الوافي * وجو الذوق الصافي * ونور شموس الفصاحه * وحسن بدور السماحه * مستأسر الدنيا بوجوده * وممتطي العليا بجوده * ومستخدم النفوس بحسن اخلاقه * وفاتح باب الانشاء بعد اغلاقه * المفرد العلم * رب السيف والقلم * الذي تضاعفت به المحامد فعرف بمحمد * در كنز الفضل سيدي أحمد * بليغ ان تناول قلمه تسابقت اليه البدائع * فاستخرج من اصداف لآلئها الودائع * همام لو توجه للسماك بهمته * لبسطته المعالي تحت أقدام وطأته * بحر اذا ورده العالم حالة الجدب * صدر وهو عاجز عن القيام باعباء الخصب * بدر تهتدي به العقول * في ظلمات المعقول والمنقول * سيف لا يثلم حده * ولا يعالج خده (١) * غيث أنبت أغصان السعاده * واثمر أفنان السياده * أمير تحلى به المعالي * تحلي العقود باللآلي * مجيد تميل له المعاني * ميل النفوس للأماني * عذب اخضر به روض الجود * وأثمر بريه غصن السعود

من يدعي موت الألى سبقوا وهم * أحيا جميعاً في صفات محمد

راجت به بضاعة الادب * فوفد عليه الناس من كل حدب * وتشرفوا بمقامه العزيز *

(١) الخد القطع

وهو

وهو يجيز كلا ويجيز * فكم أعطى سائلا * وافتى سائلا * وأظل قائلا * وأجاز قائلا * وسوى عائلا * وأغنى عائلا * وسقى ماحلا * فاحيا ماحلا * وأجاد كلاما * وأبرأ كلاما * ومنح قربا * ووصل قربى * وحسن اسفارا * وأحسن اسفارا * ورفع أعلاما * ونفع اعلاما * وأعظم برّا * وعظم برّا * وناظر حبرا * ونضر حبرا * واغاث مستنجدا * وزود مستنجدا *

وكم له من أياد ليس يخلقها * مرّ الدهور ولاتنسى مدى الزمن

وطالما تعلقت مني الآمال * بمقابلة بدر الكمال * والدهر يبعدني * والحال يقعدني * والحياء يمنعني * والهيبة تدفعني * وادبه ينادبني * وحظي يعادبني * وبلاغته تجذبني * وعي يكذبني * وقصوره ترمقني * وقصوري يسبقني * وحسن خلقه يقربني * وبؤس زمني يغربني * وأنا أشرب الامور غصة فغصه * حتى اغتنمت من الزمان فرصه * وسرت لمقامه الشريف * ومقامه المنيف * مع افاضل امجاد * وكواكب اسعاد * فسبقني حظي بفرسانه * ولم اجده ببستانه * الا اني وان حرمت برّه * فقد صادفت سرّه * كوكب صبح البيان * وشمس سماء الاحسان * مجري جياد فكره في ميدان الآداب * ورامي سهم نباهته في نحور الالباب * آسر المعارف بفكره * ومطلق الالسن بشكره * من عاذ به الادب من الاغبياء وقال اغثني * نجل الحضرة المكرمة حسين بك حسني * فسامرنا برقائقه * ونادمنا بدقائقه * واسعدنا بجوده * ومتعنا بوجوده * وتلا علينا من الآداب آيات * فكانت الدعوى للمتبني ولحسين المعجزات * فعلمنا ان الولد سرّ ابيه * وغير غريب نجيب من نبيه * وفي اثناء اقتطاف ذاك الثمر * واقتباس نور هذا القمر * تفضل علينا المولى العليم * حضرة الاستاذ الشيخ سليم * ومتعنا بمشاهدة بعض الآثار * وما تلألأ فيها من الانوار * فرأيت ما لو رآه العاشق لسلا * او الصبر لعلا * او المحزون لسرّ وفرح * او السائح لوقف وما برح * بل لو علمها من قبل قوم عاد * تركوا عمل التي لم يخلق مثلها في البلاد * من روضة هي الجنه * حيث لا كلفة ولا منه * تحلت بازهار ابهى من الاقمار * واقمار تنهب الاعمار * وغصون يلاعبها النسيم * فتقبله بثغر بسيم * ان غضب مالت تقبل قدمه * وان سكن قامت تشابه خدمه * تارة يغني فتميل

طربا * وساعة يهيج فتود هربا * رأتها البلابل مأمنا * فاتخذتها مسكنا * وغنت تعارض النسيم في نغماته * وصاحت طربا من رقة حركاته * والازهار تطيب ثغورا * وتضحك سرورا * والاوراق حازت الشرف الاكبر * فلبست من رقيق الديباج الاخضر * وكلما سكرت الاغصان من شراب الانهار * تقلت بالثمر وقبلت الازهار * وقد كشفت عن حسنها نقابا * وكتبت مع النسيم كتابا * انه متى صح وطاب * وبرئ من الاوصاب * قابلته بالملابس الرسميه * وسكرا من الخمور الوسميه * وأباحت حسنها لكل واصف * وعذب نهرها لكل راشف * وزهرها لكل خاطف * وثمرها لكل قاطف * فان اعتل مزاجه * وطال علاجه * تجردت من حليها ولآليها * وتغيرت على أهلها ومواليها * أسفاً عليه * وشوقاً اليه * ومتى أحسن الحكيم حاله * قابلته بتلك الحاله * فهي ولهى بجزوع * وهو بجذوع * ومدرسة بكل بديع حسن موصوفه * فيها سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفه * سقفها أدب * لاخشب * وأرضها انبساط * لا بساط * وفرشها احسان * لا أقطان * ونقشها علوم * لا رسوم * أساسها بيان * لا بنيان * تحلت بولدان * لا غزلان * صغار كبار * عندهم الكبار صغار * من زيادة الآداب * لا من نقص الالباب * قد جرد كل سيف ذهنه وقام به يسطو * وأباد مادونه اقليدس وارسطو * حيث لم يجدوا فيه حلوا يجنى * ولا لطيف معنى * وتلاعبوا بمخترع المعاني * وحلوا بها المباني * وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين * من طعام وشراب ولباس وألسن * ومعلموها الاعلام * قد ذكت منهم الافهام * وسهلت أذواقهم * وعظمت أخلاقهم * وحسنت سيرتهم * وطابت سريرتهم * فهم أدرى بكل منقبه * وأحرى بتلك المرتبه * وقصور * عاقني عن وصفها القصور * قصور عدم الاطلاع * لا قصور الباع * وهبني اطلعت على باطنها * ودخلت كل مساكنها * هل يمكن لساني * أن يترجم عن انساني * فان الانسان بسيط الطبع * واللسان مركب الوضع * والبسيط لين العريكه * والمركب عبارته ركيكه * وهبه مدّ للانسان أشراكه * وتخلص من تلك الركاكه * فما عساه ان يقول * اذا لم يستصحب معه النقول * غاية مايقوله من الابتداع * وسلامة الاختراع * قصر بنته المعالي * بحرّ اللآلي * على هندسة السعد * ورسم المجد * وشيده

الانس * بسرور النفس * ونقشه البدر * بنور ليلة القدر * وفرشته الاماره * ببسط الاناره * وملأه الحبور * بكراسي السرور * وزينه الانشراح * بسرر الافراح * وهيأه الصفاء * بأواني الشفاء * وفيه بدور مدى الدهر لا يأفلون * وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون * وتنوره ذوات الوقار * لا شمس النهار * وأمير الشجعان وقت الهجوم * لا بدر السماء والنجوم * خادم اهله عفه * ومنادمهم الفه * وحاجبهم عصمه * ومابهم وصمه * لباسهم ثياب الجلال * وحليهم عقود الاقبال * وشرابهم سلاف التهاني * ونقلهم مصداق الأماني * وطربهم رنات اللآلي * على غصون المعالي * وتفكههم بظهور ليلة القدر * من بين الجيد والصدر * يتمتع بها بدر سماء سعودهم * ونور شمس وجودهم * فهل هذا يقوم بوصف ذلك الايوان * كلا فقد أدرك الحصر اللسان * وعاقه عن الحقيقة الاعجاز * فالتزم المجاز والايجاز * ولما انقض عقاب من العي على فكري ونسر * وعجز اللسان عن وصف ماراه بالنثر * عدلت عن الوصف الى المدح بالنظم المقفى * لعلى أسامح على التقصير ومن جراتي أعفى * وعسى ان تهب نسمة قبول * فيقعا موقع الاستحسان والقبول * فقد ابتدأت نثري بمشيئة القدره * وحشوته بما يعرف قدره قدره * فناداني لسان المتأدبين في الختام * تحيتهم يوم يلقونه سلام * فانهم ما وصلوا مقامه الا خرجوا شاكرين داعين * وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين *

وكتب الى صديقيه الفاضلين محمد افندي كمال واحمد افندي علي رئيس قلم المبيعات بالدائرة السنية حالاً وهما اذ ذاك بالمنصورة وهو ببلدة اسمها بدواي من اعمال الدقهلية وقد اكثرا عليه اللوم في عدم التحرير اليهما ما صورته

روى الواله بن الولوع * عن الساكن بين الضلوع * انه استخدم الناظر والانسان * في نقد كل انسان * واستعمل رجليه في جوب الاوديه * ويديه في نقل احاديث الانديه * فالعقل لاه عن نعت الاكياس * والفكر مشغول بنقد الاكياس * والجسم دخول ولوج * لم يترك ناديا بلا ولوج * وكلما نفقت عير * نبا على عير * فهو جواب سائح * قناص لكل سانح * زاده من مزوده * وحدته من مروده * وريه من سقاه * لا من

دلاء السقاه * وصرفه من كيسه * دون كيسه * ومأواه حجرات الأجر * لا بيوت عجر وبجر * ان دخل مجلساً فبنزاهه *وان ابدى بدائع فمن بداهه*وان نقل فمن صحيح* وان اسند فالى صريح * وان سأل أوجز*فان سئل أعجز* وأن انشد اطرب* وان مدح اطنب* وان وعظ سحر * وازال الوحر * وان تغزل خلب القلوب * وان الف اظهر الغيوب * يقطف زهر كل فن * ويقتحم لجة كل فن * ويردف المسائل * بانشاء الرسائل * بذهب سائل * لكل سائل * ويستكثر الاخوان * بدراري وخوان * حتى كثرت في الناس أخلاه * ولم يكن عن أخ لاه * ثم مال بزورق السباحه * ومطية السياحه * الى بندر المنصوره * دعته الى تلك الدمن صوره * وجال فيها جوله * ورأى البندر وما حوله * ثم سأل عن أندية الآداب * ليتعرف بذوي الالباب * فدل على شرذمة قليله * سليلة جليله * فهرول اليها هرولة طامع * وجرى اليها جرى خامع * فالفاها سماء مكارم * وبدور أكارم * وشموس ابتكار * وخدور أبكار * ونجوم ليالي * وعقود لآلي * لا يفارقهم منادم * الا وهو على النأي نادم * لما لهم من حسن الطويه * وغرابة الرويه * فطرب طرب المتلعثم * وابدى سن المتبسم * وقال حسبي هؤلاء من المدن والقرى * فكل الصيد في جوف الفرا * فعاهدهم عهده * واخلصهم ودّه * وانتدب منهم اثنين لأنسه * وسرور نفسه * وتصادق معهما صدق القطا * وتلاصقا مودة لصق الغطا* الا ان الدهر الغدار * لم يرض له قرب الدار * بل سلك به طريق الغربه * ومنعه من يحب وقربه * فهما في واد وهو في واد * وهو منفرد وهما بناد * يتسلى بالبكاء * وصوت المكاء * ويترنم بالنوح * لفقد الروح لا الروح * ويتشاغل عن اللذه * وسوء البزه * بذكر من يهوى * وحسن ما يروى * لا يرى الا بعران اليعملات*ولا يسمع الا سفاسف الخز عبلات*من قوم يحتاجون لترجمة السلام* فضلاً عن الكلام * قلوبهم غلف * والسنتهم قلف * وصورهم أفظع من صورة نعش * وطباعهم أغلظ من طباع وحش * مشائين همازين * غمازين لمازين * أشد نفاقاً من نافقاء اليربوع * واشأم من أربعاء الاسبوع *وأبكى من عيون ينبوع *وانكى من وقوع متبوع * واغدر من أم عمرو * واحرق من لهب جمر * واجشع من تميمي رأى مأدبه *

والأم من نوبي بلغ مأربه * وأشح من مغربي جاع غلامه * واظلم من ليل حملق ظلامه * واطمع من طالب النحل مع المحل * واحمق من سائق الرحل الى الوحل * واتعب من حبلى حملت صخرا * وارذل من خنزير طلب نخرا * أهر من كلب ضرب * وأفرغ من كاس شرب * واجهل من ذباب رأى حلوى * وأعوى من ذئب حلت به بلوى * واحزن من يهودي وقعت دراهمه * وأبلد من جمل دقت مناسمه * وأذل من قلب رشق بطرف كحيل * وابعد عن الحق من وقوع المستحيل * عالمهم أضل من ابليس * وصالحهم بادي التدليس * ولولا بدراميرهم وبدره * وحاجته اليهم وعذره * لسوّد وجه النهار بهجاهم * وانتزع بنبل القول حجاهم * فانهم عن الضلال لاينفكون * قاتلهم الله انى يؤفكون * الآ انه متى استعاذ من تلك الحمير * برقة هذا الامير * وتروح بمسامرة انجاله * نقه من سقمه واوجاله * وعاد له مافقد * وان لم يكن فقد فقد * وان اغتنم فرصه * لمداواة الغصه * ترك القرية المحصوره * وتوجه الى المنصوره * ثم اهتدى بالقلب والعقل دليليه * الى حسن مسامرة خليليه * ثم يعود والفكر زمامه * والهم امامه * وطالما تعلقت آماله بالمخاطبة الحظيه * والدهر يذوده بالرماح الخطيه * حتى قال خليلاه انه خلي لاه * فلما طال عليه الامد * وتمطى من فتور الكمد * قام يجر رجله * قاصداً خيل البديع ورجله * فلم تطاوعه لخدر لزمها * من طول ماضمها * فجلس جلسة مقعد * على سطح مقعد * وكتب ينثر عذر الاباء * وان كان المنثور من الهباء * ربما أخذته رعدته واهتز * وابتدأ كلامه بقول ابن المعتز *

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان برّ فيما أتى في القول او فجرا

فقد اجلك من يرضيك ظاهره * وقد أطاعك من يعصيك مستترا

استغفر الله من العصيان لابل تصوّره * وأعوذ به من تهول الدهر وتهوّره * فانه مافوق سهم الاغتراب * حتى أمرضني بسهم الحراب * ولامنعني سيف غدره * حتى ضمني الهم لصدره * وشغل الفكر عن اغراضه * واستعمل الجسم في امراضه * حتى غفلت عن الاخوان * وتغافلت عن الخلان * ونام الفكر نومة عتود * ومال الذهن ميلة رقود * وضل العقل طرق الغرائب * حتى صار احدى العجائب * وما زالت الغفلة تزداد *

والكسل في ترداد * حتى توجه الي اللوم * على الافراط في النوم * من سيد ماجد * ومفرد واحد * غصن ثمر الآداب * وثمر روض الالباب * حليف الصفاء * وخدن الوفاء * سر الفضائل ومعناها * وبحر المكارم ومغناها * سليل الجود * ظليل السعود * الطالع في سماء المروءة بدرا * والمرتفع على صدر المعالي قدرا * الرامي الى المحاسن بسهم اغراضه * المسبل على العورات ثوب اعراضه * من الفته البلاغه * فاحسن حديثه وبلاغه * وغازل الادب والفصاحه * حتى عرف بالفضل والسماحه *

من كمل العليا بحسن صفاته * حتى تجلت في صفات كمال

نجل الامير محمد بدر الوفا * نور العيون وحسن كل جمال

ومن بديع الزمان * وبليغ الاوان * روح دوح النباهه * وراح راح الوجاهه * طراز حلية البداهه * وحليه طراز النزاهه * باسط بساط الادب * لمن داب * وباذل رضاب القلم * لمن ألم * ومظهر نتائج الحكم * لمن حكم * صائد القريض * بالباع العريض * وجامع الاجناس * في أنواع الجناس * دافع النكايه * بالكنايه * وفاتح مجاز * كل مجاز * وجاعل اللفظ حديقه * لاغصان الحقيقه * وكاشف طلاء التمويه * عن وجه التشبيه * ومنور وجه الغسق * بحسن النسق * وكم ابدع والف * في النشر واللف * فحسن الانسجام * للانس جام * الشاب الذي طلع في سماء الآداب بدرا * وجلس في نادي البديع صدرا * أحمد الناس حقا * وعلي القدر صدقا * فهل للنهر مجاراة بحرين * او للنجم معارضة بدرين * فأقول مالا يبتدع * والحق أحق ان يتبع * اني مقصر في الخدمه * ولست ناقضاً للذمه * مغترف من الاهمال بذنوبي * مقر لخليلي بذنوبي * ملتمس من كل عفوه * وغفران هذه الهفوه * فسهام لومهم للنديم مسمومه * وسيوف عتبهم في الصميم مشمومه * على ان التقصير ليس من شيمي * ولا صيب الاهمال من ديمي * فان عذري أظهر من النهار * وأشهر من النهار * خالفت وقد نهيت * فبليت ودهيت * بحرب الدهر * وجلاء الظهر * فانا راجل وهو فارس * وانا مجدب وهو غارس * ولو ساعدتني الاقدار لهزمته * وعلوته وهدمته * ولكنه شب عن الطوق * وتجرد الريف من الذوق * واحتوشتني الاحزان * واسكنتني الاجران * وأعادني الدهر البطين *

الى الماء والطين * اصطبح بهائم * يسوق البهائم * يستطلع بدور الانوار * من خلال مباعر الاثوار * ويروي اعراب القاموس * عن عراب الجاموس * يسبح الله بالرخو * ويقول دين الله رخو * ويذكر الثور نهاره * ويصلي بلا طهاره * ويعبد المحراث حق العباده * ويجعل الناس ملجأه وعماده * ويقول حسن نافي * لتومي نافي * ان كسرت لمحراثه ريشه * تنغصت عليه العيشه * فان عدم لثوره دواسه * قال ضاع زمام الرآسه * الشريف فيهم اللوّاط * ونسبه ينتهي الى سخام ابن حواط * لهم وقائع في الدين * كوقوعهم في الطين * وان اختصموا في نخول * يرجعون الى جهول * ماسمع آية من قرآن * ولا علم حقيقة الاديان * نبذ كتاب الله وراء ظهره * واشتغل بالضلال في سره وجهره * جعله القاضي نائبه * وسلطه على البلد نائبه * اجتمعت عليه مرّه * فوجدته في عيشة مرّه * ينهب الكحل من الاجفان * ويخطف الثريد من الجفان * ان جاءته طالق بالثلاث * خلط في الالفاظ وعاث * ونص فتواه * الشبيهة بنجواه * في مذهب القهام * البراقة كالحرام * والزوج قد قذب * وصار عليه قرنب * وعشرة قشلاق من الديس * وعقدتين دريس * وقفتين تبن * وقرصين جبن * والمرقة بعد الحيض * عليها مرجونة بيض * وقالب زبده * وطاقيه ولبده * وصارت رادّون * بعد ماكانت طالقون * والله قعلم

أمايوم السوق * فانه يلبس ثياب الفسوق * شال مسخمط * وزعبوط مشرمط * وسرمة مقطعه * وقطعة طربوش مرقعه * ان سمع رجلاً يحلف وهو مظلوم * يقول ثبت عليك المعلوم * وقرقورتين بطيخ * وحوتين فسيخ * قدباً لك وعبره * كما فتى به الشيخ عبره *

﴿ الساق على الساق * في مكابدة المشاق ﴾

وهي حكاية حال في شكل مراسلة بعث بها الى بعض أصدقائه يذم اليه الدهر ويشكو من ضياع الادب بين أهليه

متى أدرك الحظوظ وهي سابقه * وكيف أجاري الخطوب وهي لاحقه * وأين السرور فقد أعياني الطلب * ومن لي بالنصر على الهم وقد فاز بالغلب * تالله ان الشجاع في هذا

المضمار جبان * وقلّ أن يفوز مقتحمه بامان * هذا ان صحب من مضاريعه قوما * وجال فيه ساعة أو يوما * فكيف بمن فرته حوافر الجياد * فري المعاول للجماد * وطارت به أسنة الرماح * طير الغبار في الرياح * وسكرت الهموم بدمه وتنقلت بأضراسه * بعد ان افترشت جلده وتروحت بانفاسه * وحقك ان هذا لهو الميت * لا من انتقل للقبور بعد البيت * فظلمة القبر أبهى من شموس الاحزان * ووحشة وحدته أهون من بعد الاخوان * كيف وهناك العمل نعم الجليس * وهنا الامل بئس الانيس * كم غرّ عاقلاً بما صوّر * وارتقى حصون الفكر وتسور * وعاث في رجال الرأس بسطوته * وهجم على حفظة القلب بقوته * واستصرخ كل أمير لسماع خطبته * بعد نزوله عن عظيم رتبته * فأجابته الامراء والباعه * بلزوم السمع والطاعه * ثم ارتقى منبر التخييل * وعدل عن أوامر التنزيل * وصوّر لهم ان الحق مايقول * وان الشرع ما تركته النقول * وان الهوى سبيل الرشاد * وهدى الهدى امام الفساد * ومن تقيد بالشرع زلت أقدامه * ومن تبع الآمال رفعت أعلامه * ومن سارع الى الخيرات هلك * ومن تدرع بالمضرات ملك * ومن اشتغل بالعرف باد * ومن استعمل العنف ساد * ومن ركب المعاصي تمت لذاته * ومن سعى الى الطاعات تشوّهت ذاته * ومن لزم الادب حقر * ومن عرف بالوقاحة وقر * ومن أمّ المحامد ساءت أحواله * ومن تكلم بالقبيح سمعت أقواله * ومن أصلح بين اثنين حان حينه * ومن أفسد متحابين قرت عينه * ومن اعتزل الناس لزمته الندامه * ومن حاص معهم صحبته السلامه * ومن اتصف بالبشر فرّت الناس منه * ومن عرف بالعبوس رويت المحاسن عنه * ومن جالس العلماء بارت تجارته * ومن سامر الجهال ظهرت امارته * ومن عاشر الاشراف ساءت به الظنون * ومن خدم الاوباش رمقته العيون * الى آخر ماافتراه واخترعه * وغاص بحر الخداع وابتدعه * حتى اختطف نور العقل اللامع * وشوش فكر كل سامع * ثم نزل وقد حفت به الرجال * حتى ضاق عليه المجال * وهو يقول ثمرة العلم العمل * فلا ترعوا مع الهمل * ثم أظهر لهم الوقار * وودعهم وسار * فاشتغل القوم بلفظه * واطنابه ووعظه * حتى سرى في الدم والعروق * وأخذت شمس الضلال في الشروق * فجدوا في السير خلفه *

ولم يجدوا في السعي كلفه * حتى أدركوه بمدينة الشهوات * وهو يخدع من فيها بتلك الدعوات * فحياهم بأحسن تحيه * وزادهم مقالة وعظيه * ثم أجلس عن يمينه الفكر واللب * وعن يساره الصدر والقلب * وقال لهم أنتم أمناء سري * ولكم خالص برّي * فهلموا الى ما به أمرتم * وان تنجحوا أجرتم * فقاموا فرحين بالوظائف * مسرورين بهاتيك اللطائف * وسلكوا طرق الضلال المخيفه * وتركوا سبل الرشاد المنيفة * فخاب السعي * واستحقوا النعي * حيث تاهت الافكار * واشتد عليها الانكار * وضلت العقول * فنسيت التقول * وضاق الصدر * بظلمة الغدر * وركب على هام القلب طائر * فهو كالمجرم ولهان حائر * والعين تعتذر الى الآذان * والاعضاء تقول أينا المدان * فبينما هم في جدال ونزاع * وقد فشا الخذلان بينهم وذاع * واذا بالامل يناديهم وسط ناديهم

اي فضل لحرفة الآداب * بعد سلبي لحكمة الالباب
قمت فيكم بكل زور خطيبا * مصلت السيف كاشر الانياب
فاتبعتم وقادكم من بديعي * حسن قول يزفّ بالارهاب
ليت شعري اذا ضللتم بقولي * كيف نلتم مفاتح الابواب
كل أمر يراد دون سبيل * لارتقاه فذاك عين تباب
اي خمر ينال عرش عقول * ان رمته معارج الاكواب
لو وعيتم أوامر الحق عفتم * حسن قولي ودقة الاعراب
لكن الليل ان أتى بدجاه * سوّد الكون كفه بخضاب
والقضا الحتم ان يحل بقوم * حول العقل عن سبيل الصواب

فعرفه القوم * وابتدروه باللوم * فاطرق اطراق مدبر * ثم قال بلسان معبر * كفوا اللوم * أيها القوم * فاني منكم واحد * وعليكم واجد * وقصدي بوعظي النفع * لا ما يوجب الصفع * وحيث كانت أقوالي مذمومه * ونبال وعظي مسمومه * فاعرفوا قدركم * وخذوا حذركم * وعودوا لما كنتم عليه * وما تنسبون الخير اليه * ودعوا أقوالي عنكم * فسأنظر مايكون منكم * وهذه حالة الامل في كل وقت * ولا ينشأ عنه الا

المقت * أنم به اذا كان في الله * وجرى في الخير وما والاه * فانه يكون محمود العواقب * مأمون العواطب * ولكنه عشق النفس فأسر * وسمع أمرها فخسر * وقد كنت في صغري أذم هذه الاحوال * وأقول كيف تقع الناس في هاته الاهوال * وانا اذ ذاك عاشق معان لامغاني * وشارب عذب أوان لا أواني * أتغذى بنكته * وأروح بسكته * وامشي لخطبة خريده * فاحظى بوصل فريده * وأمسي تحت ظهر فكر * فاصبح على صدر بكر * حيث لاحجاب لهذا الحرم * ولا مانع لذاك الكرم * فان مللت وصال الحسان * وسئمت من خمر الدنان * ملت الى البساتين والانهار * وتمتعت بقطف الازهار * مع رفقة هم النجوم بل البدور * عليهم راحات الانس تدور * وطارحنا النسيم بالرقائق * وقابلنا الجلنار بالشقائق * وحرضنا الورد فقام بشوكته * وقابله الياسمين فمال لرقته * وان مدّ لنا المنثور كفه * قطعنا أذنه وانفه * والنرجس خفير علينا * ناظر بعينه الينا * والاشجار تمطر الاثمار * والاقمار تنهب الاعمار * فنحن في تيه الحلو بالحلوى * لاتيه المن والسلوى * نتناشد المعاني * بجميل الاغاني * وتنظم الجوهر في فرائد البحور * على قلائد النحور * وننثر الدر على بساط الزهور * في صفاء الدهور * خمرنا السرور * وكاسنا الاجور * ونقلنا الصفاء * وحاننا الوفاء * وشادينا الطرب * ونديمنا الادب * نعربد في أبكار الافكار * بلا انكار * ونقطف ورد الخدود * بلا حدود * حتى اذا ملت النفس من الراحه * وحسن لها الامل السياحه * جبت القرى والمدن * طورا بالوابور وطورا بالبدن * وانتظمت في سلك التلغراف * وامتزجت بالاوباش بعد الاشراف * فضعف يقيني * ولم أجد من يقيني * فان أغلبهم سكارى * وكلهم حيارى * لايعرفون الهدى * ولا يتركون الردى * أعبدهم من اذا رأي الخمر هام * فلا يردّ الا بالجام * وأصلحهم نواسي العمل * واقنعهم أشعبي الامل * لا يركعون ولا يتصدقون * ويحلفون ولا يصدقون * ولا يرون عيباً في نخش * فهم أغلظ طبعاً من وحش * ان حدثوك كذبوا * وان وعدوك هربوا * وان ائتمنتهم خانوا وسرقوا * وان هديتهم ضلوا ومرقوا * كم قمت فيهم خطيبا * واسمعتهم وعظاً رطيبا * وتلوت عليهم أحاديث وآيات * ومواعظ وحكايات * فلم يزدادوا الا نفورا * ولم يحفظوا الا كفورا * وقد اعياني رد

هذا الخطب * حتى ذبل غصن يقيني الرطب * فكاد طبعي تسرقه تلك الطباع * وتجري به في كهوف الضباع * فقد خضت معهم في حديثهم اللغو * ولبست ثياب اللعب واللهو * فما طلبت واعظا الا لقيت شبه شيطان * ولا قصدت صالحا الا رأيت سكران * ولا أردت مؤدبا الا وجدت فظا * ولا رمت نكتة الا عدمت حظا * وفي خلال هاتيك الاحوال * وتعصب الاهوال * أدركت برهة من الزمن * لم أذق فيها سم الاحن * وقتما كنت بالقصر العالي * بحر الجواهر واللآلي * فقد استرحت هناك من الشياطين * وانتظمت في خدمة السلاطين * وعكفت على كتب الآداب * رجاء تطهير الالباب * حتى خدمتني الدنيا * وصحبتني العليا * فانقلب الدهر الغشوم * النحس المشوم * ورمقني بعين الانتقام * وحسدني على هذا الانتظام * وأخرجني منه قهرا * فلم أر أقبح منه دهرا * صدمني صدمة معذب * لا لطمة مهذب * فلتجلدي لحربه * مع ضعفي عن ضربه * قلت أعزي النفس وأسليها * وأحرضها على القتال وأغريها

شلت يمين الدهر أدمت منحري * فرمت بكف الذئب فك القسور
صالت وقد أرخى الدجا ثوب الاما * ن على النديم فمزقته بخنجر
لم يحفظ العهد الذي عاهدته * اني اذا نام الردى لم أسهر
جهل اللئيم مكان قدري فاعتدى * ولو انه يدري به لم يغدر
كنت البليغ أخا الهدى غيث الندى * مجلي الصدى سيف العدا المولى السري
اياك نفسي والفرار فانما * يسمى الفتى للحين ان لم ينصر
ما الدهر الا آلة كنفوسنا * يأتي بكل محتم ومقدر
من يدعي قدم الدهور فقوله * رد بتقسيم الزمان بأشهر
وتداول الايام ينبئ انه * في ضمن كن قد كان قبل تصور
هل ثم شيء غير ربي ثابت * حق تراه ليس بالمتغير
ان تغلبي نفسي فان مزية ال * تدبير تهزم جيش ملك الادهر
فالصبر سيف لا يثلم حده * والحزم حصن للفتى المتفكر

فسمعت مني القول * وتبرأت من قوتها والحول * والتجأت الى الجانب الذي لا تهدم

دعائمه * ولا تسقط قوائمه * ولا يدرك واصله * ولا يغتال داخله * كيف لا وهو جانب رب الارباب * خالق الاجسام والالباب * فما هو الا عهد قريب * حتى سهل المجيب * وازال عنها الاتراح * وعوضها منها الانشراح * بالعود الى الثغر المحروس * ثغر الاسكندرية المأنوس * فطمعت بعد اليأس * واستبدلت الوحشة بالناس * الا انها كانت كظبي الغيور * شديدة النفور * حيث لم تجد لآدابها سوقاً تنفقها فيه * ولا محباً يدبمه ويقتفيه * فكادت ترجع لضلالها القديم * وايذاء خادمها النديم * لولا ان الله تفضل عليها * بحضور بحر الآداب اليها * مخرس البلغاء بلفظه الوجيز * سلالة الادب والتمييز * فلان * فانه بحر فضل تلاطمت امواجه * وساحل ذوق تحصنت ابراجه * وسفين فهم لا تغرقه الاهواء * وبدر مجد لا تزاحمه الانواء * فسكنت وحنت * ولولا ذلك لجنت * وهزمت جيش الهموم بنصره * ونسيت بؤس العصور بعصره * ودام هذا الحال عامين * كأنهما طرفة عين * ثم صال الدهر صولة ثائر * وانقض علينا كطائر * فما صاح حتى تفرقنا * وغربنا وشرقنا * وعاد البشر عبوسا * والنعمة بوسا *

سار السرور واهله بسلام * وحلت لديّ مرارة الاسقام

واستنزل البدر المنير من العلا * حقد الزمان وغيرة الايام

وما اعتدل الدهر ولا استقام * بعد هذا الانتقام * بل منعني الصديق وقربه * وسلك بي طريق الغربه * وانا في كل وقت وحين * اطرب بذاك اللين * واحن اليه * واسلم عليه *

وكتب من القاهرة الى صديقه الاديب أحمد افندي علي السابق الذكر بالمنصورة

جل ربي خالق الاكوان * بلا شريك ولا اعوان * خص من شاء بما شاء بفضله * وقسم الاخلاق على عبيده بعدله * وباعد بين الصفات والاعراض * وباين بين المراد والاغراض * فانتظم الكون وفق الاراده * ولم يقع فيه الا ما أراده * فلو جلت بفكرك في الوجود * وحققت النظر في كل موجود * لمزجت السرور * بكدر الشرور * ورأيت الفرح * جليس الترح * وبدور الصلاح * في سماء الطلاح * وشموس الجمال * في وجوه الجبال * وتاج الحظ * على رأس كل فظ * فان أردت الحقيقه * والوقوف على

الدقيقه * اضناك الحال * واظماك الحال * فلا ترى خلاً نقصده * ولا صديقاً ترصده * الا تغيرت المحبة عداوه * والصداقة غباوه * والخلة ذبحا * والحسن قبحا * والكرم ضنا * والصحة شنا * وهذا بحر شربته الناس * وتناولته بالجفان لا الكاس * ومن فاته البحر أدرك الترعه * وارتشف منها رشفة او جرعه * فلم يفق من هذا السكر الا من عافه * وطلب من الله الكريم اسعافه * حتى تجرد من الاخلاق الدميمه * وبعد عن الموارد الذميمه * ورقي من الشهامة اغلاها * وسامر من نجوم المعارف اعلاها * كالبدر المهتدى اليه في دجنة الاوهام * والشهم المرتقى اليه بمعارج الافهام * بيت المجد المرتضى * وسيف الفضل المنتضى * قوام اللطف الذي طابت عناصره * وعقدت عليه من الكمال خناصره * لا بل غزال المسك الذي طاب شذاه * ومعدن الادب الذي استمال رضاه * صاحب القدر الجلي * احمد الناس علي *

فانه في هذا العصر آيه * ولرهان الفضل غايه * لا تمل مجانسته * ولا تسأم مؤانسته * ان زرته زرت البدر * او ليلة القدر * بل السحاب الماطر * والروض العاطر * فسلام عليه مارفعت له اعلام جود * واشرقت به شموس سعود * سلام يحاكي لطفه رقه * وفهمه دقه * وصفاء باطنه ودا * وصدق حديثه جدا * هذا وما الزمني التقصير * وعاقني عن التحرير * الا مرض قاسي * لزمني في راسي * منذ ايابي من مدينتكم المأنوسه * الى القاهرة المحروسه * فاحكم سكري * وشوش فكري * وان شاء الله لو بقيت الى اجل * وسهل الله عز وجل * عدت لانتشاق عطرك الندي * فقد اخلصتك ودي * فانك لم تزل اوحد * والعود أحمد * ان شاء مالك الملك * ومجري الفلك

وكتب اليه من بدواي وكان ماراً ببعض أطرافها فراى ركباً ممن يعرفهم قاصدا المنصورة بعد العنوان ماصورته

لولا عيان حروفك لقلت انها أرواح * ولولا سواد السطور لقلت كوكب الاصباح * ولست أخشى ان قلت معناك جرم * والسكر منها لا من الثمار والكرم * وهكذا تكون رسائل المنشئين * فتبارك الله احسن الخالقين * كم بليغ شهر بمعنى او معنيين * حتى ضرب صيته

صفحة المشرقين * وكلامك كله معان تؤثر * ولكنك بكسر لم يشهر * او كنز لم يفتح بابه * او طلسم ماتت أربابه * والا فلو أنصفت لاخذ المتنبي بركابك * واندرج ابن عباد في خدمة بابك * فحسبك من الحظ ماقام به لسانك * وابتهج برؤية لآلئه انسانك * أقول ذلك تسلية لقدرك * وجلاء لصدرك * وان جل القدر عن الانظار * وتطهر الصدر من الاغيار * ولو اتسع الوقت لاطلت الرساله * فلا تؤاخذ على هذه العجاله * فانها سطرت من قيام * عند وجود من يوصل السلام * سلامي على مقامك البديع * ومقامك المنيع * المأنوس بك وبروض الجمال * بدر الفضائل سيدي كمال * والسيد المعظم الجليل * شهم المحامد سيدي خليل * لا زالت المنصورة بكم دار السلام * وأنت في سماء لطفها بدر التمام

﴿ رياض الرسائل * وحياض الوسائل ﴾

وهي رسائل أدبية فريدة في بابها يدل عنوان كل واحدة منها على مضمونها فمنها الستر المسدول * في دلالة الانجيل على الرسول * والحصون المنيعه * في الرد على أهل الطبيعه * والفكرة المطيعه * في تطبيق الطبيعة على الشريعه * وتطهير الاذواق * في حميد الصفات والاخلاق * والابكار البديعه * في الرد على المعتزلة والشيعه * والسهم السريع * فيما تضمنته « وقيل يا أرض » من البديع * واخراج الوديع من الظرف * في أن المعجز النسق لا الصرف * والشنه ورنّه * في أولاد مصر الزنّه * والشجرة الغشاشه * في أولاد مصر الحشاشه * وشد الدبلاق * في أكتاف أهل بولاق * وحاوريني يا طيطه * في الطربوش والبرنيطه * وصحبة السلامه * للابس العمامه * وغيرها كثير مما هو مدوّن في مجموعة كان قد اودعها هي وديوان شعره الثالث عند من ضن بها لنشرها * ولم نظفر منها الاّ بمقدمتها ورسالتين لم يسبقه أحد من كتاب العربية الى مثلهما كما ترى أما القدمة فهي يقول حليف الاحزان * مرجوح الاوزان * داء دهره * ودواء قهره * كاس الصبابه * ومدام تلك العصابه * كهرباء الغيد والغواني * ومغناطيس الحان والاغاني * مسيغ مطعوم الوجد فهو له أديم * أسير الشوق ومولاه عبد الله نديم * يامرسل الطرف في رياض

المعاني * ويامن هو للآداب معاني * خلّ ماتحب والتزم هذه البدائع * واستودع سمعك أطيب الودائع * وقف بجواد فكرك عند هذه الرسائل * فانها لجميع مقاصدك نعم الوسائل * أمر قد وجب * وسببه عجب * من عهد مهدي أميل لصفاء الذات وارى تعذيبي بها اهنأ اللذات * فمازلت أصبو لهيفاء وأعشق ريما * وأصحب سيداً وأنادم كريما * حتى بعث الله مثير غرامي * وزند اضرامي * فاتح باب تهتكي * وناقض حبل تنسكي * ميدان حبي * وعنان لبي * قوس نبال منوني * وجفن مصقول فنوني * روض الجمال * وورد الكمال * كيمياء الأدب * واكسير الأرب * روح الارواح * ولطف الارواح * لسان بلبل النباهه * واكليل قمر الوجاهه * حبب شمول الافراح * وحسام رؤوس الأتراح * غاية الدنيا * ومبدا العليا * زينة بيت السياده * ومفتاح باب السعاده * صفاء أفكار النهى * وبدر سماء البها *

لو انه أذن العبيـ * ـد لكان ينطق باسمه
لكنه رسم التكتم فامتثلت لرسمه

حفظ * ما لفظ * ووقي * ما بقي * شر مايكدر مزاجه * أو يوجب علاجه * فعشقته وكان ماكان * وقلت ليس في الامكان أبدع مما كان * وملت اليه ميل الحديد للمغناطيس * وتروحت به تروحي بالظل وقت الوطيس * ولزمني حفظه الله لزوم النشوة للخمر * والتوقد للجمر * وتصادقنا تصادق القطا * وتلاصقنا مودة لصق الغطا * لا يأفل لنا قمر * ولا نحرم جنى ثمر * وكان ذا بروضة بذري * ومحل وفاء نذري * فكاهة النفوس الزكية * زينة القطر وحليته الاسكندريه * فلما تحولت النحله * وتهيأت الرحله * في مبدا عام « عج ضرره » = سنة ١٢٧٨ * بل بقبس توهج شرره * سافرت مع جنابه السعيد * الا انه حل بمصر وحللت بالصعيد * فلم يكن الا نصف عام * حتى حضرت لمولى الانعام * ودار علينا صدق الوفاء براحات الالفه * وحملت جيوش المحبة على الطبيعة فأهلكت الكلفه * واختلسنا النوم من جفون الزهر * وكحلنا به عيون الدهر * فذاك فتح وتنبه * وذا بالاموات تشبه * ونام ولا نومة عتود * وتحلى الوقت تحلي النحور بالعقود * وامتزجنا بالسرور امتزاج النور بالاحداق * وصاحبنا الصفاء مصاحبة

الآجال للأرزاق * فصار مجلسنا الطف من جو مر به نسيم * وأظرف من ثغر بسيم * وأدق من خفر في بكر * وادق من معنى في فكر * تترامى علينا الافراح ترامي الفراش على النور * ويلازمنا الانس ملازمة السير للبدور * وبينما نحن في تيه خريده * وثمل جريده * واذا بالدهر انتبه من نومته * ونظر في حومته * فوجدنا في قصر أنس حاجبه زهر * وخادمه نهر * وسقفه نشاط * وبساطه انبساط * وأرضه صفاء * وحوضه وفاء * وشموعه نجوم راح * وفراشه نسج أفراح * وطلاؤه مرمر البدر * معجون بليلة القدر * لا نميل لسكته * ولا نسكت عن نكته * خادمنا خفه * ومنادمنا عفه * وحرفتنا الود * وكسبنا الجد * فدخل من غير اذن * وسقط سقوط المزن * ونظرنا نظرة حاسد * وتنهد تنهد حاقد * وقال عفا الله عما سلف * فدعا التيه والصلف * فقد بلغتما الغايه * وصرتما في آيه * قد سرقتما ورد السرور من الخد * سرقة يلزمكما عليها الحد * وحيث ان غذاءكما النحافه * ولباسكما النظافه * فجزاؤكما التغريب * وعدم التقريب * وعينك ماهي الا ضربة تلغراف * أو حركة انحراف * حتى ارتد الحال وكفر * واستعد عين حياتي للسفر * وكانت اقامتي في القصر * فاستودعني في مصر * فلا تسل عما صار * وقتما سار * وسل المزن عن دموعي * والنار عن ضلوعي * والطير عن قلبي * وأمس عن لبي * والقوس عن ظهري * والأبح عن جهري * والقاتل عن جلدي * والمسلي عن جسدي * ربما تعلم بعض ما نابني * أو تتصور معنى مما رابني * الا انه عند توجهه مصحوباً بالسلامه * دعا المسكين غلامه * وخاطبه بما سكن وجده * أعز الله مجده * وقال أحب ان تواصل الي رسائلك * وتسامرني وسائلك * بشرط ان تكون أسطرها عشرين فما فوق * وان يكون بعضها في غزل وشوق * وبعضها نكتاً أدبيه * وبعضها فوائد عربيه * هذه محاوره * والاخرى مسايره * تارة ظرائف خمريه * ومرة لطائف عمريه * وهكذا ترشف من كل دن * وتشطح في كل فن * على ان تكون بحكايات ما طرأت الافكار * ولا خرجت من الاوكار * وتلتزم الجناس في الفقر * ليكون اوقع في الفكر * وان لا تأخذ من شعر غيرك الا بيتاً او بيتين * وان تأتيني رسالة يوم الخميس ورسالة يوم الاثنين * وان يكون آخر كل رسالة دخولاً على اول مابعدها *

وهذه

وهـذه عروة ذكرى لك فلا تنقض عقدها * ثم توجه وأصبحي تحت نابي * والله يعلم مابي * وكان معنا بعض أصحابنا * وجملة من أحبابنا * فالزموني ان أكتب من كل رسالة ثلاث نسخ أو أربع * وهم ينظرونها بالاشتراك حيث لم تطبع * فصعبوا عليّ الامر * واحرقوني بالجمر * ملاحظة عملي وبيتي وصحتي ونسخ وتأليف * ان ذا لاكبر عمل وأشق تكليف * ولكني امتثلت * وما افتعلت * وأخذت عليهم العهود * اذا رأوا غير المعهود * اوعثروا على تحريف * او قلب او تصحيف * ان يسلكوا صراط النصيحه * ويغيروه بعبارة فصيحه * او يتركوا الانتقاد وكشف الغطا * وينبهوا محررها على الخطا * فنسأل الله تعالى ان يثير لها نسمة قبول * حتى تقع موقع الاستحسان والقبول * فاني لست من ركبان هذه الافراس * ولا من أغصان تلك الاغراس * والصفح خير ماتدرع به عاقل * والعذر أحسن ماتردّى به ناقل * وكل متكلم له غلط * وكم من انسان خلط * فان الناظر يقدح زند الافهام * والمؤلف يصيد شوارد الاوهام * وبالجملة فالمرء من ماء وطين * وله عقل ودين * فهو بالخيار بين الميل للطبيعه * أوالوقوف عندحد الشريعه * على اني سامحت المتكلم قبل الوقوع * رجاء أن يكون للحق قريب الرجوع * هذا وقدسميت المجموع رياض الرسائل * وحياض الوسائل * ولكل رسالة اسم * ليكون لها كالوسم * فاول ما يهدى اليك * ويفد عليك *

﴿ ١ ﴾ ﴿ زند الاذهان * وزبد الادهان ﴾

روى مديم الغرام * عن نديم الكرام * انه قال * وقال * في يوم * ثرت من النوم * في خجل * ووجل * من رؤيا منام * في بعض الانام * ما رويته * بل رأيته * كأنه قيل * على فيل * سما * حتى السما * وثار * اذ سار * كالورق * بل البرق * يشق ثوب الدجا * لبلوغ الرجا * المزن تظله * والارواح(١) تقله * وقدألهته حدة الغيظ * عن شدة القيظ * قوته ذكر الظبا * وريه سيل الظبا(٢) * لا يرده بعد الشقه * ولا ارتكاب المشقه * فلما رأيته اقشعر جلدي * واكفهر جلدي * ودار الانسان بالحدق * ووقع القلب في الحرق * وعدمت الاحساس * ونسيت قصة ذي يزن وجساس * وكنت أقول في ابان سعدي *

---

(١) الارواح جمع ريح (٢) الظبا السيوف

انا صاحب عمرو بن معدي * ورامي نبل عنتره * وحامل لواء القنطره * انا ساقي بزرجمهر السم * وقاطع خوذة رستم * وعيذك ما رايته حتى حرت * كأني سحرت * وتلفت تلفت السارق * ويئست يأس المارق

(ومنها)

فقدمت عليه * وتملقت اليه * بعد ان بدأته بالسلام * على عادة الكرام * فدل وتاه * وما نطق ولا فاه * ودام على كبره * والضن بخبره * فأدركني ما هو نافع * بيت قلته وأنا يافع *

ان المدامة لو صبت على جبل * خرّت معاطفه تجري بها الريح

وقلت فطنة اياس * ما بها ياس *

وثرت كالليث قد لاحت فريسته * ناديت بدراً له الارواح في أسر
وقلت هات لنا بكراً تغازلنا * مشمولة بوشاح عاطر النشر
وعاطها ضيفنا واجلس بحضرته * وامنحه منك لذيذ الشهد بالثغر
حتى اذا لعبت بالعقل وانتعشت * منه الجوارح كن كالليل اذ يسري
فطاف بالشمس يجلوها على يده * بصورة طبعت في صفحة البدر
لاحت أشعتها بالكاس فاتقدت * فالكاس في خمرة والخمر في جمر
والبدر في صلف والشمس في شرف * والضيف قد ألف الامرين كالفجر

وحقك ما هي الا لحظه * حتى ادار لحظه * واخذت الكاس * حواس الراس * ولعبت الراح * بالارواح

وبعد نثر وأبيات اسأله فيها عن اسمه آخرها

يا غافلاً ان الذي * في حيكم داعي الغرام

فقلت قد أبنت الاسم * وحقيقة الوسم * فأين الوطن * يافطن * فأنشد وغرد * وغنى وردد

قلب الكمي وصدره * هو مسكني وبه المقام
حتى اذا ما شمته * حل به قوم كرام

فقلت وأين قومك * حمد يومك * وهل هم على خلقك * وفي خلقك * أم أصناف *

ابن

أبن بانصاف * فقد خلبت الالباب * اذ أتيت بالالباب * فقال قد دخل وقت الاصيل * وحنت ناقتي للفصيل * ولئن بقيت الى يوم الاثنين * أخبرتك عن قومي وفائدتين * بمشيئة من ذل الوجود لقهره *

﴿ ٢ ﴾ ﴿ حوض الخمر * وخوض الجمر ﴾

فلما سمع مديم الغرام * قصة نديم الكرام * قال ما أحلى رؤيتك * وأعلى رويتك * انها لمن أعذب القصص * وأصعب الغصص * تاهت لديها العقول * ولم تر قبل في منقول * سياقها بديع * ومساقها مريع * ولكن عهدي انك جبان * ضعيف الجنان * يدهشك طنين الذباب * ويميتك عواء الذئاب * ان أبصرت غير جنسك * لم تدر يومك من أمسك * أو سلم عليك انسان * غاب منك الانسان * فكيف قوي فؤادك * وطاب لك رقادك * وصفا عيشك * وسارت عيسك * مع هذه الرؤيا الهائله * وقت القائله * ولو رآها انوشروان * ما رقي الايوان * او علمها عبد المسيح * قضى قبل سطيح * او قصت على ابن سيرين * ما كان في المفسرين * فقال نديم * يامديم * ان لله نعماً لاتحصى * والطافاً لاتستقصى * يلهم الصبر عند الملمات * ويمهل القلب عند المهمات * وانظر الى النخله * ذات النحله * تميل مع النسيم * بوجه بسيم * وتثبت عند القواصف * والرياح العواصف * وهي كالام الواجده * على حالة واحده * ان هذه الاوصاف * الا الطاف * وما تعهده في طبيعتي من الجبن * وكلامي من الخبن * كان في الصغر * قبل ركوب السفر * ومعاناة الامور * ومعاداة الدهور * فان من ألف الراحه * وأنف السياحه * واقتصر على مصره * ورجال عصره * كان كطير القنص * اذا وضع في القفص * يفرح بمطعوم جنسه ومائه * ويمرح بين ارض حبسه وسمائه * فان غابت عنه الميره * ادركته الدهشة والحيره * يستغيث فلا يغاث * حتى يصير كالبغاث (١) * وان فتح له الباب * غاب عنه اللباب * وعدم فكره * وضل وكره * فربما فر من شبكه * ووقع في هلكه * ولا يزال على هذه الحال * في الحط والترحال * حتى تغيض أمنيته * وتفيض منيته * اما من زاد التنقل * واراد التنقل * واختار التغرب * على التقرب * وقال قولاً ما به جدل *

(١) البغاث ضعاف الطير وعليه المثل حتى البغاث بأرضنا تستنسر

فاغترب تلق عن الأهل بدل * فهو كالكركي * تارة شامي ومرة تركي * وآونة مصري * وأخرى بصري * لا يحرم من القنار نيلها * ولا من الانهار نيلها * ولا يفوته خير سيحون * وفضل قوله تعالى السائحون * وعلم ما في البربى * من صفات العرب العربا * ورأى الطائف وكرومه * وغرابة كنيسة رومه * وتمتع بالانيسة والانيس * من ظباء وغواني باريس * ونظر قرى كل اقليم وبندره * وتحقق حسن صنائع لندره * وسمع الصبا والعراق * من أغاني العراق * وعلم ان أحسن مايكون الفرند * من صنعة حذاق الهند * فان شام * بر الشام * ورام رياضه * ودخل غياضه * وتنزه في دوره * وتمتع ببدوره * اتخذه جنه * وقال هو الجنه * وتارة يطلب النجاز * بارض الحجاز * وفارسا لفارس * مع صناديد فارس * ويعضد ايمانه ودينه * بزيارة ساكن المدينه * صلى عليه الله * وما هو أهله اولاه * ويسأل الغرفات * في جبل عرفات * ويرى ما بارض الحبش * من أفعى وحنش * ونازي ومحريب * وتيزي وعرديب(١) * وفارس صنديد * وجبار عنيد * فان نظر من الجنوب بريقا * وتوجه الى أمريقا * وتفرج على صنائعها * وما يظهر من ودائعها * علم انها الدنيا * وسلم العليا * فان ارتحل الى الصين * وانتقل بعده الى الشين * ورأى الصنعة التى تدهش العقول * ولم تر قبل في منقول * هنالك يقوى قلبه * وان كثر بالاسفار غلبه * ولئن أطلت * قلت مطلت * او دللت * مللت * وفي قصة ذات النقاب والحجاب * أطلعك على العجب المجاب * وأرانك استعظمت ما سمعت * وفي خبر الاقوام طمعت * فقال مديم * يانديم * لادخلت الخيش * ولا رحلت مع الجيش * ان قمت من هذا المقام * دون خبر الاقوام * فاخذ نديم في البراعه * وقال سمعا وطاعه * لما جاء يوم الاثنين * وتذكرت القوم والفائدتين * نمت * كاني مت * رغبة في الفائده * ورهبة من العائده * فكاني انظر الى رحله * وقد دهمني بخيله ورجله * بجيش كالليل * مدلج كالسيل * فقلت أهذا صاحبي * واذا به صاح بي * وقال منى عليك السلام * يانديم الكرام * صرت علينا محسوبا * والينا منسوبا * وجدناك لطيف العباره * فنحناك الزياره * ولكن ان كنت لخبر الاقوام مشتاقا * أخذنا عليك ميثاقا * لئن خالفت

---

(١) النازي نبات يقتل دود البطن والمحريب نبت يمنع المغس والتيزي الفول السوداني والعرديب التمر هندي

سنة العشاق * وحالفت سنة الفساق * ليطافن بك في الاسواق * نكالا لادعائك الاشواق * فان كنت بهذا راضيا * وعلى نفسك قاضيا * أخبرناك الخبر * والبسناك الحبر * والا فعش والهاً بالشعير والبقله * مولعا بالحمار والبغله * كاحد العيرين * وثالث البعيرين * فقلت ماهذا الكلام * الموجب الكلام * وكيف أكون والهاً بالبقلة والشعير * وقلبي مذ فارقته في السعير * أم كيف أكون مولعاً بالبغلة والحمار * ومنادمتك اكسبت عقلي الخمار * فقال عليّ بالمدام * وزده وصفاً مع الغلام * فقلت حباً وكرامه * اصفها وقوامه * أصغ لي سمعك * وكف دمعك * فالاوقات الصافيه * في شرب الصافيه * حيث الراحات تدور * على راحات البدور * وليس للسرور سبيل * سوى السلسبيل * ومتعاطي الحميا * يطأ باقدامه الثريا * بل لا يصفي الفكر * الا الكميت البكر * ولا يقيم الفقار * غير العقار * تشم المسك الفتيق * من السلاف العتيق * واذا أردت اللحظ * في مجلس الحظ * خرقت الحجب * ورأيت العجب *

كسرى وقيصر والساقي اخلاء * ان رتبت لقوام الروح أنداء
والانجم الزهر في الكاسات طالعة * والبدر ساق وشمس الانس غراء
فللسرور سحاب ثم ممطره * وللصفا في سماء الروح اسراء
قل للطبيب اسقني بكراً تغازلني * وداوني بالتي كانت هي الداء

فقال يانديم الكرام * اذا أتيت بالمدام * وقصرت الملام * أخبرتك خبر الاقوام * بما هو جدير بالتسطير والتحبير * ولا ينبئك مثل خبير * فاتيته بالسلاف * كعادة الاسلاف * فزاد في الشرب * عن الشرب * واضطجع وتوسد * وانطلق وانشد *

قومي لاهل الهوى عز ومسكنة * ذل ومكرمة انس واحزان
لو اوتروا وترا في قوس حاجبهم * صاد الورى بهلال النبل انسان
فالوجد قائدهم والسقم عائدهم * والشوق رائدهم والحسن سلطان
لو مرّ قائدهم بالنار لا نحدرت * والماء منه اشتكى الاحراق ظمآن
اوحل عائدهم بالدهر او نظر ا * بدرين لاندرست للكل أعيان
أو رام رائدهم شمّ الجبال غدا * للكل في سائر الاحوال أشجان

سلطاننا لو رنا للمكون قاطبة * فالكل في أسره قيل وأعوان
والجسم في عرفهم كالعود قد سكنا * ضدان في قلبه ماء ونيران
ماء الحياة سرى بالروح ان وصلوا * فان هم هجروا تفقده أغصان

فقلت أعوذ بالله من سوء قومك * وشؤم يومك * أيرضى عاقل بهذا * ويتخذهم ملاذا * أم يدخل معهم حديقه * بعد ان علم الحقيقه * لك الحمد ربي على الجهل * والاقتصار على الاهل * فان من كلف العزل هوى * ومن تكلف الغزل زعم أنه ذو هوى * وكنت منحتك من المحبه * قيراطاً وحبه * والآن تخلصت من القياد * وحصلت على الفؤاد * فقد صدق القائل * ومنح السائل *

فلم ترني الايام خلا تسرني * مباديه الا ساءني في العواقب

أتريد ان أتحمل الاثم وما حواه * وادخل في قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه * تأمل قوله جل شأنه واتبع هواه فتردى * واسمع أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى * فقال ياجاهل * عدمت الكاهل * لو تأملت القرآن وما فيه * وعلمت قوله تعالى فذلكن الذي لمتنني فيه * أولو لم تكن ممن اتبع هواه * وسمعت قوله يحبونهم كحب الله * تحققت ولكن الله ألف بينهم * وحمدت قومي ويومهم * ثم مدّ يده لصدري * فاضاع نور بدري * وقال ترى هذا فارغ أم ملآن * من زمن أم الآن * فقلت دعني * أي شيء تعني * فقال أراه في الهوى * قد غوى * فقلت الهوى خبل * ونحن في جبل * وما أسباب الهوى * أقرب أم نوى * فقال قد اعترفت * ومن بحره اغترفت * أليس اسمك نديم الكرام * يا أسير الغرام * فقلت اسم وضعه غير أبي * وهوابي * فقال نظر لك بالفراسه * فاركبك افراسه * واعلم ان من بصرك * فقد نصرك * ومن وعظك فقد أيقظك * فقلت اذا فقد العقل حجابه * ساء سمعاً فاساء اجابه * ماعقلت * وما نقلت * فقال ياأحيل من ثعلب * وأمكر من ثعلب * ظهرت فيك العلامات * وحطك في العلامات * وها انا تاركك كاليحمور * اذا دار كالمخمور * ولئن بقيت الى يوم الجمعه لامتعن نظرك بما يجري دمعه * وأرى قلبك الشوق ومأواه * بعزة الله *

القسم

القسم الثاني

منتخبات التنكيت والتبكيت

منتخبات من العدد الاول الصادر بتاريخ ٨ رجب سنة ١٢٩٨ هـ (٦ يونيو سنة ١٨٨١)

اعلان الى النبهاء والاذكياء من أبناء بجدة اللغة العربية

اليكم يراعي فاستخدموه في مقترحات أفكاركم العالية وصحيفتي فاملأوها بآدابكم المألوفة وبدائعكم الرائقة فاليراع وطني يخاطب القوم بلغتهم ويطيعهم فيما يأمرون به والصحيفة عربية لا تبخل بالعطاء ولا ترد الهدية وأنتم كرام اللغة واخوان الوطنية فشدوا عضد أخيكم بالقبول والاغضاء عن العيوب وساعدوه بافكار توسع دائرة التهذيب وتفتح أبواب الكمال وكونوا معي في المشرب الذي التزمته والمذهب الذي انتحلته أفكار تخيلية وفوائد تاريخية وامثال أدبية وتبكيت ينادي بقبح الجهالة وذم الخرافات لنتعاون بهذه الخدمة على محو ما صرنا به مثلة في الوجود من ركوب متن الغواية واتباع الهوى اللذين أضلانا سواء السبيل

المقدمة

حمد الله تعالى فاتحة كل كتاب * والصلاة على انبيائه منهج ذوي الالباب

(أيها الناطق بالضاد)

أتقدم بين يديك بخدمة وطنية دعاني اليها حبي فيك وخوفي عليك وماهي بالعظيمة فتشكر ولا بالبليغة فتمدح وانما هي صحيفة أدبية تهذيبية تتلو عليك حكماً وآداباً ومواعظ وفوائد ومضحكات بعبارة سهلة لا يحتقرها العالم ولا يحتاج معها الجاهل الى تفسير تصور لك الوقائع والحوادث في صور ترتاح اليها النفوس وتميل . ويخبرك ظاهرها المستهجن بان باطنها له معان مألوفة وينبهك نقابها الخلق بان تحته جمالاً يعشق وحسناً تذهب الارواح في طلبه. هجوها تنكيت ومدحها تبكيت ليست منمقة بمجاز واستعارات ولا مزخرفة بتورية واستخدام ولا مفتخرة برقة قلم محررها ونخامة لفظه وبلاغة عبارته ولا معربة عن غزارة علمه وتوقد ذكائه ولكنها أحاديث تعودنا عليها ولغة الفنا المسامرة

بها لا تلجئك الى قاموس الفيروزابادي ولا تلزمك مراجعة التاريخ ولا نظر الجغرافيا ولا تضطرك لترجمان يعبر لك عن موضوعها ولا شيخ يفسر لك معانيها فهي في مجالسك كصاحب يكلمك بما تعلم وفي بيتك كخادم يطلب منك مانقدر عليه ونديم يسامرك بما تحب وتهوى فاجعل لها نصيباً من عمرك الجليل ومتعها بنظرة تجلو مرآتها وتبصر خباياها ولا تفوق سهام الرد قبل ان تدخل معها المضمار ولا تنكر عليها ما تحدثك به قبل ان تطبقه على أحوالنا ولا تظن مضحكاتها هزؤاً بنا ولا سخرية باعمالنا فما هي الا نفثات صدور وزفرات يصعدها مقابلة حاضرنا بماضينا فان صدقت في الخدمة فاجري منك المساعدة وان قصرت فقد بلغت جهدي وصرفت مافي امكاني فان شئت عذرت وان شئت أطلقت عنان أفكارك في ميدان يكبو فيه جوادي

ولسنا بدار الحرب او أرض فتنة * ولكن لنا في العالمين نظير

سهروا الليالي فاستراحوا دهوراً وما بلغوا مقام العزة بلهو ولا لعب ولا افساد ولا خروج عن حدود الانسانية وانما نظروا الى الانسان فرأوه فعالا ما اضطر او اضطر وقد اضطرهم تقدم الامم الى النظر فيما يعظم ثروتهم ويؤيد حكومتهم ويعلي كلمتهم ويظهر وطنيتهم فما تركوا خفياً الا أظهروه ولا مجهولاً الا علموه ولا مشكلاً الا حلوه ولا معمى الا فسروه فباتوا غرقى في بحار الخشونة والخرافات وأصبحوا في سفن السياحة يعبرون بها بحار الوجود لمباح يملكونه ومهدر يختلسونه وتجارة يوسعونها وأمة يسوسونها وانت انت تفخر بعزة الآباء وتمرح في أرض اتسع غامرها وقل عامرها وضعفت حجابها وفتحت أبوابها فهي كدار الضيافة يقابل فيها القادم بالسلام والترحاب ويتمتع فيها الضيف بكرم لايدخل تحت حساب مع تعظيم يجل عن مقامه واحترام لا يبلغه في أشراف قومه ان غضب ترضيناه بتقبيل الايدي والاقدام وان فحش قابلناه برقيق الكلام وان انتهب حقاً سامحناه وان اغتصب مالا زدناه فانه عزيز في الوجود رفعه العلم الى درجة يعدنا فيها من البهائم وأوصلته محبة الجنسية الى مقام يصعب علينا الوصول اليه فهو في عالم ونحن في عالم وان جمعنا في مكان

ويا أيها المصري الا تذكر ما كنت فيه من حضيض الخسف وحفرة الذل وتراجع

ما

ما كنت تقاسيه من دفع المغارم وتحمل المظالم وتقابل ماضيك بحاضرك لتعرف فضل النعمة وقدر الاحسان . الا ترقب حكومتك في أعمالها لتهتدي الى سبيل التقدم وطريق العرفان . الا تقرأ ماينشر عليك من الاوامر الداعية الى الائتلاف المحذرة من الاختلاف الداحضة حجج أهل البغي والفساد . الا تنظر ما تعقده من المجالس لتخلصك به من مخالب المصائب التي أوقعك فيها جهلك وبعدك عن التبصر في العواقب واهمالك في حقوق الوطنية وواجبات الانسانية . أظنك لو تدبرت أمرك لاستحييت من مقابلة من لم يولد في أرضك وعلمت انك في احتياج الى مهذب يرشدك ومؤدب يوقفك عند حدودك ومنبه يوقظك من غفلة الكسل ونومة الاهمال . على انك أهل الذكاء ورب البلاغة ومنبع المعارف ومبتدع الصنائع ولكنك جهلت تاريخك . وسأتحفك بغرائب قومك ومناقب أصلك أقدمها اليك شذوراً مردفة بما نحن فيه من التبكيت لتعذر المتنهد وترحم المسكين وتكون من الذين أعادوا مجدهم وأحيوا أوطانهم فاصبحوا ببقاء ذكرهم في الوجود من الخالدين

« مجلس طبي »

(على مصاب بالافرنجي)

كان هذا المصاب صحيح البنية قوي الاعصاب جميل الصورة لطيف الشكل ماراه فارغ القلب الا صبا ولا سمع بذكره بعيد الا طار اليه شوقاً نشأ في العالم روضة ودار به أهله يحفظونه من الاعداء ويدفعون عنه الوشاة والرقباء وقد مات في حبه جملة من العشاق الذين خاطروا في وصاله بالارواح والاموال وكلما وصل اليه واحد سحره برقة الفاظه وعذوبة كلامه وسلب عقله ببهجة يحار الطرف فيها وعزة لايشاركه فيها مشارك وهو هو غزال في الخفة غصن في اللين بدر في البهجة جنة في المنظر تمر عليه الدهور فتزيده حسناً وتتوالى عليه العشاق فتزداد هياما وأهله فرحون بهذا البديع الفريد والطالع السعيد يشقون الموت في حياته وقد اتفقوا على توحيد كلمتهم في حفظه وجمع شتاتهم في رحابه وصرف حياتهم الطيبة في بقائه في الوجود معززاً باهله مؤيداً بعشائره حتى لاتمد اليه يد عدو ولا يوجه اليه فكر محتال ولا يقرب منه مغتال

وبينما هو يتيه بحسنه ويدل بجماله صحبه أحد المضلين واستماله بنفاق تميل اليه النفوس وتملق يخجل فظن أهله ان هذا المضل من الاتقياء الذين لا يعرفون اللهو ولا يميلون الى المفاسد وسلموه جنة حياتهم وروضة ثروتهم فدار به في الاسواق والطرقات وعرضه للعشاق تقبله جهاراً وتسلبه حلي أصابعه وزينة صدره وقدعلموا ان الجمال يأسر الجميل فاحضروا من الغواني من تعارض الشمس بحسنها وتكسف البدر بنورها فدرن في سبيل بيته يغازلن أهله بنغمات تحرك الجبان ومؤانسة تستميل الشجعان حتى سلبن العقول وحولن الطباع وبغضن المحبوب اليهم والهين كل ذي لب عن أفكاره وانسين كل مدبر ماكان يتصوره من نوابغ الحكم وغريب الامثال وجعلن الجمال مبذولا بلا قيمة والوصال ممنوحا بلا مقدمات وذاك الصاحب مكبٌ على هواه مغرم بجمع الغرباء واستدعاء الاعداء ومصاحبة الاشقياء ومسامرة الاغبياء ينام ومحبوبه قلق ويضحك ومعشوقه كئيب الا ان هذا الغزال الطاهر العرض لما رأى أهله أهدروه وأهملوه واشتغلوا بالغواني وولعوا بخدمة الاجانب وانكبوا على الملاهي يتبعون آثارها استسلم للقضاء وترك النفار والتحمس ومال مع اغراض هذا الصاحب وسار معه في طريق لا يرى فيه احدا من أهله فما هي الا رشفة كاس حتى اصفر وجهه وارتخت أعضاؤه وذهبت بهجته فسلم جسمه الشريف الى الفرش يتململ عليه فقدان له واحد من أهله وزاره في خربة لم يجد فيها غير شبح يعلل نفسه بالاماني ويصعد الزفرات وقد برزت عظام وجهه وغارت عيناه وتشوه وجهه وتبدات محاسنه بقبائح تنفر منها الطباع فبكى وانتحب وقال

أي حياتي أي جنتي أي نزهتي أي مطلع عزي ما الذي أصابك أين جمالك البديع أين محياك الزاهي أين حسنك الذي افنى الكثير من العشاق اين صحتك التي أشابت الدهور وهي في عنفوان الشباب اين قوتك التي أسرت بها الاشباح أين رقتك التي جذبت بها الارواح أين ماكان عليك من الحلي والزينة أين تاجك الذي مالبسه انسان الا افتخر على الوجود . أية نفس تراك في هذه الخربة ولا تفيض حزناً أي قلب يرى وهنك ولا يتفطر كمداً أية عين ترى تشويه ذاتك ولا تطمس أسفاً زحزح الهم عني بجواب يبين

الحقيقة لعلي أتدارك من أمرك مابقي واحفظ من صحتك ما عساك ان تنشق به نسيم الحياة فتنفس المصاب تنفس الضعيف ورمقه بعين لا يكاد يتحرك جفنها وقال بصوت خفي (لا يعز عليك جسم أمرضه أهله) فانكم تركتموني لصاحبي يدور بي أينما دار فعرضني لمن لم أعرف طبعه ولا عادته ولا لغته ووكل بي من يغرني ويسلك بي سبيل الغواية فلم أجد بدا من الموافقة ودرت معهم في أماكن اللهو حتى أصبت بالداء الافرنجي فلم أعبأ به في أول الامر وتركت نفسي وكتمت خبري فاني لم أجد أحداً من أهلي حولي ولم أعلم ان الداء سرى في دمي وعروقي وتمكن من عظامي واعصابي حتى لم يترك عضواً من أعضائي الا نشب فيه فلما ضعفت قواي وتعطلت حواسي سقطت في هذه الخربة أقلب جسمي على الاحجار وأرمق بعيني آثار أهلي وقصورهم المتهدمة ولكن لا أستطيع حراكاً حتى كنت أغالب هذا الافرنجي وأصل الى مقرّي ومنشا عزي فاعالج نفسي بحشائش تربتي وعقاقير أرضي من يد اطباء بلادي وصيادلة دياري فان قويت عليّ فاحملني وان تأذيت من صديدي فاجمع اليّ قومي لعلي أجد فيهم من يقبل على جيفتي ويسعى في نجاتي فقام هذا الزائر يضرب الكف بالكف أسفاً ويعض انامله غيظاً وأسرع الى الحي ونادى

أيتها القبور الصامتة انشقي وانفرجي وابثي من فيك من الاموات فقد أتت الطامة الكبرى وانكدرت نجوم النشور . ويا أيتها الارواح الخامدة هلمي الى أجسامك البالية فاقيميها من موتها وابعثيها في الوجود لتنظر هذا الذي تشق بعدمه وتحاسب عليه

فلم يكن الا كلمح البصر حتى ملئ الفضاء باناس لا عداد لهم يقدمهم طبيب بارع قد استصحب معه جملة من الاطباء وساروا الى تلك الجيفة واحتاطوا بها يقلبونها عن اليمين وعن الشمال ويقرعون صدرها ويجسون نبضها حتى وقفوا على دائها وعلموا أصل مصابها فحكموا على صاحبها بانتزاحه عنها وعدم قربه منها وفوضوا أمر هذا المصاب الى الطبيب البارع يتولى علاجه ويداوي جراحه فطلب من بقية الاطباء ان يرافقوه في هذه المعالجة ليتقوى بافكارهم على ما يصلح به هذا الجسد الشريف وبعد تبادل الافكار بينهم قر الراي على انهم يركبون له دواء يوقف سريان الداء الآن حيث تحكم وتمكن وبعد ذلك يتداولون فيما يزيل المرض ويعيد الصحة فتعلق بهم أهله يسألونهم الاسراع

في معالجته والاجتهاد في دفع مصابه فترضتهم الاطباء وسألتهم الهدو والسكون ومساعدتهم في خدمته وتنظيف محله وتطهير أعضائه وحنظه بحيث لا يتركون الغرباء يتولون خدمته ولا يمكنون الاجانب من الوصول اليه خوفاً من افسادهم العلاج وسعيهم في اتلافه أكثر مما صنعوه به فكثر صياح أهله وعلت اصواتهم بالعويل ووضعوا أيديهم على اكبادهم وتصبروا وابتدأوا يعملون بمشورة الاطباء ويبذلون الجهد في وقايته وصيانته من كل من كان من جنس مصيبيه . قال الراوي وبينما انا أبكي وأنوح مع هؤلاء المساكين واذا بالمؤذن ينادي حي على الفلاح فقمت لاقضي الفرض وأعود لمباشرة الخدمة مع اخواني اذ لم أر قبل هذا اجتماع مجلس طبي على مصاب بالافرنجي

﴿ عربي تفرنج ﴾

ولد لاحد الفلاحين ولد فسماه زعيط وتركه يلعب في التراب وينام في الوحل حتى صار يقدر على تسريح الجاموسة فسرحه مع البهائم الى الغيط يسوق الساقية ويحول الماء وكان يعطيه كل يوم أربع حندويلات وأربعة أمخاخ بصل وفي العيد كان يقدم له اليخني ليتمتع بأكل اللحم بالبصل وبينما هو يسوق الساقية وأبوه جالس عنده مرّ بهما أحد التجار فقال لابيه لو أرسلت ابنك الى المدرسة لتعلم وصار انساناً فأخذه وسلمه الى المدرسة فلما أتمّ العلوم الابتدائية أرسلته الحكومة الى أوروبا لتعلم فن عينته له فبعد أربع سنين ركب الوابور وجاء عائداً الى بلاده فمن فرح أبيه حضر الى الاسكندرية ووقف برصيف الجمرك ينتظره فلما خرج من الفلوكة قرب أبوه ليحتضنه ويقبله شان الوالد المحب لولده فدفعه في صدره وجرت بينهما هذه العبارة

زعيط . سبحان الله عندكم يامسلمين مسألة الحضن دي قبيحه جداً

معيط . أمال يا ابني نسلم على بعض ازاي

زعيط . قول بون اريفي وحط ايدك في ايدي مره واحده وخلاص

معيط . لهو يا ابني انا باقول منيش ربفي

زعيط . موش ريفي ياشيخ انتم يا ابناء العرب زي البهايم

معيط . الله يسترك يازعيط والله جا خيرك ياابني فوت روح فوت فلما وصل به الكفر قامت

أمه وعملت له طاجناً في الفرن مملوءاً لحماً بيصل فلما رآه قال لها . ليه كترتي من ال ... معيكه من ال ايه يا زعيط . زعيط . من البتاع اللي اسمه ايه . معيكه . اسمه ايه يا ابني . الفلفل . زعيط . نونو ال دي البتاع اللي يتزرع . معيكه . الغله يا ابني . زعيط . نونو دي اللي يبقى له راس في الارض . معيكه . والله يا ابني ما فيـه ريحة التوم . زعيط . البتاع اللي يدمع العينين اسمو أونيون . معيكه . والله يا ابني ما فيه اونيون ولا . دا لحم ببصل زعيط . سي سا بصل بصل

معيكه . ويا زعيط يا ابني نسيت البصل وانت كان أكلك كله منه

معيط . شكاه لاحد النبهاء وقال ولدي توجه الى أوربا وحضر يذم بلاده وأهله ونسي لغته فقال له النبيه ولدك لم يتهذب صغيراً ولا تعلم حقوق وطنه ولا عرف حق لغته ولا قدر شرف الامة ولا ثمرة الحرص على عوائد الاهل ولا مزية الوطنية فهو وان كان تعلم علوماً الا انها لا تفيد وطنه شيئاً فانه لا يميـل الى اخوانه ولا يستحسن الا من يعرف لغتهم على انه أصبح كالغراب لما أراد أن يقلد الحجل في مشيته وعجز عن التقليد واستحال عليه عوده لطبيعته الاولى فأصبح يقفز قفزاً وقد خرج عن حد الجنسية وطباع النوعية ولا يفعل فعل ولدك الا لئيم جاهـل بوطنه فكم من شبان تعلمت في أوروبا وعادت محافظة على مذهبها وعوائدها ولغتها وصرفت علومها في تقدم بلادها وأبنائها ولم ينطبق عليهم عنوان عربي تفرنج

﴿ سهرة الانطاع ﴾

دخل أحـد المهذبين بيتاً من بيوت رجال الملاهي فوجد عشرة من الرجال جالسين على الاسرة مبهوتين ساكتين لا يتكلمون ولا يتحركون ولا يرفعون أبصارهم هذا واضع عنقه على كتفه وذا مكفي على المخدة وذاك يتمايل كالنائم وآخر واضع يده على خديه فظن المهذب ان رب الدار أصيب بمصيبة وهؤلاء متكدرون مما أصابه مشفقون عليه فجلس في ناحية من المجلس وسأل رب الدار قائلاً لعلكم بخير هل من أمر نزل بالسيد حفظه الله قال لا ولكن عادتنا ان نجتمع كل ليلة للانس والمفاكهة

المهذب . أظنكم تتذاكرون في تقدم صنائع أوروبا وانتشار تجارتها في سائر الاقطار حتى

عظمت ثروتها وتقوت شوكتها

رب الدار . مالنا علم باوروبا ولا أهلها فاننا ماخرجنا من مصر مدة حياتنا

المهذب . عدم الخروج من البلاد ليس شرطا في وقوف الانسان على حقائق الاشياء وعلمه باخبار من بعد عنه فان التواريخ وصحف الاخبار تقص علينا أحاديث الامم ونحن جلوس في بيوتنا

رب الدار . التواريخ لا يقرأها الا العلماء والصحف لا يسأل عنها الا الخواجات فانها عبارة عن حكاية يتسلى بها الشبان

المهذب . الصحف ياسيدي ألسنة الامم وترجمان الملوك تنقل لك ماقاله هذا الرئيس وهو باقصى الغرب وما أجاب هذا الامير وهو في اطراف الشرق وتخبرك بالمحاورات السياسية واغراض الملوك وأحوال الامم وسير التجارة واعمال العقلاء وصنائع العلماء وخطب النبهاء وتاريخ الاذكياء وما قامت به هذه الامة من عمار وطنها وحمايتها له وحفظه من امتداد أيدي الغير اليه وما أهملت فيه تلك الامة حتى خاتلها الغريب وتداخل في شأنها وحجر على أهلها عوائدهم ومذاهبهم

رب الدار . هذا شيء يوجب وجع الدماغ ويشتت الفكر ولا يشتغل به الا من ليس له شغل

المهذب . أظنكم تتحدثون في شؤونكم وتتذاكرون في اشغالكم الخاصة بكم لعلكم تهتدون لامر يزيد في الثروة أكثر مما أنتم عليه لتفاخر بكم حكومتكم وتكافئكم على اتعابكم واجتهادكم بالرتب العالية والعلامات الشريفة

رب الدار . هذا أمر لا يهمنا فان البلاد اذا تقدمت أو تأخرت لا تفيدنا شيئاً أحسن مما نحن فيه

المهذب . ماهو الذي وصلتم اليه ياسيدي من التقدم

رب الدار . لله الحمد كل منا له بيت عظيم بحوش واسع ومضيفه لطيفه وعنده من الخدم ما يقوم بادارة اشغاله وقد تركت لنا آباؤنا أموالاً لا تفنيها الايام فنحن في نعمة عظيمة ترى المسكين من الناس يقوم في الفجر لاشغاله ويبيت يكتب ويحسب ونحن لانخرج

من البيوت الا قبل الظهر بقليل ونعود اليها وقت العصر للمسامرة بالمضحكات والنكات اللطيفة

المهذب . اذا كانت هذه عادتكم فلم تجتمعون في هذه السهره

رب الدار . عادة الكيف انه لا يفرح الا اذا تعاطاه الانسان في مجلس انس بضحك ولعب فنحن نجتمع ليتعاطى كل منا منزوله ثم تدور النكته بيننا فاذا و ّن الانسان وخدّر قام ودخل محل النوم حسب العاده فيبيت مبسوطاً لا يسأل عن الدنيا ولا من فيها ثم التفت الى اقرانه وقال رأيكم ايه يا اسيادنا في هذه العباره فاجابه الجميع بصوت واحد «مفيش غير كده احنا مالنا ومال الدنيا والتجاره والتواريخ احنا رايحين نبقى زي الافرنج اللي كل ساعه يقولوا الدنيا جرى فيها ايه والجرانيل قالت ايه والتلغرافات عادت ايه زي اللي الدنيا ملكهم هأهأ هع»

المهذب . هكذا تكون حال من لم يتهذب صغيراً فانه يخرج أسير شهواته بعيداً عن ادراك المعاني جباناً بليداً غبياً ولكن قد كسفت شمسكم وظهرت أنوار المعارف والآداب وأصبحت الحكومة في جد واجتهاد تقدم بهما رجالها وتبعثكم من قبور الغفلة الى جنات المعارف والامة تبيت تبحث عن أسباب تأخرها وما يوجب تقدمها فهي والحكومة يد واحدة في احياء الوطن وتوسيع تجارته وتأييد كلمته ولا نلبث ان نرى البيوت والمجامع كلها محافل آداب ومجالس مباحثات وتصبح الاطفال تبحث في حال من تقدمها وتعجب من جبن آبائها وسعيهم في اعدام المعارف بما ألفوه من اللهو والبطالة وفساد الاخلاق وما كانوا يفعلونه من القبائح والرذائل في سهرة الانطاع

﴿ تخريفة ﴾

(الجنون فنون)

جلس أحد المحتالين على قهوة وأخذ يقرأ أكاذيب سماها قصة عنترة فاجتمع اليه عدد كثير من الرعاع والهمج الذين أولعوا بسماع الاكاذيب والخرافات فلما رآهم منصتين اليه أخذ يفتري عبارات ينسبها الى عنترة وكلمات يعزوها الى عمارة وقد افترق القوم فريقين وكل فريق يدفع لهذا المحتال نقوداً ليؤيد مشربه ويتمدح بمن يميل اليهم والمحتال مجدٌّ في

التخريف متفنن في الكذب حتى قرب الفجر فقال وبينما هم في قتال ونزال وقد انكشف الغبار عن اسر عنترة وسنخلصه في الليلة القابلة. فقال له أحد المجانين لابد ان تخلصه الآن وخذ عشرة جنيهات فأبى المحتال وسكت عن الكلام فشتمه المجنون وعلت اصواتهما بالقبائح وآل الامر الى الضرب والاهانة ثم ذهب المجنون وقد تذكر ان عنده قصة عنترة ولكنه أمي لا يقرأ فقصد غرفة ولده وايقظه من النوم وهو يبكي وقال له ياولدي ابوك رزئ بمصيبة عظيمة فقال له ولده هل مات اخي قال أهون - هل هدم البيت الجديد - كان أهون - هل ماتت أمي - كان أهون - أصدر عليك حكم بالليمان في قضيتك - كان أهون - سرقت نقودك - كان أهون - ما الذي أصابك ياوالدي - ياولدي في هذه الليلة أخذوا عنترة أسيرا فهات الكتاب وخلصه والاَّ قتلت نفسي - الولد من عنترة يا والدي أتكدر على حكاية مكذوبة وقصة كلها تخريف ومالنا وعنترة ان هو الا عبد أسود أخذ شهرة بما صنعه من الشعر وقتل بعض الناس بلا حق لولوعه بالنهب وسعيه خلف مقاصده - الوالد تشتم عنترة يا ابن ال... ونزل عليه بعصاه حتى أسال دمه وحلف عليه بالطلاق لا يبيت عنده ولا يعاشره فخرج الولد المسكين وهو يسب الجهل وأهله ويعجب من فساد أخلاق والده الذي أحدثه عدم التهذيب حتى الحقه بالبهائم وسلخ عنه جلد الانسانية فعارضه أحد جيرانه وسأله عن حاله فقص عليه قصته مع والده - فقال طالما قلت لابيك فضك من عنترة وتعال اعمل زغبي فما سمع كلامي - فضحك الولد من خسافة عقل الاثنين وقال لاشك ان الجنون فنون

﴿ محتاج جاهل في يد محتال طامع ﴾

احتاج أحد الزراع لاستدانة مائة جنيه فقصد بعض التجار وطلب منه المبلغ فجرت بينهما هذه الحكاية بحضور أحد النبهاء

الزارع عاوز ميت جنيه بالفرط ياسيدي

التاجر فرط المائة عشرين كل سنة

الزارع اعمل اللي تعمله

التاجر شيل عشرين من المائة يبقى كام

الزارع لهو اناكاتب شوف يفضل كام

التاجر يبقى سبعين

الزارع يدوب كده

التاجر دلوقت صار لي مائة جنيه ضم عليهم عشرين واكتب الكمبياله

الزارع اكتب وخد الختم اهو

وفي وسط السنة قدم له الزارع عشرة قناطير قطن وعشرة أرادب من السمسم وعشرين من القمح وثلاثين من الفول واربعين من الشعير وجاء يحاسبه فكانت الحكاية هكذا .

الزارع طلع لي ورقه بالحساب ياسيدي

التاجر انت جبت قطن بعشرين جنيه وقمح بعشرة جنيه وسمسم بثمانيه جنيه وفول بعشرين جنيه وشعير بعشرة جنيه يبقى الجميع كام

الزارع ما قلت لك من ديك المره معرفشي الحساب

التاجر يبقى أربعين جنيه شيلهم من مائة وعشرين يكون الباقي كام

الزارع مين يعرف شيء لبده

التاجر الباقي تسعين جنيه وفرطهم عليهم عشرين يبقى مائة وخمسة عشر طالب انت كمان ثلاثين يبقى مائة وستين ضم عليهم أربعين فرط يبقى الكمبياله تنكتب بمائتين وعشرة ونصف

الزارع هو ايه موش الاصل سبع عشرات وعشريتين وجالهم ثلاثين وثلاثين شلت منهم تمن البتوعات اللي جبتهم يبقى لك دلوقت ميتين وعشرة بس . والنص ده جبتو منين.

التاجر النص أجرة كتابتي ليس من الارباح

الزارع آي دلوقت صحت الحسبه والسنه دي أبيعلك خمسين فدان في عشرة جنيه يبقى لك ايه بعد كده ياجنيهين ياتلاته خدلك بهم جاموسه ويبقى على رأي المثل شيل ده عن ده يستريح ده من ده

فقال النبيه للتاجر اما تتقي الله في هذا المسكين أخذت محصوله وصار دائناً لك فلفقت له حسبة لا اصل لها وجعلته مدبوناً فان حسبتك معه هكذا

عدد

٧٠ بفائدة عشرين في المائة فالمطلوب عدد ٨٤

وهو اورد لك هذا القدر

قنطار	سعر	جنيه	
١٥	٢	٣٠	قطن
أردب			
١٠	٢ ١/٢	٢٥	سمسم
٢٠	١	٢٠	قمح
٣٠	١	٣٠	فول
٤٠	١/٢	٢٠	شعير
		١٢٥	

يكون له عندك واحد واربعون جنيهاً فكيف جعلته مديناً بمائتين وعشرة ونصف بعد ذلك ان هذا لهو السلب بلا خوف

التاجر ياخبيبي الزاريء خمار واناذاكان موش يعمل كده موش لازم يجي تاجر بكير بعد خمسه سنه . فقال النبيه قد تغيرت هيئتنا رتنبهت الحكومة لرجالها فهي تسعى في عمل نظام يحفظ الحقوق ويمنع تعدي مثلك على هذا المسكين حتى لا يقع بعد ذلك جاهل محتاج في يد محتال طامع

﴿ غفلة التقليد ﴾

بني احد حمير الاموال بيتاً وزخرفه وملاءه بالفرش والكراسي والمنصات الثمينة ثم صنع وليمة عظيمة لبعض أحبابه عند انتقاله اليه وكان في جملة المدعوين رجل من النبهاء فلما انتهى بهم المجلس أخذ يقص عليهم سبب بناء هذا البيت ومقدار ماصرفه فيه وما قاساه من مماطلة العمال ومعاكسة الزمان وشرح لهم بيان مافيه من الاثاث والمتاع حتى انتهى الى خزانة كتب فقال واشتريت هذه الخزانة بألف قرش وأخذت هذه الكتب بمائة جنيه بواسطة أحد العلماء الافاضل

فقال له النبيه . أظنك مغرما باشعار العرب لتقف على أحوالهم ووقائعهم الشهيرة وحماستهم التي كانوا عليها والغيرة التي خصوا بها والحمية التي نشأوا فيها والامانة التي امتازوا بها والعزة التي بها يعرفون والكرم الذي به يمدحون والوفاء الذي به يمتازون والشجاعة التي عليها يتدربون والحكمة التي بها يولدون والبلاغة المقصورة عليهم والفصاحة المنسوبة اليهم والسياحة التي امتازوا بها والرحلة التي ألفوها وتعلم مافي منشآتهم من التشبيهات الغريبة والمعاني البديعة والتصور العجيب والاقتدار المفحم والسلاسة اللفظية والرقة المعنوية والتراكيب الآخذة بالعقول والتفنن الدال على قوة ذكائهم وغزارة مادتهم وصفاء عقولهم فان ذلك كله في اشعارهم يشهد به الشرقي ويعترف به الغربي ولا ينكره الا من انتزعت منه الانسانية وجذبته الجنسية فالقته في مهواة الحقد والكبرياء فاصبح لا يعرف الا السفه ولا يميل الا الى القبائح ولا يتمدح الا بجنسه وان كان مذموما صفة المائل بطبعه الى الشهوات البهيمية البعيد بذاته عن مظاهر الانسانية

فقال رب الدار . ليس فيها من أشعار العرب ولا نثرهم شيء

قال النبيه . اظنك مشتغلاً بمطالعة التاريخ لتعلم كيف كان بدء الوجود وانتشار الانسان وكيف تعلم الانسان الصنائع وأدرك المعارف وتقف على مخترعي الصنائع وما لاقوه في ابتداعها ومؤسسي الممالك وما عانوه فيها من الحرب والغربة والاسفار الشاقة وما نابهم من فقد الكثير من الارواح والالوف من الشجعان وما سهروا في حفظه من تربية أيتام أكلت الحرب آباءهم وحفظ أرامل حال الموت بينهن وبين أغراضهن وما تعبوا في جمعه من أموال يصرفونها في صيانة الامم وعمار الاوطان وشراء السلاح وآلات الدفاع وتهذيب الاطفال وتدريب الشبان وتحنيك الشيوخ وتبحث في التواريخ على تاريخ قومك وأهل عشيرتك لترى نفسك في أي جنس وجدت وفي أية أرض ولدت فاذا تحققت الجنسية وعلمت نشأة عصبيتك التي بها صح انتسابك وعرف عنوانك سرّحت نظرك في أخبارها وتتبعت سيرها في الوجود وبحثت في مادة قوتها وعناصر تركيبها التي أقامتها جسداً صحيحاً وأظهرتها انساناً كاملاً واشتغلت بمعرفة الوقائع وما جرى فيها من المداولات والسياسات الادبية والاحتياطات التي وقت تلك

الامة من العوارض وقوّت أمرها ورفعت شأنها وشغلت الافكار بها وأرجفت القلوب وحيرت الالباب وألزمت نفسك معرفة الرابطة التي تأسست عليها والوحدة التي نشأت منها والقطب الذي دارت عليه والغاية التي وصلت اليها لتعلم أأنت أنت كما كان آباؤك أم غيرت وبدّلت وتركت عاداتهم وتساهلت في معتقداتهم وأهملت سرّهم الجامع ونظامهم البديع حتى رأيت التغير في نفسك وفعلك وبعدك عن الوصول الى مدركاتهم ونفور المعالي منك وجهلها اياك فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم

قال رب الدار . أنا لا أعرف التاريخ ولا البحث فيه لاشتغالي بأمور كثيره

قال النبيه . أحسبك تشتغل بالعقليات لتعرف ماكان عليه قومك من السهر في تدوين كتبها وحل مشاكلها وتعب الاجسام في تجربة المخترعات وسبر المبتدعات وما كانوا عليه من القوة في هذه العلوم وماذا ينسب اليهم من الطب الذي هو أساس نظام الحياة ومظهر الصحة وما عرفوه من الهندسة التي هي قاعدة المدنية ودعامة الحصون والمعاقل وما أدركوه من النجوم التي أوصلتهم الى معرفة الحوادث الجوية والخوارق الكونية فاهتدوا بها لافتتاح لجج البحار واكتشاف المجهول من الاقطار والامم وما وصلوا اليه بالرحلة من معرفة حدود البلاد وعوائد العباد والطرق الوعرة والسهلة ومقدار مساحة الوديان والغابات والمحالك وما تفننوا فيه من الآلات الدفاعية والصناعية والزراعية وغيرها حتى عظمت ثروتهم واشتدت سطوتهم وتأيدت قوتهم وما الفوه من الحكم والآداب والعلوم الابتدائية التهذيبية والبدائع المروضة للنفوس .

قال رب الدار . ليس لي المام بشيء مما ذكرت

قال النبيه . أتخيل انها كتب دينية تشتغل بها لتكون على سنن اسلافك ودين آبائك لئلا تفقد حرارة الدم والغيرة التي يولدها الطعن في المذهب وسعي الغير في اعدامه خوفاً منك على وحدة النظام وقاعدة الاجتماع ورهبة من تذبذبك وميلك مع كل ريح فتصبح براء من مذهبك اجنبياً من غيره فلا تمكن من الحماية بقومك ولا الالتجاء لغيرهم فلكل أمة مذهب يجمع شتاتهم ويوحد كلمتهم ويبعث فيهم روحا يحيا به ذكرهم ويدوم مجدهم ويتأيد اتحادهم وتخشى من تغيير مذهبك الذي يذهب بك الى النفرة وكراهة مواطنك

وعداوة

وعـداوة أبيك وبغض أخيك وحقد صاحبك وانفة جارك منك ويميل بك الى مهواة يعز عليك الخروج منها وترمي بك في حضيض لا يرفعك منه الا اعدام يواريك التراب فيذهب شخصك وينسى ذكرك وينكر أثرك

قال رب الدار . أنا لا أعرف المذهب الا سماعاً من أبي وأمي ولا أفقه له معنى غير اني مثل قومي

قال النبيه . أظنها كتباً بغير لغتك تجيل فيها فكرك لتعلم اخلاق الامم وسيرتهم وما هم عليه من الآداب والمحاسن الانسانية فتأخذ منها مايكون صالحاً لامرك نافعاً لقومك مؤيداً لوطنك وتعرف مالهم من طول الباع في المخترعات واتقان الصناعة واحسان اسباب الثروة وتدرك بماذا تقدمت هذه الامة ومكنت المدنية فيها وبماذا غلبت تلك الامة وأضاءت أقطارها وخسرت رجالها وبماذا اتسعت تجارة هذه ودارت في المسكونة مع الرغبة فيها والأمن عليها لعلك تهتدي لشيء مما نقف عليه تنفع به بلادك وترشد اليه قومك

قال رب الدار . انا لا أعرف من اللغات غير ماكانت تكلمني به أمي في صغري وتربيت عليه

قال النبيه . مَاهذه الكتب اذاً وما داعية اقتنائها عندك

قال رب الدار . دخلت بيت الشيخ فلان والسيد فلان والحاج فلان والهمام فلان والامير فلان فرأيت في مضيفة كل منهم خزانة بها كتب وعليها ستارة خضراء وبجانبها منشة من الريش والخادم كل يوم ينفضها ويمسح الزجاج والخزانة فعلمت ان هذا طرز جديد (موده) في بناء البيوت فرتبت مضيفتي مثلهم لاكون في صف المتمدنين . فلعن النبيه الجهل وسب التقليد وقال ان دام تقليد الناس لبعض الافراد فيمايفعلونه من غير نظر في المنفعة ولا تعقل لما يراد ضاعت العلوم وتحولت الطباع وانحلت عرى الوحدة وأصبح الكل نائماً في غفلة التقليد

منتخبات العدد الثاني

اضاعة اللغة تسليم للذات

(ايها الناطق بالضاد)

بمَ تستبدل لغتك وما لها من مثيل والى من تتركها وانت لها كفيل وما الذي استحسنته في غيرها واستقبحت مقابله فيها . واي شيء طلبته فيها ولم تجد له اسما . ترى انك في عصر تمدن يقضي عليك باستعمال أرق اللغات لسهولة التركيب وعذوبة اللفظ ورقة المعنى . ناشدتك الله أوجدت في اللغات الحديثة العهد ما اشتملت عليه لغتك القديمة ام رأيت حسنا في اللغات التي تنقح كل يوم بقلم المتمدنين لم تره في لغتك الفطرية الخلق المجموعة في زمن الهمجية كما يزعم الجاهلون . أترى اذا عبرت عن شيء بلفظ في غير لغتك وأردت ان تتصرف فيه بعبارة أخرى هل تجد له مرادفاً واحداً كما تجد في لغتك للفظ جملة مترادفات . ام أنت الجاهل بقدر لغتك الغافل عن عظم قدرك في تاريخ العالم قديماً وحديثاً . أظنك في احتياج لفهم سر اللغة ومعرفة مايترتب على ضياعها ولا تثريب عليك في أمر لم يبحث فيه الا بعيد الغور في حساب العواقب شديد الحرص على بقاء وحدة الهيئة الاجتماعية

لبيك أيها الأخ الشقيق وان لم نحمل في بطن واحد . اللغة سر الحياة والحد الفارق بين الانسان والبهيم . بها يترجم اللسان خواطر القلب ويجلو بنات الافكار وبها يعشق المرء وان كان دميم المنظر . ان رقت استعطفت القلوب القاسية وان غلظت اخضعت النفوس العاتية وان خشنت حركت الطباع . وان لطفت رفعت الاوضاع . وان حسنت ألفت القلوب . وان سهلت أظهرت الغيوب . وهي التي بها جذبت قلب أمك واستعطفت جانب أبيك وتملكت فكر أخيك واستملت صاحبك والفت جارك وتعارفت مع مواطنك وقابلت بها نزيلك . فهي انت ان كنت لا تدري من انت . وهي وطنك ان لم تعرف ما الوطن . اما كونها انت فقد قدمت لك من عرفتهم بها وانت اذا فقدتهم صرت وحيداً غريباً في الوجود لا ترى من يقول لك من أنت . واما كونها وطنك فانه انما يعمر ويسمى وطناً برجال يتعاونون على احيائه واظهاره في الوجود محلاً للسكنى وداراً للاقامة

وقد علمت انك بمفردك لاتهتدي لشيء ولا تقوى على أي امركان ومن فقد المواطن فقد الوطن

اسمعك تقول اذا فقدت لغتي اعتضت عنها باخرى . اجل انك اعتضت عنها ولكن بما أضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية فانك لا تخاطب بها الا أجنبياً من البلاد مغايراً في الجنسية وانت تعلم ان لمعاني الالفاظ تصوراً لا يقوم به مقابلها في غيرها فانك لو سمعت قولي

ومن غرر الاخلاق ان تهدر الدما * لتحفظ اعراض تكفلها المجد

واردت ان تلقيه بلغة اخرى لفقد قوة الحماسة ووقع الالفاظ وربما عبرت عنه بما لا يؤدي معنى ولو سمعت قولي

اجل صفات المرء فضل ومنطق * وبعدهما كل الصفات غرور

لسردت عبارة يضيق صدر السامع بها ولا يصل لفهم المقصود وهبك توسعت في غير لغتك وتفننت فيها أتناجي ربك في أوقات عبادتك بها أم تقرأ بها كتابك المعجز بحسن نسقه أم تخاطب بها باعة الفجل عند ماتشتريه أم تستعطف بها قلب امك وقت ما تغضب عليك ام تعاشر بها عامة قومك وهم اهل البلاد . اراك استجهلتني وقلت ان الرجل لعدم علمه بغير لغته ينكر بلاغة غيرها . مهلاً أيها المدلّ بنفسه فان في قولي (لمعاني الالفاظ تصور لا يقوم به مقابلها في غيرها) حكماً يقضي به كل ذي لغة على عدم قيام غيرها بما تقوم به فربما كانت حماسة هذا اللفظ في لغتك تخنثاً في غيرها وبالعكس وهذا مما يأخذه الذوق من غير بحث في اللغات . وأراك تعدّني من الجاهلين بضروريات الاختلاط من معرفة لغة النازلين بوطنك . رويداً فقد قدتك الى الحق ورميتني بالاضلال . فاني لم أحرّم عليك غير لغتك لضرورة تقضيها ونازلة تدفعها ومشكل تحله . وانما أردت تذكيرك بان لغتك كان منطوقاً بها من غير تعلم محفوظة في غير كتاب وبمخالطة الدخيل فسد بعضها وخيف عليها الضياع فدونت في بطون الاوراق وبقيت قوتها في اللفظ والكتابة ثم كثر فيها الدخيل حتى انتخب لها كتاب ومنشئون ثم تعدد فيها الدخيل فاستبدلت بلغة اصطلاحية لا قاعدة تمشي عليها ولا كتاب يحفظها

ولا ضابط يجمعها ولا حروف تؤلف منها واذا اردت معرفة لغة آبائك أفنيت الكثير من السنين في طلبها وهيهات ان أدركتها وقد عظمت المصيبة بفقد الكتاب والمنشئين ثم تم التغيير بتكلم العامي بعبارة طويلة ثلثاها أجنبي عن لغتيه الاصلية والاصطلاحية . ألا تعلم ان اللغة تقضي على المتكلم باتباع ما تقتضيه عبارتها فتراك تهتز في عبارة اجنبية يلزمك الثبات بها في لغتك وتستحسن أمراً عنون بغير لغتك وهو مستقبح في عادة بلادك ومعتقد أهلك . ولا شك ان هذا يسير بك في طريق الاستحسان حتى تستقبح لغتك وعادة بلادك فتبيت وأنت وطني حر وتصبح وأنت في يد اجنبي يصرفك كيف يشاء . وناهيك بالاندلس الذي كان روضة الآداب وبستان المعارف العربية وبترك لغته واستعمال الدخيل فقدها فقد محو وجهل المعتقد جهل طفولية فمن يجتمع معك في جدك السابع او الثامن من أهله أصبح يعبر عنك الآن بلفظ (أرابو) اي عربي وساءت تلك المبادئ وبئس هذا المنقلب . هوّن عليك فالامر سهل فاننا لا نحتاج لحفظ لغتنا أكثر من احداث درس في جميع المدارس يلقن فيه الطفل لغته العربية الشريفة بطريقة تهذيبية لا يصعب الاخذ بها ولا تمل النفس من ملازمتها مع اجتماع الامة على تكثير المدارس بالجمعيات وصرف ثلث وقت الطفل في تعلم اللغة والوطنية وتهذيب الاخلاق وحفظه من معلم أجنبي يغرس في طبيعته الساذجة حب بلاده ويحسن لافكاره الخالية طباع أهل جلدته واذا تمت هذه المبادئ رأيت لبلادك نشأة جديدة وخلقاً بديعاً وعلمت بما تراه من جمع الكلمة وسر وحدة التعليم وانتظام الهيئة الاجتماعية ان اضاعة اللغة تسليم للذات

(كانت المقالة السابقة سبباً لمناظرة طويلة بين جماعة من كتاب مصر انتهت باقامة النديم نفسه مقام حكم موفق بين أفكار الكل كما يراه القارئ في المقالة الآتية وقد قدمناها على غيرها لانها هي وسابقتها متلازمتان ونصها)

﴿ كلمة زهير بن أبي سلمى العربي ﴾

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الا صورة اللحم والدم

﴿ كلمة امام المحققين عبد الرحمن بن خلدون المغربي ﴾

(اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها)

﴿ كلمة لامرك الفرنساوي المؤرخ الطبيعي ﴾

(الوظيفة تكون العضو)

﴿ كلمة شافي الفرنساوي المحقق الفلسفي ﴾

(اللغة ليست بارادة الانسان)

﴿ كلمة عبد الله نديم الاسكندري ﴾

(اضاعة اللغة تسليم للذات)

﴿ كلمة الفاضل أمين شميل الشامي ﴾

(اللغة آلة مادية تقوم بها مبادلة الافكار بالمعاني بين إفراد الانسان عموماً وخصوصاً)

﴿ كلمة الفاضل المصري ـ هو ابراهيم بك الهلباوي ﴾

(استقلال الامة موقوف على حفظ لغتها)

﴿ كلمة الاديب الاسكندري ـ هو احمد افندي سمير ﴾

(اللغة هي عنوان الامة)

﴿ سادتي الادباء ﴾

أعيروني من أيام أنسكم وقتاً أدخل فيه أنديتكم الادبية لاتلو عليكم بحث اللغة وانا كامن في أسطر صحيفتي وهي لساني فما المرء الا اصغراه قلبه ولسانه فقد طالت المناقشة والبحث باق على حاله وان استفدنا منه حكمتين ولست ممن يدخل في البحث ليبخس الناس أشياءهم وانما اتكلم بعبارة احقق فيها كلمات الحكماء بقدر مايصل اليه ادراكي من التصورات التي بنيت عليها حكمتي آخذاً على القلم عهداً أن لايخرج بما يلفظه عن حد الادب ولا يتشيع للغة ولا للجنسية فان قواعد البحث مختلفة المصادر ولكل أمة باعتبار

لغتها فيها نصيب على اني لست من السائرين خلف الاغراض وانما انظر للانسان من حيث النوعية في الاختلاط المعاشي ومن حيث الوطنية في الاجتماع العصبي وقد قدمت ثماني كلمات من الحكم وهي اما مختلفة بالوضع والاعتبار او متفقة بالوضع او بالمآل فتكلم عليها بطريق المزج محققين معنى كل كلمة وما قامت به وما دلت عليه وهذا يقضي عليّ بتقسيم البحث الى فصول. الاول في تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو او قيام العضو بها وانفعال الاجسام بمدارك اللغة. الثاني في اظهار سقطات المناقشة وما خرج عن الموضوع. الثالث في تسوية المسألة بين المتناقشين وحفظ النفوس من عوارض النفور وهذا يلزمنا بطول الشرح ولكن صدر الجريدة لا يسعه فنحن نجتهد في الايجاز ونقدمه فصلاً بعد فصل حتى نأتي على آخر الفصول ان شاء الله غير أني التمس الصفح من القراء والمتناقشين عما يرونه من القصور او الركاكة فاني في تيار الرحلة اكتب ما أقدر عليه من التصور بلا مراجعة ولا مذاكرة مع حكماء واختلاف الاماكن وكثرة التنقل مع الاشتغال بالاخوان على اختلاف عباراتهم وتحرير غير البحث من أوراق الصحيفة كل ذلك يسهل العفو ويحقق لي الرجاء فتشتيت الفكر في هذه الحالة لا يخفى على من تعود على الخروج للنزهة لا لمعاناة الاسفار

﴿ الفصل الاول في تحصيل ملكة اللغة وقيامها بالعضو اوقيام العضو بها الخ ﴾

قرر العلماء والفلاسفة والطبيعيون ان للانسان مدارك جسمانية ومدارك روحانية فانه مركب من جزء جسماني وجزء روحاني ومداركه بحسب مركباته غير ان المدرك لحوادث الجزئين هو الروحاني وانما يختلف باختلاف الوسائل فان كان المدرك جسمانياً أدركه بواسطة القوى الدماغية والحواس الجسمانية وان كان روحانياً أدركه بنفسه من غير واسطة وهذه المدركات عند حصولها تندفع قواها المعنوية الى اللسان فيترجم عنها بما يقتضيه مقام الشعور من الفاظ فرح أو حزن أو ارهاب أو استعطاف أو غير ذلك ولهذا المعنى الدقيق أشار زهير العربي بقوله «لسان الفتى نصف ونصف فؤاده» ولا يقوم اللسان بخدمة الجزء الروحاني وترجمة مدركاته الا بتمرينه على الكلام وتكرار المسموعات وتعوده على النطق بالالفاظ الدالة على المعاني واشتغاله بها حتى تصير اللغة ملكة في هذا

العضو المعبر عن الانسان ماهو ولهذا المعنى أشار ابن خلدون المغربي بقوله « اللغة ملكة صناعية متقررة في العضو الفاعل لها ، ولا يتمكن الطفل من هذه الملكة الا اذا قررت اليه أصول اللغة ومشتقاتها ومنع من تناول لغة أخرى حتى تصير الاولى ملكة سليمة من العوارض كما كانت عليه العرب الاولى فان استعمالهم اللغة على أصولها وتداولها بينهم غير ممتزجة باخرى صيرها لهم ملكة صناعية يأخذها الولد عن والديه فينطق بها كما ينطق البليغ من قومه وقد وهم بعض الملفقين فقال ان اللغة كانت للعرب فطرية غريزية وقد علمت بطلان هذا بما تقرر من ان احكام الصناعة في التلقي والتلقين هو الذي صيرها ملكة للسان ولهذا أشار الفاضل أمين شميل الشامي بقوله « اللغة عبارة عن آلة مادية تقوم بها مبادلة الافكار بالمعاني بين افراد الانسان عموماً وخصوصاً »

وبما تقرر تعلم ان اللغة ليست فطرية وانما هي مظهر الانفعال الجسماني أو الروحاني فان المولود اذا خرج من بطن أمه ورأى النور اهتز واضطرب لانسه الجسماني بهذه المدركات الجديدة واذا رأى الظلمة انتحب وبكى لألمه من هذا الانقباض الجسماني واذا سمع صوتاً مال اليه بالقوى الدماغية الجسمانية وهو في جميع الاحوال يشير ويعالج النطق بفطرته فلا يتمكن منه حتى تكرر عليه الالفاظ وترسخ في ذهنه فينطق بها ويكررها الى أن تصير ملكة في لسانه ولهذا المعنى أشار المحقق شافي الفرنساوي بقوله « اللغة ليست بارادة الانسان » غير انه يحكم على الانفعالات الجسمانية باتباع المادة المتكونة منها ويقول لو جئنا بطفلين عربي وأوروباوي وسلمناهما لمرب أصم أبكم أعمى وتركناهما معه عاماً أو عامين ثم دخلنا عليهما لوجدنا العربي ينفعل انفعالات عربية تبعاً لمادة تكوينه والاوروباوي ينفعل انفعالاً غربياً تبعاً لمادة تكوينه كذلك بمعنى ان كلاً يصيح بأصوات تماثل أصوات المشتقات وقد انفرد بهذا الرأي وتبعه قوم من بعده وبمذهبه يقرر ان تغيير اللغة في الآباء يغير فطرة الانفعال في الابناء فاذا تعلم الاعجمي العربية وعلمها ولده تجنس بالعربية وانسلخ من جنسية الاعاجم كما وقع لكثير من الاعاجم الذين تركوا لغتهم بالعربية وللعرب التي تنصرت بالروم فان الاولين انسلخ اسم العجمة عن أبنائهم والآخرين انسلخ اسم العروبة عن أبنائهم كذلك وما نقلهم من الجنسية

الا ترك اللغة واستعمال غيرها حتى غلبت عليهم ولم يكن تسليم الذات مخرجاً لها عن الجنسية في العرب التي تبعت الفرس والروم والترك لتمسكها بلغتها وعدم التهاون فيها باستعمال غيرها فبقيت عصبيتها قوية ودمها الجنسي سارياً في عروقها تظهره القوة ويخفيه الضعف ولو تركت لغتها واستعملت غيرها لفقدت الجنسية الاصلية وعنونت بجنسية اللغة التي صارت ملكة في لسانها وعدمت الانفعالات العربية وكذلك الالبانيون والرومانيون واليونان وغيرهم لما ثبتت لغتهم في ألسنتهم ولم تتمكن منهم لغة أخرى بقيت العصبية محفوظة مع ضعف القوى حتى اذا قويت الانفعالات وتجمعت حواس العصبية غلبت على أمرها وتخلصت من اللغة المستلمة ذاتها ولم يضع تسليم الذات اللغة ولو اضاعت اللغة ما نظرت الى الذات فقد تقرر ان المدركات الجسمانية تترجمها اللغة وهي تستعمل الذات فيما تقوم به من المعاني ولهذا أشرت بقولي « اضاعة اللغة تسليم للذات »

وقد قرر المؤرخ الطبيعي لامرك الفرنساوي ان الوظيفة تكوّن العضو وكان الطبيعيون من قبله يقولون ان العضو يكوّن الوظيفة فيحكمون على ان اليد هي التي تكون الحركة واللسان هو الذي يكون الكلام والعين هي التي تكون الابصار وهكذا . ولكن تحقيقات لامرك ومجرباته عكست هذا القول وأثبتت ان الوظيفة هي التي تكون العضو فان اليد اذا أمسكناها ومنعناها من الحركة زمناً تشنجت واحتاجت لعلاج يلينها حتى تتحرك ولو سلمناها للحركة لحفظت لها لينها واستقامة حركتها والحركة هي الوظيفة التي تكونها أي تظهر خاصتها وتديم استعدادها للوظيفة . واللسان اذا ترك بلا تكلم مع صاحبه ولا تعليم للغة كان عضواً معطلاً فاذا استعمل في وظيفته ظهر وعلم وعرفت ثمرته فالوظيفة هي التي كونته وأظهرت المعاني القائمة بالالفاظ المنبعثة من الانفعال الجسماني ولهذا أشرت بقولي في خصائص اللغة « انها سر الحياة والحد الفارق بين الانسان والبهيم بها يترجم اللسان خواطر القلب الى آخره » ومما ذكرته تعلم ان اللغة تصير بالصناعة ملكة للانسان باعتبار المدارك الجسمانية وانساناً باعتبار قيامها بالانفعالات الجسمانية والروحانية وترجمتها المدركات الحاصلة من الحواس والقوى الدماغية والتصورات

العالية المجردة عن الانفعال الجسماني . وليعلم ان صناعة الكلام غير اللغة فان الرفع والنصب مثلاً تقوم بهما الالفاظ وتحفظها من الخطأ ولكن لا تساعدك هذه الوسائل الصناعية على اتقان اللغة والمخاطبة اذا كانت مجردة عن بدائع اللغة فكم من نحوي لا تغيب عنه قاعدة من قواعد النحو لو كان كتابة جواب او عبارة صحيحة لاخطأ في الرسم وخرج عن حد الانشاء كما ان اللغة وان صارت ملكة لا تؤدي معاني صناعة الكلام الا اذا أخذها الطفل عن والديه على أصولها فيوافق بنطقه صاحب صناعة الكلام وان كان لا يدرك القواعد الصناعية . فالصناعة اذاً ملكة في اللسان غير ملكة اللغة وهي بمقام لغة أخرى في اللسان ومن هذا تعلم ان النصب والرفع وضرب زيد ومات عمرو ليس من اللغة في شيء لاستقلاله بنفسه فانك ترى الاعجمي اذا لزم فن النحو أتقنه وهو لا يعرف العربية أو لغة غير لغته وترى ساكن نجد ينطق بالعربية الصحيحة واللغة الحقة وهو لا يعرف من النحو زيداً ولا عمراً وما صير أهل الامصار محتاجين الى صناعة الكلام لتقويم الالفاظ بها الاّ اختلاطهم ومزج لغتهم بغيرها فلفقوها وصيروها لغة اصطلاحية لا يستدل على أصلها الاّ بالمحفوظ في الكتب ولا يقومونها الاّ بعلم الصناعة وقد أضاعوا ذاتهم الملكية وسلموها للغة اصطلاحية فاذا تركوا الاصطلاح الموصل للبحث في أصل اللغة واستعملوا غيره من اللغات فقدوا الجنسية رأساً وتجنسوا باللغة التي يستعملونها وسلموا ذاتهم لانفعالاتها الجسمانية والروحانية والانفعالات تصير الجسم آلة لمظاهر الالفاظ وغرضاً لمواقع المعاني وهذا بعينه هو التسليم وان كان الوازع من المتحولين اذ لا ينفعهم بقاء الوازع مع جهل تاريخ مبداهم وسيرة شموبهم فان اللغة الطارئة بعد ان تصير ملكة للسان تستخدم الفكر في تاريخ أهلها ووقائعهم وسيرتهم وهذا الاستخدام يهيئ الذات لانفعالاته وتتبع المدركات الحديثة ويستحيل على الذات الرجوع لحركات جنسها الاول بعد فقد الملكة المترجمة عن المدركات وتحويل المدركات لما تقوم به هذه الملكة الطارئة . فاذا كانت أمة مستقلة وغيرت لغتها بغيرها ضعف فيها الاستقلال بقدر ما يضعف من لغتها فاذا تم التغيير فقدت الاستقلال ووقع فيها الخذلان بتباين الطباع وانعكاس الانفعالات وعدم اتفاق المدركات فانه يستحيل

توافق التعبير في جميع الافراد وان تم اختلفت المدارك اختلافاً يبعد الذات عن روابط الاستقلال وهذا الذي أشار اليه الفاضل المصري بقوله « استقلال الامة موقوف على حفظ ذاتها » والاديب الاسكندري بقوله « اللغة هي عنوان الامة »

سيأتي مزيد بيان مهم لهذا المبحث في منتخبات الاستاذ فانه لم يكتب في التنكيت والتبكيت بعد ذلك من هذا الموضوع شيئاً

﴿ جرائد الاخبار مدارس الافكار ﴾

والعهد وذمته والشرف وحرمته ان قلمي في خدمته لمن الصادقين ولساني في أخباره لمن الناصحين. ناشدتك الحق يا شقيق الانسانية الا ما تأنيت على خادم أفكارك حتى يفرغ من حديثه وان شئت أنبت او أحببت فانك في الاولى تحمد العاقبة فتندم على اهمال المبادي، وفي الثانية تمدحك المبادي، وتمشقك النهايات فان اكتفيت بالاشارة تركتني أعاني غير هذا الموضوع واز أبيت الآ الشرح نفكها لا جهلاً فما دعوت الآ سميعاً ولا أمرت الآ مطيعاً . كانت نشأة الجرائد في أوروبا كنشأة زراعة القطن عندنا ووجه الشبه ان القطن عند ما امرنا بزراعته كنا نزرعه ورجال الحكومة خلفنا بالكرباج ثم كنا نتلمه بعد ذهابهم ونحرث الارض لغيره فما زالت الحكومة تعالج رجالنا معالجة المريض حتى أرتنا الثمرة فالفناه وعشقناه واجتهدنا في خدمته حتى صار معدن ثروتنا . كذلك الجرائد التي كانت توزعها كتابها بلا مقابل فتلقى في الطرقات والمحافل ولا تقرأ فلما عجز أرباب الاقلام في تفهيم فنون السياسة أخذت تذم الاخلاق الفاسدة وتمدح اخلاق المهذبين فتورط المهذب وصار يطالع الجرائد وتحرك الغبي فصار يتصفحها لينظر مايقال في امثاله فصارت قراءتها من الفروض العينية بل من معدات الحياة . فلما رأت الكتاب ان جرائدها نفذت في الامم وتعلقت بها الافكار انقسمت قسمين قسم يهذب بضرب الامثال وسبك الوقائع في قوالب مألوفة وقسم يؤدب بنقل الاخبار وتفسير الافكار فارتفع شأنها وعظم قدرها واشتدت سطوتها حتى صارت لسان الامم ثم ترقت الى

درجة كانت فيها الآمرة بالصلح المثيرة للحرب القاضية بالحكم فما نسمع الا قولهم من رأي جرائد ايتاليا في مسألة كذا كذا. ومن رأي جرائد فرنسا كذا. وهذا حدٌ لم تبلغه الجرائد بنفسها بل بقرائها الباحثين في فصولها فانها انما تتكلم بلسان أمة او طائفة من أمة. أراك تعترض وتقول ان جرائدنا ليست في قوة التكلم. رويداً فانا الذين حجرنا عليها أفكارها بما ابتلينا به من التهور وعدم التبصر في العواقب فانا لو علمنا اننا في مهد التهذيب وحضانة الآداب لوقفنا عند حدودنا وحصرنا أفكارنا فيما يزيد ثروتنا ويقوي سطوتنا وتركنا تشويش الاذهان وتكدير الخواطر خلف ظهورنا واشتغلنا بما يضمن صلاح مستقبلنا واجتهدنا في توسيع دائرة المعارف واحياء ميت الصناعة حتى تخلص النفوس الطيبة من الجهالة وتفتح البيوت التي اقفلها الاهمال والاعجاب بمصنوع الغير وان كان مغشوشاً. واذا انتهينا الى السعي في منفعة الوطن وتركنا رجال هيئتنا تشتغل بمصالحنا ونتج من هذا الاجتهاد تعميم العلوم ونجابة الابناء ظهرت الجرائد فينا ظهور الشمس في كبد السماء وأطلقت لها الهيئة حرية لا نصل بفكرنا الآن الى حدها فانها تكون آمنة اذ ذاك مطمئنة لما تراه من سلامة باطن أهلها وحرصهم على بقاء عمود الوطنية تدور عليه الايام وهو في قوة وصلابة. اسمعك تقول اذاً لا لزوم للجرائد الآن لا تعجل أيها الاخ فنحن في عصر لم تبق فيه قرية فضلاً عن مدينة الا وفيها قارئ فحق على كل من خط بيده وقرأ بلسانه ان يكون بيده جريدة يشاهد فيها العالم بأسره وهو على كرسيه أو في سرير نومه ولا يفعل فعل بعض الناس من اجتماعهم حلقة على جريدة يقرؤنها. نعم انها وان كانت مبادئ حسنة الا اني لو كنت في تلك الحلقة وأردت ان اراجع أمراً مضى وانا في بيتي هل أسأل عمن عنده الجريدة واذهب اليه أو أبقى في حيرة لا اهتدي الى مقصدي. فمن هذا القبيل أقول حق على كل قارئ ان تكون له جريدة باسمه يحفظها ويراجع فيها ما يشاء في أي وقت شاء. لا تبدأ بالطعن فيَّ قبل ان تعرف مقصدي أتقول اني أريد رواج المحررين لاكون في جملتهم. لمَ أيها الاخ وانت تعلم ان المحررين يخدمون الافكار ابتغاء الانسانية ولقد صبروا على جفائك وتباعدك عنهم حتى نضبت ثروتهم فهم يستردون منك ما أنفقوه عليك. وهذا العاجز يخدم الوطن خدمة

زائدة على اشغاله المستغرقة اوقاته حباً فيه وطمعاً في تقدم اخوانه ولو وجد من ينفق على صحيفته ويستخدمه بأجر الانتساب الى الوطن لارسلها اليك تقبل يديك شاكرة تفضلك عليها بقبولك الحميد غير سائلة منك ولا اجرة البريد ولكن عدم رضا الوراق بالعفو أبى عليه الا تقدير قيمة الورق على انك لو نظرت لقيم بقية الجرائد لوجدتها لا تذكر في جانب بعض مهامك التي لا تعبأ بها وما يقصد المحرر الا خدمة الافكار بقلمه لما يعلمه من ان جرائد الاخبار مدارس الافكار

﴿ هف طلع النهار ﴾

لِيمَ أحد المهذبين على مشيه مع ولد أحد الاغنياء حتى أتلفه فقال ما كنت معه فاني اعلم قدر نفسي وحقيقة أمري فلا أسى فيما يضر بي أو ينزل بي الى درجة الأوغاد وانما هو الذي عمد الى ما تركه أبوه من الميراث وأخذ يصرف منه في الملاهي وأماكن الفساد فقد ابتدأ بشراء عربة تماثل عربات الامراء الكبار وبنى قصراً بديعاً صرف فيه نحو خمسة آلاف جنيه واشترى جواري ومماليك يعجز أحد الامراء عن الصرف عليهم واتخذ له اخلاء يحسنون له لعب القمار والحمام واعداد مجالس السماع والطرب والسهر في الحانات وبيوت الفاجرات والتفنن فيما يذهب العقل من الحشيش والمعجون والمربيات والمشروبات الروحية فأعدّ قاعة بها خزانتان في الاولى عرقي الزبيب والمستكي والبرمود والكنياك والروم والعنبري والبتر والشبانيه والبونش والبيره والنبيذ وغيرها من الاشربه الروحيه وفي الثانية الحشيش البلدي صنع اللاياتي والحوامدي والكافور التركي وارد ازمير وسلانيك ومعجون الهندي والترياق ومربى الجوز الهندي وجوزة الطيب والزنجبيل والتين واقراص العنبر والزعفران وحبوب المفرحات والمهيئات يصحب هذا عدة جوزات منها المدندشه والمشخلعه والحدقه والنكته والحاجه الصنعه ومجمعه الاحباب وقد حلى الجميع بالفضة والذهب وأنواع الجواهر الثمينة ولا يقوم بادارة عمل الكيف الا الحليوه المدلع والواد الجدع فاذا أخذ الشراب والكيف منهم جوهرة العقل كان يقوم ويقلع ثيابه ويترامى على حجر خلانه وهم يتناولونه بالايدي ويرفعونه على الرؤوس وهو متلذذ

مسرور فاذا انتهى بهم المجلس الى الموتة الاولى نام هذا على الارض وذاك عند الزير وآخر في الفسحة بلا غطاء ولا وطاء ولا يزالون في سكرة تزيدها سطلة الى الزوال فيقومون كالقردة عند ماتخرج من غاباتها وجوه مقلوبة ونفوس مقبوضة وعيون عمي وعقول غائبة وأفكار ضائعة واعضاء منحلة وقلوب خائفة ومعد جائعة واكباد مصابة وجيوب فارغة وقد تعطل الصانع عن عمله والتاجر عن محله والمستخدم عن ديوانه فيظهرون اليه الاسف والخوف والتضرر مما أصابهم من سهرته فيلاطفهم ويترضاهم هذا بألف قرش وذا بألفين وآخر بريال وغيره بجنيه ثم يطلب الاكل فتدور حركة البيت. خادم يجري وطباخ يشتغل وعربجي يمسح الخيل وقمشجي يغسل العربة وسفرجي يحضر الأواني وقهوجي يولع النار وطبلجي يمسح الطبلية وجاريه تشوي اللحم الخصوصي وسرية تكوي المحارم ومملوك يملأ الكؤوس وخادم يكسر الحشيش وتابع يهيئ المربيات وعواد يصلح العود وكمنجاتي يشد الاوتار وراقص يصلح الصاجات ومغنية تتنحنح وماجن يرتب القوافي ووكيل يصرف بلا حساب فان تأخر أحد في عمله قام فكسر الصحون وكب الطبيخ ومزق الفرش وكسر النجف وأحرق الكيلار وهدم المطبخ واراق القناني وقطع عدد العربية وضرب الجارية بالخشبة والمملوك بالشيش والخادم بالجزمه والطباخ بالسكين وطلق الست وقلع عين الدادة وكسر رجل اللالة ومزق ثياب المرضعة وابكى اخته واحزن أمه وطرد أخاه وشتم صهره وشخر ونخر وزمجر وكفر ولعن الدنيا وسب الدهر الذي يعانده في سيره ولا يمكنه من اغراضه والاخلاء تقبل قدمه وتبوس يديه وتلثم خدوده وتترضاه بالفاظ يميل اليها وعبارات شب عليها كقولهم شوف كيفك انت لسه شباب ايش من ألف صحن مذهب بمائة جنيه وعشرين نجفة باربعمائة جنيه وعربيه بمائتين وجارية بخمسين ومملوك بسبعين وفرش بخمسمائة وابسطه بثلثمائة وكاسات بخمسين ومشروبات بثلاثين وحبة حبشتا ن وشوية جراوش ودمعة دهنه تعيش راسك انبسط ياشيخ وروق شويه كده. ثم يلتفتون الى التوابع ويقولون بس ياواد سيدك وضربك يعني ايه. معلهشي ياست صغار ولسه بيدّاع. قومي يابنت بلا تباتيك. فضها ياأوسطى ما تبقاش مجنون. سد ياخورشد بلاش عباط بقى. اقعد يا مقدّم بلا قلة عقل. تفضل ياسيدنا ما تزعلش

نفسك ينعل أبو الدنيا وأبو اللي يبكي عليها. فيجلس وقد فارقه الغضب وعادت اليه شهوة الطعام والشراب ويقول العباره ايه احنا مالنا ومال الحدامين والزعل والامور الهذيان احنا في نكتتنا والا في ضرب وشنق خشوا بنا آفيه خشوا هاها هاي . «وقد زاد على ذلك ان أعد لاخوانه في بيته ملعباً للقمار غريباً حيث يأتون اليه كل ليلة بجيوب أفرغ من فؤاد أم موسى فيقرضهم من المال مايقدرون به على اللعب معه فان خسروا فقد ردت اليه بضاعته وان كسبوا فازوا بما كسبوه وخرجوا الى حيث ألقت رحلها أم قشعم كما يزعم» ثم ما زال على هذه الحال عامين حتى فرغت النقود فاخذ يبيع الاطيان ويرهن البيوت والجواهر حتى لم يبق عنده شيء ففارقه الخلان وتركه الخدم وطرده الحرم وأصبح يدور يسأل الناس لقمة أو سجارة وما ذاك الا من عدم تهذيبه وتأديبه فان أباه تركه للمعلم (الخوجه) يعلمه الخط في السلاملق داخل الخزنة تحت الستائر وهو يقبل يده لثقل التعلم عنده ويجيب دعوته خوفاً من شكواه لابيه ولم يجد غير خادم يحمله ومملوك يوافقه على اغراضه حتى خرج كالبهيم لا عقل يرده ولا علم ينفعه ولا صنعة يتكسب بها ولا أدب يعيش به فآل أمره الى ما رأيت وبات يصرف بالالف واصبح ولسان الفقر يناديه هف طلع النهار

﴿ كم في الزوايا خبايا ﴾

حكي ان أحد المأمورين فعل خطاءً في عمله فأرسل له رئيسه الاكبر كتاباً يوبخه فيه ويسأله الاجابة فطلب أحد رؤساء الكتاب وأعطاه الكتاب ووقف يفهمه المقصود نحو نصف ساعة فاخذ الكتاب واجتمع بجملة من أمثاله وبعد اللتيا والتي كتبوا هذه العبارة «معروض قوللريدركه»

وردلنا الامر الكريم وما فيه صار معلوم وكان الواجب علينا خلاف ذلك ولكن الخطا من رأي الصواب وفلو ان عبدكم لم كان يقصد الخطا ولكن. من حيث ان المقدر كاين والعفو من شيم الكرام وكان الواجب علينا عرض القضية في بداري الوقت ولكن الرأي لمن له الامر افندم

فلما سمع المأمور هذه العبارة قال كيف أخاطب أميري بهذه الالفاظ السخيفة الم يكن في الديوان من يعرف الكتابة الصحيحة فنبهه وكيله على ان بالديوان شابا لا تزيد ماهيته عن ثلثمائة قرش لو طلبه المأمور وأمره بكتابة الجواب لكتب المقصود فاستحضره وقال له خذ هذا الامر واكتب رده استعطافاً واعتذاراً فتناول القلم وكتب وهو واقف بين يديه

سيدي ومولاي

« اني وان جنيت على نفسي وخرجت عن حد الادب فيما يجب على العبد لسيده فاني عبد نعمتك وصنيع احسانك وذنبي وان عظم وضاق باب التوبة عن قبول المعذرة فالعفو عنه بعض حسناتك التي فطرت عليها والاغضاء عني سر من أسرارك التي تميل اليها فاجعل العفو عني قربة الى مولى الموالي واترك العبد عتيق مكارم الاخلاق والا فضع سيف نقمتك في نحر عبد نعمتك وانت حل من دم أراقه أهله وآل أمره الى وارث لا يسمه الا النزول عن المطالبة به الا وهو مقام جلالتكم السامي وحاشاك ان تعدم الصادق في الخدمة بهفوة لم يقصدها وذنب أقلع عنه وعلى كل فالعبد بين يديك وأمره منك واليك وقد ألقى اليك مقاليد الاجل فافعل ماتشاء واتق الله عز وجل »

فلما قرأه على المأمور كاد يطير فرحاً بنجابة هذا الشاب واقتداره على الانشاء البديع وقال كيف يكون هذا بثلثمائة ورئيسه بالف قرش فقال له الوكيل هذا من أولاد الفقراء وليس له محسوبية على أحد الامراء ولا يعرف النفاق ولا يفعل افعال المحتالين التي تقدمه عند ذوي الغايات ولئن تأخر مثله في زمن ترقت فيه الجهلة بالمحسوبية والمجون والتوسط في القبائح فسوف يتقدم في هيئتنا الحاضرة فانها لا تبالي بالمحسوبية ولا تريد أهل الخيانة ولا ترقي الا أهل المعارف والآداب حتى لا يبقى في الزوايا خبايا

(التبكيت) أعظم مصيبة من رئيس كتاب لا يعرف الانشاء وجود مأمور لا يحسن كتابة جواب من شأنه ان يكون من أسراره الخفية

﴿ جواب عن سؤال ورد الى التبكيت ﴾

السؤال . بأي سبب ماتت صنائع الشرق وافتقر أهلها وبأية وسيلة تحيا وتعود ثروة أهلها

الجواب . ماتت الصنائع بتحاسد أهلها وتباغضهم اللذين أورثاهم الفقر وفقد الامن والثقة بهم . وذلك ان أصحاب الاعمال اذا أرادوا فتح عمل كالبناء مثلاً أحضروا طائفة المعمار ووضعوا لهم ورقة يسمونها قائمة المزاد وأمروهم بالتناقص في المقدار المعين لذلك العمل فاذا كان العمل يساوي الف جنيه قال واحد عليّ بسبعمائة فيتحرك بغيضه ويقول عليّ بخمسمائة ثم يتحرك بغيض الثاني ويقول عليّ بثلثمائة وهكذا حتى ينتهي المزاد الى مائتين فيرى صاحب العمل ان الالف لايقوم بعمله فضلاً عن المائتين ولكنه يفرح بهذا التناقص فيطلب من العامل تأميناً وضامناً غارماً ثم يتركه لا يصرف له شيئاً مقدما فيبتدئ المسكين ببيع مصوغات زوجته وحليها وأمتعة بيته واذا انتهى العمل وجه اليه صاحبه واحداً من المعلمين فيبتدئ بسب أخيه ولعنه ويقول له هذا العمل مغاير لما في الشروط فان الحجر أحرش والبلاط معصراني والقصرمل كله تراب والهيصم مرمل والجير قليل وقلب البنيان فارغ والياض قشره واحده والجبس بارد والسلم قائم والسقف واطي والجدار ناقص وسمك الحائط ناقص عشرة سنتي متر وهذا كله يمنعني من التصديق على نظافة عملك فاذا صانعه برابط المحبة (الجنيه) قال له لابأس من تنازلك عن عشرة في المائة من أصل المطلوب لك فيضطر المسكين لختم الكشف والتصديق على مايقوله معلمه الاكبر وقد خرج من العمل بخراب بيته وكثرة ديونه وأوقعه التباغض والتحاسد في الفقر وفقد الامن والثقة . فان قلت لم لم نفتقر الاجانب وهي تأخذ الاشغال العظيمة والاعمال الجسيمة . قلت نحن مغرمون بحب الاجنبي والاعجاب بكل ما جاء به من الاعمال حسنت أو قبحت واذا أراد أحد مقاولة أجنبي وساومه على عمل قيمته مائة جنيه قال له « دي عملتلو احنا ميتين كسين جنيه » واذا قدم لآخر من جنسه قال « ياخبيبي دي راجل مجنون دي اسوى تلاته ميه كسين جنيه » وقصده بذلك ان يأخذه أخوه وهو يشتغل معه من باطنه ليربحا معاً وهذه فضيلة جميلة ووسيلة لزيادة ثروتهم وأراك تسأل عن الطريقة التي بها يتوصل أهل الصناعة لاعادة ثروتهم وتقدم صناعتهم فخذ الجواب من مشفق عليك طامع في انقاذك من مخالب الفاقة وناب الذلة

يعلم كل وطني ان هيئة حكومتنا الآن غير ماكانت عليه قبل وغاية آمالها تقدم ابناء

الوطن وتهذيبهم ونمو ثروتهم تشهد بذلك اعمالها الجليلة ومساعيها الخيرية فانها وكلت الى أمراء يرون ان لادولة الا بالرجال ولا رجال الا بالمال ولا مال الا بتقدم الصناعة والفلاحة . فاذا اجتهدنا في مساعدتهم على أفكارهم الحسنة لزمنا ان نسعى في عقد جمعية لكل طائفة تحت رآسة عقلائها فاذا طرأ عليهم عمل من الاعمال كان أمره مفوضاً لمجلس الرؤساء من الطائفة يساوم من يشاء ويأخذ مايشاء ثم يوزع فيه من العمال بقدر مايحتمل وعند مايطرأ غيره يوزع فيه من لم يكن في الاول وهكذا . وهذا العمل يلزمه رأس مال يديرونه به فعلى رؤساء الطائفة ان يفرضوا فريضة على كل صانع بصفة سهام على قدر قوته واقتداره والمجموع يكون في صندوق تدور به الاعمال وعند ماتوزع الارباح يحجز المجلس من كل صانع جزءاً يضيفه لسهامه حتى يصبح ذا ثروة من حيث لايشعر . وحيث ان الغالب من أهل الصناعة لايقرأون ولا يهتدون لاسرار الجمعيات فعلى النبهاء من اخواننا ان يتنازلوا لهؤلاء الضعفاء بحثهم على عمل صناديق الاقتصاد وادارة الاعمال بالاتحاد والوفاق ولا بأس من تفهيمهم بعض مايقرأونه في الجرائد من تقدم صناع أوروبا واجتهادهم في زيادة الثروة ومقدار ماوصلوا اليه بحسن التدبير والاتفاق لتنبعث فيهم الغيرة والحمية ويحرصوا على تقدم صناعتهم فان الانسان مقلد طبعاً لاتطبعاً واذا تمت هذه المبادئ وعقدت جمعيات الطوائف وفتحت صناديق الاقتصاد اختصتهم الحكومة باشغالها واعمالها لما تراه فيهم من الثقة والنشاط وظهرت الصنائع في عالم الوجود بحلة لايتصورها العقل الآن فان الفكر الشرقي والعقل العربي والذهن المصري لا ينبه باكثر من الاشارة . والا فاذا لم تعقد هذه الجمعيات وتفتح تلك الصناديق وتلم الحكومة شعثهم وتعيد ثروتها بمساعدتها لهم فلا نلبث ان نرى أهل الصناعة (وهم السواد الاعظم) خدما للمتمولين (وليتهم منا) يصرفونهم كيف شاؤا ويستعملونهم فيما يريدون وتفقد رجالنا بلا حرب ولا وباء وتعدم الهيئة الاجتماعية قوتها بتعذر التحصيل من فقير لا يأخذ من سيده الا القوت او غني اذا طولب لجأ الى الغير . ولا يظن عاقل ان ضياع أهل الصناعة لايضر بهيئتنا وماليتها فانهم قسم وأهل الزراعة قسم فمن هذا القبيل نفقد الثروة ومن القبيل الثاني يختل نظام الهيئة الاجتماعية بكثرة التشيع لاسيما وانا منرمون

يحب الغريب والميل اليه فترى الرجل اذا خدم غريباً سمي باسمه ومدح فعاله وذم أهل بلاده وعاداتهم كما نرى ذلك في كثير ممن يخدمون الغرباء . واذا استمرّ حال الصناعة على ماتراه من التأخير في جانب الوطنيين خسرنا رجالنا وفقدنا قوتنا باعدام الثروة وأصبحنا أسرى معاشنا ارقاء صناعتنا وتحولت طباع الامة وفقدت اللغة وضاع المذهب بالاهمال والتقليد ونحن في بحار الغفلة غارقون

﴿ تخريفة ﴾

(خد من عبد الله واتكل على الله)

سافر لاحد الاغنياء ولد فلما طالت مدة غيبته توجه الى بعض الرمالين وقال له « خط لي الرمل وشوف نجمي ازّيه » نخط في الرمل وقال له ماشاء الله انت طالعك سعود واياماك سعود شوف النجم بيخبر انك بتاكل وتشرب وتقوم وتقعد وتفرح وتزعل وتركب وتمشي وتنام وتتيقظ وتكسب وتخسر وفوقك سما وتحتك أرض وفي فكرك كلام وطالب حاجه وبدّك تبقى غني . فغمز الغني رفيقه وقال له شفت انا ماقلتلكش يعرف كل شيء مين قال له على اللي بعمله داكله النجم يبين كل حاجه ثم التفت الى الرمال وقال له شوف أبو الزلفي ابني ماله غاب كده . فقال الرمال دلوقت حصل سحاب كثير والنجم ميصحش في السحاب فقال الغني أظن نجم الواد ساقط . فقال الرمال الظاهر كده فشنق الغني نفسه في عمته ونادى آه يا ابني آه ياعز الرجال يا أبو الزلفي فسمعته أمه فخرجت صارخة مولولة قائلة ايه اللي جرى لابني فقال لها أبوه النجم خبر عنه انو مات فصاحت وصوتت واجتمع اليها النساء من كل فج وأحضرن الدف وابتدأن بالندب والعويل حتى قامت الناس على ساق وجلس أبوه يقبل العزاء ودموعه تسيل على خدوده وبينما هم في شياط وعياط واذا بالولد دخل عليهم حاملاً زكية الزواده فابتدره والداه واحتضناه وقالت أمه لابيه (شفت الرمال بتاعك الكداب ده) فقال لها والله ياوليه الراجل مالو دعوه الراجل قال لي السحاب كتير مسمعتش منه والا برده كلامه حق وبعد ان جلس مع ابنه برهة شكا اليه ولده اطلاق بطنه فأخذه وتوجه به الى الرمال وقال له شوف لنا حاجه تحوش بطن الولد أحسن جه بالسلامه وبطنو ماشيه عليه فقال له

الرمال الولد ده كنشي يعجب بنفسه في البلد . فقال له الغبي ايه عوآر يتلف عينك لهو في البلدكام أبو الزالفي . فقال الرمال أيوا قول لي كده أجرن أخته مسكنه . فقال الغبي وايه الي يخلصه . قال مفيش حاجه تبخروه بجلدة فسيخه وهو يروح صح سلامه ولم يشعر الغبي وهو جالس الا وقدحضر اليه بعض الاطباء وقال له أخوك أرسلني الى الولد فرأيت عنده اسهالاً خفيفاً وحيث انكم لايمكنكم حفظه فانا آخذه الى الاسبتالية واعالجه هناك . فقال الغبي استباليه ؟ دا الداخل فيها مفقود والطالع منها مولود . قال الطبيب الاسبتالية معدة لاولاد الامراء والمعتبرين وفيها أطباء مهرة وادوية لطيفة واذا دخلها انسان اعتني به عدة من الاطباء واذا دخلها لذلك لم يقم فيها أكثر من ثلاثة أيام . فقال أنا رايح أشوف النجم يقول ايه واعملو له والسلام . فقال الطبيب ما للنجوم وهذه الامراض النجوم لا يؤخذ منها شيء يدل على الدواء فان هذا أمر موقوف على رؤية المريض ومشاهدة حركاته وتشخيص دائه ومعرفة الاسباب والدواعي وهذا لايقوم به الا الاطباء فقال الغبي والله ياسيدي أنا لا أعرف الاطبا ولا غيرهم أنا رايح أبخره بجلد الفسيخه وربنا يشفيه . فقال الطبيب الروائح الكريهة مضرة به وربما أحدثت عنده مرضا آخر فاياك ان تبخره بالفسيخ . فقال الغبي والله ياسيدي أنا اتوكلت على الله ورايح أبخره ياطاب ياراح في داهيه ولا يقولوش أبو زنطوط دخل الحكيم داره واهو زي ما قاله فقي البلد خد من عبد الله واتكل على الله

(التبكيت) انظر الى الغفلة واستحكامها في العقول السخيفة وكيف رأى هذا الغبي اذ الرمال كذب فيما يفتريه وحضر ولده من سفره ولم يرض ان يكذبه وحمل عدم صدقه على وجود السحاب وتأمل قوله انه يعرف كل شيء بعد كونه يخبره عن أشياء من ضروريات البهيم فضلاً عن الانسان وأعجب من هذا عدم قبوله نصح الطبيب ورضاه بالتخريف فلو كان هذا مهذباً وتأدب في صغره وعلم فساد هذه الخرافات التي أفسدت عقول رجالنا حتى صيرتهم لعبة في أيدي المحتالين ماترك البوستة والتلغراف وقصد هذا المحتال ولا ردّ نصيحة الطبيب وعمل بقول الدجال ولكنه لم يتعلم أمور دينه ولا دنياه وركن الى كلمات تقولها جهلة الارياف مثل قولهم خد من عبد الله واتكل على الله

﴿ منتخبات من أعداد متفرقة ﴾

(انذار صادر عن لسان الانسانيـة)

رفعت الينا شكوى من بعض النبلاء يتوجعون بها من انقلاب حال كثير من تبعتنا المنتسبين الينا واستعمالهم قبائح ورذائل ليست من مشربنا وقد أساءنا ذلك وعجبنا من هذا الخروج الغريب ولكون هذا مما يلزم الاحتياط فيه وقطع عروقه قبل سريانه في بقية ادارتنا قدمنا تلك الشكوى لرجالنا أعضاء الدائرة العلية فقر الرأي العام على ان من يترك حلية الادب ويتخلق باخلاق البهائم فيفعل ما يشاء من فسوق ولعب قمار واسراف في مشروب وترفه لا يليق به وانتهاب حق وعربدة في مجلس وضرب ضعيف واحتقار فقير وخذلان مظلوم ينفى من أقطار دائرتنا السنية وينسلخ عنه عنواننا الشريف ويكون ملحقاً بأمة البهائم وقد أصدرنا هذا اعلاناً لمن يخشى سلب شرفه وتجريده من وسامنا السامي وكل من عثرت عليه دائرتنا بعد ذلك فاننا نصفه وصفاً يكاد يكون أعرف به من اسمه اهانة له وعبرة لغيره وصدر هذا بالمحفل الادبي بتاريخ اليوم من ملاحظة الانسانية

(مليك لدائرة) الامضاء . (رئيس التحفظ) الامضاء (كاتب السر) الامضاء

الانسانية الشرف التاريخ

﴿ تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان ﴾

(أيها الكامن في جلد الانسانية)

طالما قرأنا وسمعنا عبارات ملئت بها الكتب وضاقت بها أعمدة الجرائد تذم التوحش وترمي مرتكبه بفساد الاخلاق وفقد الادراك غير اننا لم نقف على هذا التوحش ما هو ولا على الفرق بين التوحش الانساني والبهيمي ولا على من ارتكب التوحش أولاً من القسمين . فقد جرت جياد البلاغة في ذمه وتقبيحه وانطلقت الالسن تتبعها في ذم هذا المظلوم غير ناظرة الى حامل فكيها ولا معترضة على ما يجنيه ربها من ثمار اغراضه . ولا بد للغافل من منبه وللضال من مرشد فالآذان مفتحة ولكن من ينطق والاعين ناظرة ولكن ماترى والافكار مهيأة ولكن الام . والالسن ناطقة ولكن بماذا . وهذا

مما يطلب من اليراع شرح الحال ومن الاساتذة تلقين الانسان فقد شكا القلم شدة الظماء وتألمت الدواة من طول مدة الحمل وكاد المداد يصبح ماء آسنا وأمست الاوراق حشايا ومتكآت . فرحمة هؤلاء الضعفاء من محاسن الاخلاق . وان ضقنا صدراً بما يسطره القلم وخشينا طول لسانه سمعنا منه مقالته الاولى وتأملناها فان أبلغ في الحجة رفعناه الى منبر الانامل ليخطب السطور بما تنشرح به صدور الطروس وان هذر او خلط سلطنا عليه سكين الغيظ تفريه وتجعله شظايا وبقرنا بطن الدواة في حجر الاوراق ليكون المداد ثوب حداد على ضياع الآداب وفقد الالباب فانه يقول :

كتبت فيما مضى ان الحيوان اذا نفر من الحضر وتبدى جهل الانس ومال الى الغلظة والقسوة وصار وحشياً مفترساً يخاطر بنفسه في القفار والكهوف والمغارات ويحملها على تحمل مشاق الجوع والظماء والحر والبرد والوحدة والوحشة لايبالي في ذلك مات في حينه أوغده وهذا الحد الذي وصله يحرمه من وصف التمدن ويطلق عليه اسم التوحش فانه أنف من الاقامة في المدن ورضي بشوامخ الجبال بدل القصور العالية وبمسارب الشعوب بدل الشوارع المنظمة وبالفيافي الشاسعة بدل الرياض الزاهرة وبالكهوف الغائرة بدل الحصون المشيدة وبالوحدة الموحشة بدل الاجتماع الادبي وبالكساء الطبيعي بدل الثياب المصنوعة وبالادراك الفطري بدل المعارف المؤلفة وبالغذاء المباح بدل الاطعمة المحجور عليها

الا ان هذا المسكين لم يجن ذنباً يعاقب عليه ولم يقترف سيئة تقضي بالانتقام منه ولا فعل مع الانسان مايبيح سجنه اوتعذيبه ومع ذلك فانه محل الذم مع براءته منه ومرجع الهجو مع طهارة عرضه يقتل في اي مكان وجد وان لم يكن مجرما ويؤسر عند التمكن منه وان لم يحارب ويذبح بلا جناية ولا حكم ويطرد من أوطانه ظلماً وهو المختط لها التعب في بنائها يظنه الانسان قوياً وهو يطرد بعصا الاغنام ويراه شديداً وهو أضعف من الاوهام ولست أدري بماذا حكم على هذا الضعيف بالتوحش بعد تسلط الانسان عليه ومن وسمه بالقوة بعد صيده بتفويق السهام اليه ومن عرفه بالمغتال بعد بعده عن العمران

لو أنصفته الحال وساعدته الايام لسمي زاهداً في الوجود او خائفاً من الذل والعبودية أو كارهاً للتعصب او راضياً بالكفاف او محباً لراحة الفكر اومؤتنساً بنفسه او قانعاً بنصيبه او حذراً من شر الاجتماع وسطوة عظماء العصبية او ماشاكل ذلك مما تقتضيه العزلة والبعد عن المنغصات . ولكنه تعصب عليـه الانسان فرماه بكل ماقدر عليـه من القبائح على انه ماشن غارة على مدينة ولا نازع ملكاً في ملكه ولا عارض أميراً في حكمه ولا أحدث ثورة في أمة بل هو النائم في كنه السارح في ساحته الراضي بطعوم أرضه ونور سمائه . وما تعلم الاغتيال والهجوم الا من الانسان فانه يدخل عليه في أرضه بغير اذنه ويناوشه في جحره بلا حق ويخرجه من دياره من غير بيع ولا استئجار وان رآه ماشياً في سبيله غير متعرض لاساءة أحد أبى ان يتركه ممتعاً بحياته الطيبة وقتله غيلة او أسره بغتة فمن هذا التعدي تعلم المدافعة . وبطمع الانسان عرف الافتراس . ومن حقده عليه أخذ حذره فاصبح ذا اخلاق حرة وخليقة طبيعية لا يطلب الاذى مادام آمنا في جحره ولا يجبن في القتال متى غولب عليه

ومن ألجأه الانسان الى ذلك لا يعـد متوحشاً بمعنى متعد ولا بمعنى غير مؤتنس فكم معه من نفوس يميل اليها ويعطف عليها وكم حوله من عائلات يراها وتراه وجنود يحمل بها ويدافع فان جنى على انسان فمنه عرف الجناية وان خان أحداً فمنه أخذ الخيانة وان رأينا مولوده يخرج على فطرة أبويه قبل ان يتعلم علمنا ان أفعال الانسان من عهد وجوده أثرت في أبويه وجرى هذا في دمائهما وما ولدهما الا خلاصة هذه الدماء الممتزجة بافعال الانسان . فما يفعله الحيوان من الاغتيال بمجرد وقوع نظره على الانسان فهو عاقبـة تعدي الانسان الاول على من عاصره واساءته التي توارثها هذا المسكين توارث بعض الامراض حتى صارت من سجاياه

على انه صاحب الارض وواضع اليـد ومختط الديار قبل ان يوجد الانسان وقد تطفل عليه الانسان وتملق اليه حتى سكن دياره وزاحمه فيها وبعد ذلك كافأه بالتضييق عليـه وابعاده من المعمور ولو تمكن من فيافيه لاغتصبها وأعدم هذا النوع الشريف

وانظر الى بعض الحيوان الذي احتال على الانسان وخضع اليـه حتى شاركه في المسكن

والمطعم

والمطعم والمشرب وعند أمن الانسان منه أخذ يعلمه العداوة ويغريه على ابناء جنسه حتى أخرجه من طوره وصيره مع امثاله في تضاد وتباين وكان لا يعرف عداوة الجنسية قبل اختلاطه بالانسان المتمدن « هذا معنى يذاق بالمعارف لا بالمغارف » فهذا المسكين في شقاء وان سكن البيوت وسجن وان نام على فرش لينة وعذاب وان جرى خلف الانسان بلا قيد ولا رباط الآن ان هذا الذي فسدت اخلاقه بمعاشرة الانسان وتغيرت طباعه بالمدنية صار منحوس الطالع لا يمكنه العود الى وطنه للوحشة التي اعترته في الامصار ويستحيل عليه ان يلتحق بالانسان وان تكلم بلسانه وعمل اعماله لمخالفة الخلق وتباين الطبع فكأنه صار في الوجود قسماً ثالثاً بين الانسان والبهيم وما صيره كذلك والجأه الى النفور من جنسه والزم القسم الثاني سكنى الوديان والكهوف الا الانسان

فهل المتوحش منهما من خاف على نفسه من رفيقه فسكن البراري وحصن غابه وبات حذراً من عدوه ام من دار في الوجود لا تسعه أرض ولا يعجبه خلق ولا يريح جنساً ولا يقنع بملك ولو كانت الكرة في قبضته . الحكم في هذا لذوي العقول السليمة ولعلهم لا يتعصبون الى الجنسية فيحكموا بالمسمى (بالعدل) وان لم يترتب على الحكم أثر الآن فان الانسان لا يرجع عن البهيم بعد ان تمكن منه والبهيم لا يميل الى الانسان بعد ان تمكنت العداوة وعلم غايته عنده . والانسان وان علم بعض حاله في جانب البهيم الا اننا نذكر نبذة مما اختص به لنعرف أهو خالص الانسانية او مركب منها ومن البهيمية فيكون الوجود مسكوناً بحيوان واحد : الانسان رب المعارف وأهل التكريم وجد على أحسن صورة وخلق في أحسن تقويم . له الادراك والتمييز والتخيل والنطق والاعمال البديعة والافعال العجيبة اجتهد حتى استخدم الوجود السفلي في مهامه وقد وقف في الوجود لا يرى له مناظراً غير انه وقف عن أفكاره وجعل نفسه حكماً بلا محكم فهو يقضي على هذا الحيوان بالتوحش وذا بالخيانة وذاك بالجبن وغيره بالنقص

وكأن عينيه مانظرتا الا مابابن مقرّهما وعميتا عن هيولاه وما يصدر عنه . وأذنيه ما سمعتا من لفظه قبيحاً ولا من غيره الا مدحه وان كان مذموماً وشكره وان كان مسيئاً فقد نظرنا في سيرته مع البهيم فوجدناها ظلماً وتعدياً ونحن ننظر لسيرته مع ابناء جنسه

لنقف على نتائج أفكاره وغايات اعماله بحيث لانخص بالنظر بعضاً من النوع وانما نجعل الشرح مطلقاً لينظر اليه مهذب الاخلاق ، فانه المقدم اليه هذه الافكار ، ليبثها في ابناء جنسه ويكون عوناً للمهذبين في اتعابهم التي يتحملونها ليصلحوا من اخلاق النوع ماافسدته الجهالة ويحيوا من غيرتهم الادبية ما اماتته الاغراض والاهواء

ولا يعجل ذو غرض بالتهوّر والجدال فان هذا من التوحش الذي نحن بصدده فان ابى الا مصادرة القلم كان الداء عضالاً والمبتلى به على شفا جرف العدم . وفي اليقين ان شيوخ العصر استمالتهم المعارف بعد النفرة وشبانه رضعوا لبانها اطفالاً ولبسوا ثياب الكمالات فتياناً . فلم يبق الاّ غبيّ يرى السهام موجهة اليه فيغضب او عتل ينظر مالا يناسب اخلاقه الفاسدة فيفحش او جبار يعلم ان أرض جبروته خسفت فيزمجر . وهؤلاء لا يدعوهم لذلك الا عدم تهذيب اخلاقهم وجهلهم بالحقوق الانسانية والواجبات المدنية . وهم على علاّتهم موضع الكلام ومحل التحكيم . على ان القلم سيقتصر على مشاهد او مقروء او محفوظ ومن كانت حجته العيان الجم معارضه

اي انسان . ما احسن أصلك واجمل شكك وأعز نفسك وأغزر علمك واوفر عقلك فيا أيها الحسن الاصل ما اقبحك عند الفخر الخارج عن حدك والمباهاة بما لا تحسن نظمه او عمله والكبر المبني على تخيلك الفاسد انك الفريد في الوجود . ويأيها الجميل الشكل ما افظعك عند المقاتلة وأصعبك عند التهوّر وأشدّك قسوة عند ما تحمل على أخيك وتسلبه حقوقه او تقتله لغرض من اغراضك . ويأيها العزيز النفس ما ابعدك عن الحق عند ما ترفع نفسك على أخيك وتنظر اليه نظر المحتقر وتضع من قدره ما عرفه له تساويه معك واوجبه اتفاقكما الخلقي . ويأيها الغزير العلم ما اجهلك عند ماترى غيرك دونك في القدر وتغضب اذا اخل بتعظيمك وتسبه عند مايترك تقبيل يدك اولثم اطراف ثوبك وما أصغر قدرك عند ما تنظر الغير بعين الجهالة وانت قادر على تعليمه وترميه بفساد الاخلاق وانت متمكن من تهذيبه . وما مقامك في الوجود الا لاصلاح مافسد من الجاهل الذي كنت مثله قبل علمك بل الذي عرفت به . فما ابغضك عند ماتحجر علمك على النقلة وتمنعه من المستحق استبداداً منك على أخيك الا ترى انك بهذه انطباع فاسد

الاخلاق تحتاج ما يحتاجه الجاهل من التهذيب بل انت عين الجاهل بل الفارغ من روح المدنية . ويأيها الوافر العقل ماأجنك عند ماتقابل المسيء باساءته وتخاطب ضعيف العقل بما لايحتمله فكره ظناً منك انه في قوتك وتمكنك مدركه لما تقول قوي على الخصام والجدال بعد علمه بنزوله عنك وانحطاطه عن درجتك . هلاّ عاملته بما يناسب فكرك وتحتمله قواه فغنمت افادته واكتسبت راحتك . ويأيها الموصوف بالكمال مانقصك عند ماتمشي في الاسواق مختالاً متكبراً كأنك مارّ بين البهائم والحشرات ولو نظرت عن اليمين وعن الشمال لرأيت مايخجلك من امثالك المتحلين بحلية الكمال السارين في سكينة ووقار وخشوع . ويأيها الفرح بما ملكت يداه ما احزنك لو تأملت المضطر يتضوّر جوعاً والبائس ينتفض برداً والغريب لا مأوى له يسكن فيه واليتيم لاقيم له يرشده ويعلمه والمريض المعدم لامال له يطيب به نفسه ولا متاع يبيعه لينفقه في حفظ حياته افّ لك ولمالك قلّ او كثر فانك تحجر على الانسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتناز المال وما ظهرت الا لتخريب البلاد من حصر النقد عندك وعدم تمكن الافراد مما يتباعون به مايلزم لعمار الديار فتعساً لك ماحييت وسحقاً لك بعدموتك ولا مرحباً بك اذا قدمت ولا سلامة تصحبك اذا ذهبت . ويأيها المتصف بهذه الصفات الذميمة ألا يدلك البرهان على فساد اخلاقك واحتياجك الى مؤدب يقف بك عند حدودك ويعلمك ماتطهر به دنس الطباع وتنظف به قاذورات الجهالة ويعرّفك قدر اخوانك ابناء جنسك ألست ترى نفسك من المتوحشين المقتالين قطاع طريق التقدم معدمي الحياة الادبية الساعين في خراب الاكوان . ويأيها المدعي الوطنية وهو يسعى في اضمحلال بلاده ويميل بجانبه الى كل بعيد عنها ما أضرك على بلدك وأشدك على جيرانك واخوانك وما اغفلك عن حقوق مظهر وجودك وسماء سعودك ومسرح روحك ومقرّ شبحك لو علمت الوطنية ودرستها على خبير بها لعلمت ان البلاد محتاجة الى فكرك وقوتك والاهل مفتقرون الى مالك والارض مضطرة الى خدمتك والعمار موقوف على اتحادك وبعدك عن النقائص وما يكدر صفو الراحة العامة او يجلب شراً على الامة بتهورك وعدم تبصرك في العواقب . تموت في غرضك وأنت تحيي الكثير

من غير أهلك وتلتذ بشهواتك وأنت تنغص حياة الالوف ذهبت باميالك في طريق آمالك فبؤت بغضب الامة وسخط البلاد . ويا أيها المنتقم من مثيله كفرت نعمة النوعية وجحدت فضل الجنسية فاصبحت وحشاً طبيعياً لا متوحشاً تطبعاً . ويا أيها المدعي حرارة الدم هلاّ صرفتها في استخلاص نوعك من الخشونة وبذلتها في تهذيبه وتأديبه ليكون عوناً لك اذا عرف قدر نفسه ولكنك من النوع الذي وجد من مادة أمشاج فقضت عليه الاخلاط بالحيرة والانفعال التجاذبي بتضارب الاضداد فوقف يفعل الاساءة وهو مرتاح اليها ثمّ يندم في الحال ويقدم على الامر لايرده راد ثم يرجع بأدنى اشارة ولو ثبت على قدم واحدة لملأ الوجود عجائب ولم يترك من الكرة مقدار ذراع الاّ عمره ولكنه سلم نفسه الشريفة الى اغراضه فانزلت درجته من معالي الانسانية الى حضيض البهيمية

فمن تنطبق عليه هذه الصفات ويحكم بعدها بتوحش البهيم وتمدنه هو بعد ان أضله وظلمه وأضاع حقوق نفسه وتوسط في ضياع ثمرة حياته الا يعلم كل ذي لبّ بعد ذلك ان تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الانسان

﴿ حوادث خارجية ﴾

أهم مافي جرائد البهدلة (١) ان حزب الضلال تقوى على حزب الكمال فأخذ يبعث بعوث البراميل الى طنطا (٢) ويوجه طلائع الغانيات الى درب القمر وجيش الحشاشين الى تل الحدادين وفرقة اللصوص الى الشوارع المزدحمة والسوامر وقد عينت الفصيلة الاولى من المغنين الى الخيام والثانية ذات الآلات الغريبة الى البيوت والثالثة الى المحاشش والرابعة الى السوامر والاكياب وحصنت قهوة الصباغ بالادبية وقهوة اسبيرو بالحرامية وقنطرة المحطة بالشرطية وسوق البهائم بالنصابين والخشابة بالنشالين وأرسلت العيون والارصاد من المخرفين في سائر انحاء البلد حتى صار محاطاً باستحكامات القبائح فلا يتصور وصول العقل اليه وقد سلمت قيادة هذه الحرب الهائلة الى الشيطان الرجيم ومن مقدمات الاخبار يعلم انهم سينتصرون على التقوى ويهزمون الكمال شرّ هزيمة وبمخابرة الانسانية مع الدين في شأن حمايته أهلها أجابها بقوله هذه دماء طهر الله منها سيوفنا

(١) البهدلة اسم مملكة الجنون وهي على شاطئ بحر الجنيهات تحد بالخمور من جهة الغرب وبالعاهرات من جهة الشرق وبالمضابن من جهة الجنوب وبالمخرفين من جهة الشمال واول من اختطها ملك الضلالة الجهل وبها مقدار سبعة وتسعين من مائة من العالم ومواسم البهتان فيها دائمة الرواج وحظ السجون فيها لانظير له في الوجود وصناعة أهلها افساد ما احكم العقل وتحسين ماقبحه الادب ولهم في هذه الصناعة تفنن عظيم واقتدار على المخترعات. وحزب الضلال فيها أهل الفسوق الغلاة في الحرية البهيمية وحزب الكمال رجال الصلاح والآداب وكان هذا الحزب صاحب الشوكة والصولة في عهد المغفور له العلم الشريف مؤسس هذا الحزب وبعد وفاته ضعفت قوته وقل عديده فاصبح حزب الضلال صاحب الامر والنهي (٢) طنطا اسم بلد من أعمال الغربية بها مقام الحسيب النسيب سيدي ومولاي السيد أحمد البدوي وهو مزار جليل يتبرك به غير ان حزب الضلال قلب موضوع الزيارة وهتك حرمة الاولياء واتخذ البقعة الشريفة ساحة بهتان وميدان ضلال حتى صار التقي المخلص يقرا الفواتح من بعد خشية رؤية المنكرات ويزور المقام ليلاً عند مايكون خالياً من المخرفين ولا شيء يؤثر في النفوس الطيبة أعظم من جعل بقاع التقوى والتبرك ملعباً للجهلاء ومسرحاً للفجار فلو قدرنا صاحب المقام حق قدره لدخلنا البلد خاشعين غاضين الطرف تأدباً في هذه الحضرة الجليلة وعسى أن نرزق بذوي غيرة على السادات يطهرون الاشراف من القبائح والفجور وينزلون الاولياء منازلهم من حيث الكمالات والاعتبار

﴿ أخبار آخر ساعة ﴾

أخذ الناس في تأمل ماجاء به التنكيت والتبكيت والعمل بارشاده والاخذ في أسباب الحزم وترك الملاهي وتجديد الصناعة فراراً من العيوب ورهبة من الوقوع في الشبهات وابتدا النبهاء في نقد مقدماته والمحاورة في عباراته

﴿ اعتراض على التنكيت ﴾

ضرب الامثال بنا ونشر عيوبنا لايليق لئلا تقف الافرنج على أحوالنا

﴿ الجواب ﴾

الافرنج تعرف من أمرك مالم تهتدا ت اليه ولها مؤتمات في سيرنا اشتملت على مخبآت يظن صاحبها انه لا يعلمها الا هو والقصد تقبيح حال الجهلة وابطال دعاوى المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس الجهالة حتى لا نرى أحد من المغفلين ولا المضلين او الضالين آمين

﴿ حر الكلام كلام الحر ﴾

الكلام الحر ما كان غير مقيد بمشرب او عادة مقتصراً على شرح الحقيقة بلا حشو ولا تميق .

هذا التعريف الجامع المانع يلزمنا البحث فيما أطلقت فيه أعنة الاقلام وهو لا يخلو اما ان يكون مؤلفاً علمياً او محرراً سياسياً . فالاول توجد الحرية فيما كان مختصاً منه ببعض العقليات والفنون التهذيبية فانه عبارة عن تعريف مركب تقتضيه صناعة الطب او اخبار بتجربة تقدم الفلاحة أو ارشاد يقتضيه مقام التهذيب او غير ذلك مما تدعو اليه حاجة الانسان وهذا لا دخيل فيه يخرجه عن أصله ولا يقصد به الا حياة الانسان ووقايته من العوارض السماوية او الارضية او الحيوانية . وما عدا هذا من المؤلفات التي يقصد بها تأييد مشرب حاكم او مألوف أمة او عادة قبيلة فانه لا يشم رائحة الحرية اذ القصد منه التزلف والتملق وجذب قلوب الامم بالفاظ منمقة منسجمة يميل اليها ذوق الانسان وتحن اليه طبيعته

والثاني يوجد فيه لفظ الحرية مجرداً عن المعنى كيفما كانت الحرية مطلقة لكاتبه فانه يؤيد عمل أمير او يحسن فعل أمة او يمدح فئة بحسب ماتصل اليه أفكاره من استحسان مايراه في بلاده من أفعال رجالها. ومعلوم ان مايحبه هذا يكرهه ذاك وان أصاب هذا من جهة اخطاء من جهات وان أرضى فئة أغضب اممًا كما نرى ذلك في جرائد السياسة على اختلاف مظاهرها وتباين اغراض محرريها وكلها ترجع لاستحسان عمل أهلها او تقبيح مالا يناسب المحرر لا الامة اوما يغضب أهل مذهبه او ما يخالف غرض جنسه وبهذا تعلم ان المحررات السياسية اجنبية من الحرية ولا وصلة بينهما الا في الالفاظ وتحقق

ان

ان الكلام الحر يوجد في بعض كتب العقليات المقتصرة على تعريف جسم او استخراج مجهول او تركيب دواء او تشكيل آلة او نشر مواعظ او ردع عن قبيح أو حث على جميل فما وجدناه من هذا القبيل عنوناه بحر الكلام وتركنا ماعداه في رق كاتبه وأسر أمره وبهذا نأسف على ضياع نصف الحكمة ونفرح بوجود معناها في بعض اجزائها وبقي علينا البحث في الحر من حيث هو بالنسبة للمتكلم

الحر من ملك أمره ولم تتقيد أفكاره بغرض ما. هذا أخص التعاريف به عندي وان تضاربت فيه الاقوال ولو نظرنا الى انسان الوجود الحالي في سائر بقاع المسكونة لرأيناه بعيداً عن الحرية لايهتدي اليها ولا يتمكن منها ان وجدها سواءٌ في هذا تابع الحكومة الجمهورية اوالشورويه اوالاستبدادية. فان الوجود مضبوط بممالك مقيدة بقوانين وضعت باغراض ذاتية وأفكار مقصورة على فرد أو بعض افراد ولا يفقه تلك القوانين الا واضعها او من درسها على أهلها ولها عندهم منطوق ومفهوم وباطن وظاهر ولا يعمل فيها بقول العاقل من غير أهلها وان أصاب واخطأوا . وان قيل ان الممالك تعرض القانون على مجالسها قبل تقريره قلنا ان المجالس مقصورة على أرباب الثروة او أهل الكلام وليس كل الامة كذلك فهذا داخل تحت قولنا او بعض افراد وهذا يثبت ان الانسان في اسر القوانين وتحت تصرفها ومن وقف في هذا المقام كان أجنبياً من الحرية وليس المقيد بالقوانين من لم يضعها بل واضعها أيضاً في أسر مادوّنه وحبس ماقيده فتراه عند ما تلم ملمة لم يكتب لها باب يسهر الليل مع امثاله في الافكار ويبيتون على حذر من نفور النفوس وثورة الامم فهم أسرى مظاهرهم ارقاء أفكارهم لاحرية أدركوا ولا من العناء استراحوا . وهذه قضية تنتج اثبات الحرية لدفاتر القوانين لا للانسان

والدفاتر لاتتمكن من الحرية الا اذا كان مافيها قطعياً ينفذ بجوهره بلا تأويل ولا تفسير ولا معارضة بما حواه غيرها ولكن تداول الايام يخبرنا على السنة التواريخ بما لا يدخل تحت حصر من قوانين وضعت ونسخت ثم نسيت كانها لم تكن شيئاً مذكورا وما نسخها الا امثالها أقوال وأفكار تجوهرت في صفحات الاوراق ثم استحالت وتطايرت في الوجود تطاير أبخرة الانسان والحيوان وبهذا تبطل النتيجة الاولى وتنسلخ الحرية عن

الدفاتر وتثبت للفظها المجرد عن المدلول

على ان النتيجة الثانية باطلة أيضاً فان لفظ الحرية وان كان لامدلول له فانه محجور عليه لايتلفظ به الا في سرداب ولا يكتب الا في أوراق لايعلم ظاهر الوجود صورتها ولا يكون اللفظ حراً الا اذا جازتناوله في كل مكان وتلي على أعواد المنابر والسن المحابر وهذا مما لايسلم به قانون فانه وان ذكر في بعض الممالك لابد وان يشفع بغرض ينجو به محرره كما في الجرائد المسماة بالحرة فصارت الحرية الحقيقية عبارة عن سر من أسرار الوجود يلقن في الخلوة على بعد من الناس آخر الليل بصوت الهمس بعد ايمان الشرف وحلف القسامة وهذا هو العدم بعينه فما نسمعه من الناس على اختلاف ممالكهم من السعي خلف الحرية الحقة او دعوى التحلي بها عبث وهوس فقد علمنا انها موقوفة على اباحة ذكرها في المحافل والمجامع والطرقات ثم تنفيذ قانون عادل يشترك فيه سكان المعمورة من غير نقض ولا تأويل ثم تخويل الانسان حركة لا يعارض فيها الا اذا صادر غيره وهذه عقبات ليس للمستحيل وجود الا في قطعها فانه لاينتظم اجتماع بلا قانون ولا تجتمع حرية مع محكوم عليه

على اننا نرى مدعي الحرية اذا اختلى بنفسه ونظر في كتب المعتقدات مال مع محسنات أفكاره حيث مالت وربما ذهبت به لاستقباح معتقده واستحسان غيره وعند ما يخرج للناس تأبى عليه صورة الاجتماع الا الاعتراف بمذهب عامة طائفته . واذا نظر في منشور سياسي وهو في بيته قام وقعد وصوب وخطأ وأظهر مقاومة يكاد يمحو بها ذلك المنشور ومتى خرج ونودي للتصديق أجاب بالسمع والطاعة والانقياد ومدح وأظهر الاستحسان . فهذا المدعي لايرى حريته الا في خلوته وبطون صحفه وذاعين ما استنتجناه اولاً وحكمنا به على استحالة وجود مدلول للحرية المطلقة مادام الانسان مختلطاً بمن له غرض ذاتي كما نحكم باستحالة تجرد الانسان من صاحب الغرض الذاتي فانه من نوعه والنوع قاض بحدوثه كلما تجدد النسل في الوجود وميز اللذة

فلم يبق الا البحث في الحرية المجازية وهي وقوف الانسان عند حده ومعرفته حقاً لنفسه يطالب به وواجباً لغيره يؤديه

وهـذه الحرية لاينالها الا أمة تهذبت وتربت على محاسن الاخلاق وعرفت معنى الانسانية وحق المدنية وقدر الوطنية وواجب الانتظام فان الانسان اذا جهل الحقوق تهوّر وخرج عن الحد وكدّر الراحة واذل جنسه وخرب وطنه وعرض نفسه للتهلكة من حيث يرى انه يسعى خلف الوطنية والعمار باوهاومه الفاسـدة والامم على اختلافها وكثرة تعدادها لم يتم لواحدة منها الفراغ من تهذيب كل الافراد فهي تسعى في طريق التقدم بتعميم التعليم وتنوير الافكار لتحظى بالتساوي المطلق الذي لايتيسر وجوده الا بعـد علم كل فرد بالقانون وترافعه بنفسه بحيث يكون حكم القاضي تنفيذاً لما ينطق به المترافع من أحكام القانون وهذا لايضمنه الا القرن الخمسون ان سلمت الافكار وعمت المعارف وبطلت الحروب

ونظام الامم وحفظ وحدة الوجود يقضي ببقاء الحال على ماهي عليـه حتى يتم تهذيب الخلق ووقوف كل عندحدوده اذ ذاك يجوز اطلاق الحرية المجازية على الانسان وتصدق عليه حكمة (حر الكلام كلام الحر)

﴿ اتبع الحق وان عز عليك ظهوره ﴾

﴿ أي زمان ﴾

حدثني عن الارواح التي زارتك وكيف كانت نشأتها فقد رجعنا في تصفح تاريخك الى حد وقفت فيه العقول فأخذت بالقياس والتخمين ولم نر غير انسان يقطع عمرك بفناء اجزائه فهو يختط البلاد ويبني البنيان ويغرس الوديان ويركب البحار ويسعى في غنيمة يكسبها ولذة يحصلها وغرض يقضيه وكلها ترجع لمثيله فتراه يريد الغنيمة ولا يجد لها غير قتل اخيه سبيلاً ويميل للذة ولا يحصلها الا بجعل عرض اخيه طريقاً يشتم ولكن مثله ويضرب ولكن جنسه ويقتل ولكن قرينه فهو القاتل والمقتول والناهب والمنهوب والسالب والمسلوب والعائب والمعيب يرى اللقمة في يده غذاء لجوفه ولا يعلم انه يجوع يوماً ما فلا يجدها ويسعى في اهلاك اخيه ولا يدري انه ربما نجا واهلكه سعيه وقد اختلفت طباعه وتعددت مساكنه وكثرت لغاته وتباينت معتقداته فسمى المذهب واللغـة والوطنية والجنسية وتعصب لكل منها بحسب ما تدعو اليه اغراضه فانتج هذا التشيع وجود العداوة التي تحسن لضارب الرصاص اطلاقه من غير خوف ولا جزع ولا أسف فانه يعد نفسه قسما غير من جعله

غرضاً لناره وبهذه العداوة تسمت الممالك وخططت وحددت وحصنت واصبح كل يدافع عن مملكته بروحه وماله وما بالوجود غير انسان واحد

فيا زمان أكان انسانك الاول عدو نفسه يطعمها حيناً ويجيعها زمناً ويضربها وقتاً ويريحها آونة حتى نبت بذره بهذا الغرس المتماثل مع الاهواء ام كان محباً لذاته محافظاً على حياته مجتهداً في نمو قوته وتأييد سطوته ونحن ننتسب اليه بالصورة ونباينه بالطباع . كم قتيل كتبته في دفتر وجودك ممن ذاق المنون من المظلومين . كم مشرّد قيدته عندك ممن او غرت عليهم الصدور ظلماً وهم لا يشعرون . كم امناء اهينوا بالاوهام وما هم من الخائنين . كم حكماء تسلط عليهم الاغبياء فحجرت عليهم افكار تهدي العالمين . كم علماء هزأ بهم الجهال فماتوا وفي صدورهم هدى للمتقين . كم امة كانت آمنة مطمئنة فاصبحت من الهالكين . كم فئة اتحدت قلوباً ففسدت بلسان غوي مبين . لا تقل ادواري تقضي عليهم بهذا التفاني وانت تعلم ان الآجال مقدرة فلو صبر القاتل على المقتول لحظة لمات ولكنه ابى الا ارتكاب الاثم واتباع الاغراض فسفك الدماء وهتك الاعراض وسلب الحقوق وغرس العدوان واوغر الصدور وارجف القلوب وهو في سعيه من الفرحين . اهذا هو الانسان ام العين تبصر شكلاً كشكله وهو غير مشاهد فانا نجيل الطرف فلا نجد الا اكفاء وامثالا . ام الانسان اسم غصبناه وادعاه كل ذي قوام عمودي والا بان كنا هو فما بالنا نسعى فيما يضر بهذه البنية الشريفة ونجتهد في اعدامها هل الارواح تغتنم فيأخذ الساعي روح اخيه لتكون مع روحه في جسمه ام الاعمار تورث ولكل ساع في هلاك أخيه ما بقي من عمره . ولمن وجدت الشرائع اذا لم يتقيد بها الانسان اين الخوف من النار ونحن نتفكه بالغيبة ونتسلى بالمفتريات اين الرهبة من النقمة ونحن نهجم على المعاصي هجوم العاشق لها . اين الخوف على النعم ونحن مغرورون بما بايدينا مع العلم بان السلب اقرب من الايجاب . اين الطمع فيما عند الله اذا اتحد رجال على ايذاء رجل . اين الرغبة في النعيم الابدي اذا جعلنا الحب وسيلة للشر . اين السعي في الطاعات اذا كانت الاساءة منتهى الآمال . اين الصدق اذا كذبنا لانفاذ غرضنا . اين الحق اذا ركبنا الباطل اجابة للنفس في طلبها . اين الاخاء اذا تسلطنا على بعضنا بالالسن والسعاية . اين الانسانية اذا اجتمع الاقوياء على ضعيف . اين الفضيلة اذا كان للنقيصة عندنا شأن عظيم . اين العقول اذا لعبت بها الاهواء

الا يحسن بهذا النوع الشريف ان يسلك طريق الحق ويدع هوى النفس ايليق بي وانا من الانسان ان اصحب واحداً اتسلى بالفاظه واطرب بكلماته واسر بمفاكهته واقتبس منه ما اهتدي به في ظلمات اغراضي واروي عنه ما تتنور به افكاري وارى منه اشكالاً وغرائب واتمدح به في كل مكان وافاخر به كل انسان واتيه بوجوده في ارضي وافضله على السابقين من امثاله واسير معه في كل طريق سار فيه واحسن كل عمل يأتيه واساعده على كل مهمة يطلبها ونازلة يدفعها وهو يذكر لي من المحاسن ما

يسمو

يسمو به قدري ويعلو شأني ويثني علي بما يخلدلي ذكرا جميلا ثم بعد هذا الغرام والشغف والالتصاق والمصافاة اقطع حبل وده بسعاية وابغضه بدسيسة محتال واهجوه اليوم بما كنت ابرئه منه امس واذمه بما كنت ادفعه عنه وارميه بما لو اتصف به لدنس مجدي وقذر شرفي واسعى في نفور القلوب منه بعد ان كنت اجمعها عليه

ولو تأنيت في الامر واخذته بالحكمة لظهر المفسد من بيننا ظهور الشمس فصفعناه وأخذنا حذرنا من مثله والا فان غضي بالاوهام وتصديقي من عرفت كذبهم واختبرت مفترياتهم وكانت لهم عندي سابقة السوء ليس من الحكمة ولكن اذا ملئت الآذان بمفتريات كدرت النفوس وحولت القلوب وزحزحت العقول ولا ينزعها التنصل ولا يدفعها الاعتراف فالاولى لمن سلطت عليه السن ذي الغايات ان يستسلم للقضاء ويلزم الوحدة حتي يصل الى احدى الغايتين اما ظهور الحقيقة وتحقيق براءته والاعتذار اليه واما تمكن السعاة من اساءته وذهابه شهيد الغايات او اسير المفتريات. وعار على شيوخ جربت الزمن ان تحل عروة الاتحاد بسعاية من تعددت مساعيه الشرية وبعده منها ايام الاصلاح وتملقه اليها زمن فتنته . ولكن لكل باغ مصرع ولكل ساع مقصد . فيا ايها الانسان صوّر الحق بين عينيك وغالب نفسك فما الجهاد الا جهاد النفس والزامها طريقة الاعتدال وردها عما يحدثه الغضب من فرية نمام او اكاذيب ذي غرض ولا تطلق لها العنان الا في الخير ولا تساعدها الا على الاحسان ولا تأخذ الامور بظواهرها واتبع الحق وان عز عليك ظهوره

« ألسن الخطباء تحيي وتميت »

حكمة اذا عقلت معناها وقفت على سر الخطابة وحكمة حدوثها وعلمت انها للعقول بمنزلة الغذاء للبدن وكانت الخطابة في الاعصر الخالية غير معلومة الا في أمتي العرب واليونان فكانت ساحتها في جزيرة العرب عكاظاً ومنابرها ظهور الابل . وهذه الساحة كانت معرضاً للافكار تجتمع فيه الخطباء والبلغاء والشعراء وأمم كثيرة من المجاورة للجزيرة فيرقى الخطيب ظهر ناقته ويشير بطرف ردائه وينثر على الاسماع درراً وبدائع ثم يباريه آخر ويعارضه غيره فتتضارب الافكار وتنتبه الاذهان وتحيا الهمم وتحرك الدماء ويرجع كبار القبائل وأمراؤها لما يشير اليه الخطيب ان صلحاً وان حرباً . ولم يقتصروا في خطاباتهم على مسائل الحرب والصلح بل كانوا يخوضون بحار الافكار فلا يتركون ملمة الا شرحوها ولا يذرون فضيلة الا حثوا عليها حتى انهم كانوا يحفظون أسماء الحكماء منهم

وأهل المآثر فيذكرونهم في كل علم في هذا المعرض احياء لتذكارهم وتخليداً لاسمائهم لئلا يجهل الآتي سيرة الماضي فتفتر الهمم وتخمد الدماء وتتغير الطباع. وفي غير المعرض كان كل متكلم خطيباً في ناديه يحض ويحذر ويحرض ويحمس ويأمر وينهى واذا نابهم أمر رجعوا الى كبار القبائل ومشايخها وتذاكروا فيه مذاكرة النبهاء وسلموا أفكارهم لحكم الشورى ليظهر من سر الاجتماع وهيئة الاتحاد رأي يحكم للجميع سطوتهم ويقوي استقلالهم ويزيد في نفوذهم فاذا نشر على عامة القوم رأيتهم سراعاً لسماع الحكم طائعين لما أبدته حكمة الاجتماع لا طاعنين ولا مقترحين أمراً فان كان الاجتماع لرد باغ رأيته أطوع للامة من القلم للكاتب وان كان الحكم باعدامه واخماد انفاسه. وان كان لجمع سلاح وكراع واعداد افراس ورماح رأيت الغني المتبرع بنصف ماله والكريم المتفضل بحلبة افراسه والمثري المهدي مايمتلكه والشجاع المبيح لدمه والفارس البائع لحياته والقوي الواهب نفسه للخدمة والشاب المعرض نفسه للهلكات والشيخ الناصح والكهل الواعظ والطفل الفرح والشابة المغنية بحماية الحي وحفظه والعجوز المنادية بذكر الاجداد وثأر الآباء والاماء القائمة باعداد العقاقير ورفائد الجراح والعبيد المجدة في طلب الابل وجمعها في مرابدها والشيوخ القائمين بتدبير الاحياء وترتيب الفرسان والخطباء المنبثين في البيوت والصحارى والفيافي يخطبون الشارد ويردون الصادر بكلمات تكاد تزهق بها روح الجبان وتطير بسرها روح الشجاع طرباً باللفظ وحباً للكر والفر والدفاع

وبهذا كانت العرب منيعة المقام كالعنقاء التي تكبر ان تصاد حتى هابتها الامم واتخذتها الملوك وقاية في مقدمة جيوشها تتقي بها الاعداء وتلتقي عليها النصال وتقصف في اقدامها السهام وتثلم في دروعها السيوف لما علموه من صفاء دمها الذي اذا تحرك انتفخت به العروق وتورمت منه الاوداج فلا يسكن الا بعزة لا يعقبها ذلة ومنعة لا يلحقها خضوع وشرف لاتدنسه وضاعة. ولو تركتهم الخطباء للتخاذل والتحاسد لماتت هممهم وخمدت حميتهم ولعبت بهم الاهواء وتمكنت منهم الضعفاء وأصبحوا اذلاء في الامم لايدركون المجد ولا يعرفون لشرف النفوس سبيلاً

وقد استمرت الخطابة في العرب دهوراً لايجتمعون الا عليها ولا يجلون الا أهلها ولا

يعظمون

يعظمون الا العاملين بها ولا يخضعون الا لمتبعها القائم بحفظ الامة وصيانة اعراضها وأراضيها حتى جاء الاسلام وفرضت الخطبة للجمعة لامر تغيب عن كثير من الناس حكمته وسره البديع ونحن نذكره قياماً بحق خدمة الامة والوطن والدين تنبيهاً لافكار السامعين وتحريضاً للخطباء على سلوك طريق النصح وسبيل الخلفاء والعمال الذين ملأوا الوجود بآدابهم ومبتكرات معانيهم وحسن نصائحهم ومواعظهم

لما كان نظام الاجتماع موقوفاً على وحدة الائتلاف ووقوف الامة على حقوقها وحدودها ولا يتمكن الفرد بنفسه من فهم البعيد عنه او الخفي عليه الا بمرشد متضلع عالم متقلب في حوادث الزمان ووقائع الرجال والامة ليست جميعها من صنف العلماء ولا كلها من رجال الكلام ولا أغلبها من أهل السياسة ولا اجلها من أرباب الاقلام لتشكيلها من عالم مختلف الاغراض متباين الطباع فرضت الخطبة ليقف الخطيب بين قومه موقفة الخليفة الآمر الناهي فيقص على الرعية ما فعله من الجميل وما قام به من الاعمال وما ورد عليه من الاخبار وما يحذره من الطوارق وما يرجوه من الاصلاح ويشرح لهم حال من بعد عنهم من اخوانهم المؤمنين وما نزل بهم من النوازل الجوية والحوادث الارضية وما غنموه من انفال الفتح وغنائم الانتصار لتكون الامة على علم باحوالها في سائر بلادها وفي هذا من النصح والوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا ينكره الا مقيد بديوان او مربوط في بعض وريقات صنفها غيره

ومن طالع خطب الخلفاء والعمال وعلم ما كان يحدث في الامة من الغيرة والحمية عند دعوة الحرب او زيادة الجند او رفد الحكومة بمال وقف على سر الخطابة وحكمة فرضيتها فان المتقدمين ما نزل بهم أمر الا خطبوا به حتى انهم كانوا يرثون شهداء الحرب على المنابر وبهذا كانت الامة في نمو وزيادة فتوح وقوة بأس وناهيك بامة تجتمع كل اسبوع في ساعة واحدة في سائر انحاء بلادها وتسمع من حوادثها وغوامض سياسة خلفائها ما يقف به كل فرد فرد على احوال الامة وسيرها وتقدمها ونجاحها حتى اذا كان الجيش مقيماً في بلاد الروم ويخطب بحوادثه في جزيرة العرب تتوالى عليه الامداد وتتلاحق به الفرسان وبينه وبينهم براري وفدافد لا تقطع الا بايام أو أشهر ولقد انكروا على سيدنا

عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله ياسارية الجبل وهو على المنبر في خطبة الجمعة ولم يعلموا سرها الا بعد ان حضر سارية من غزوته وقص عليهم خبره فعلموا ان الخليفة كان يخطب وهو ناظر للحاضرين بعين بصره وللغائبين بعين بصيرته فهو يأمر السامعين بالاخلاص والاتحاد ويشير للغائبين بالالتجاء الى الجبل واسناد ظهرهم اليه ليقاتلهم العدو من وجهة واحدة

ولا يغيب عن قراء التاريخ خطبته السياسية التي قال في آخرها من رأى منكم فيَّ اعوجاجاً فليقومه فقام له أحد رعاء الشاة وقال له لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا . وهذه حالة تدل المطالع على حرية أمير المؤمنين وسيره في طريق العدل الذي حفظ له قلوب الامة وطهر بواطنهم من الحقد عليه أو الطعن فيه . وقيام هذا الراعي للرد على أمير المؤمنين دليل على تمكن الاستقامة من الرعية وبعدهم عن الذل والخوف والرعب وميلهم لقول الحق في مجلس الامير والحقير وشاهد على وقوف الامة عند حدودها وحقوقها وحفظها النظام العام بعدم الخروج عن الحد أو ارتكاب ما يخدش الدين أو يضعف عصبية الاجتماع الملي

وكان من عادة الخلفاء اذا وفد عليهم خطيب من بلاد بعيدة عقدوا له محفلاً ودعوا الامة لشهوده فيرقى الخطيب المنبر ويقص على الامة مالاقاه في رحلته وما علمه من اخلاق الامم وما فيهم من الصفات وما هم عليه من أحوال الملك ومالهم من الاعمال ومن فيهم من الرجال وطباع الشعوب وكيفية الاحكام وحالة الاجتماع وهيئة الفرسان ووظائف العمال وسعي الافراد لتقف الامة على احوال العالم وما هو عليه فيغنم الحاكم الاعلى من هذه الخطبة ظهور رجال يضارعون من سمعوا سيرتهم وعلماء يباهون من وقفوا على أعمالهم وحكماء يبارون من علموا أخبارهم واشغالهم فتزداد بذلك ثروته المالية وتحيا كلمته الوطنية وتقوى سلطته الملكية ويتسع نطاق العلم في بلاده واقطاره وهذا الذي اوصل الوجود الى العمران والتقدم في الصناعة والعلوم

ولم تكن الخطابة قاصرة على ذكر الموت والزهد والتحذير من الدنيا وزخرفها بل كانت الخطابة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء تتضمن الحوادث واخبار الامة

ولا

ولا يقتصر فيها على الوعد والوعيد الا اذا كان الاسبوع خالياً من الحوادث الجديدة والامور المهمة. وما نقل الخطابة من موضوعها الا الملوك المستبدون من بني امية وغيرهم فانهم لما علموا ان الناس تزدحم يوم الجمعة لاداء الفريضة وسماع الحوادث في الخطابة تواطأوا مع بعض الخطباء على ذكر الموت والزام الامة بالطاعة والخضوع والتحذير من الخروج على الحاكم او مخالفته ليميتوا بذلك ثورة النفوس التي تحدثها المظالم ويحركها البغي وتوالت من بعدهم اعصار وكلما ظهر ملك شديد الاستبداد زاد الخطباء في التخويف والارهاب فان الخطابة كانت في الامة بمنزلة جرائد الاخبار فترى المملكة العادلة تبيح حرية المطبوعات لتطلق عنان الافكار ومن خرج عن حده او رمى الحكومة بما ليس فيها حاكمته وعاقبته. والحكومة المستبدة تحجر على الجرائد حجر المتقدمين على الخطباء فلا ينشر فيها الا ما ترضاه من المدائح وتحسين اعمالها من غير نظر لمصلحة الامة ولا للمنفعة العامة لتكون امتها تائهة في ظلمات الجهالة لا تهتدي لصالحها ولا تعلم من امرها الا ما يضر بها

وكان الخطباء في صدر الاسلام يخطبون ارتجالاً لتمكنهم من اللغة وعدم فساد ملكتهم العربية بدخيل اجنبي فيها اذ كانت اللغة محفوظة لا يحتاج الطفل الى تمرينه عليها الا لبعض المحفوظ من كلام العرب يقيم به لسانه فلما كثر الاختلاط وامتزجت ملكة القوم بكثير من اللغات وبعض المصطلحات عز على الناس ان يأتوا بالخطابة ارتجالاً واحتاجوا لاعداد بعض الخطب ليكون الخطيب مقيداً يلقيها على القوم كما يلقي الطفل درسه على معلمه بحيث لو وقف في كلمة ضاع منه ما بعدها لكونها ليست من ملكته ولا انشائه ثم زاد الامر بتولي بعض القراء أمر الخطابة فتراه يصحح الخطبة على نحوي ليتلوها معربة على الناس من باب حكاية الاصوات. وبعض خطباء الارياف يحفظ الخطبة في الديوان بحسب ما يتصور فلا تفقه لخطبته معنى لما تراه من خبطه في الالفاظ وهذره بما يظنه صحيحاً ولقد سمعت الكثير من هذا القبيل وعجبت من الجهالة العمياء

ومن نظر لهذا الموضوع الجليل بعين الاعتبار علم ان هيئتنا الحديثة وسير مليكنا التقي القائم بامر الدين المحافظ على راحة الامة يقضيان علينا بتغيير كثير من الامور المهمة

العامة في الامة ومن أهمها الآن الخطابة فان الامية كثيرة في بلادنا متغلبة على السواد الاعظم منا ولو كانت الامة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجرائد ولكن مطالعو الجرائد عدد قليل محصور في دفاتر المحررين والاميون في ظلمات الجهالة قد ضرب بينهم وبين مايقدمهم بسور لاباب له فترى الرجل يجهل حالة المديرية المجاورة لبلاده ولا يعرف بعض بلاد قطره الا سماعاً من الناس وهذا لايناسب اخلاق أمة انتشرت فيها العلوم وتعددت فيها المدارس فان فساد اخلاق الآباء يضر بالابناء وربما غلبت أخلاق ابويه على معارفه وآدابه فلوكان الولد في المدرسة وأبوه متنوراً بالخطابة سارت الامة الى التقدم على جناح السرعة وتأيدت سطوة الحاكم تأيداً عظيماً على اننا نرى الكثير من الناس ترك الصلاة أو تكاسل عنها فاذا علم ان الخطابة مشتملة على كثير من الحوادث والاخبار قاده حب تطلع الاخبار للزوم الجماعة وحب المساجد والطاعة وامتلأت المساجد بالمصلين

وأودّ وجود نفر من اعيان بلادنا يتبرعون بمبلغ يقوم بنشر خطب أدبية سياسية وأنا اقوم بانشاء خطبة في كل اسبوع تناسب احوال الزمان ثم تطبع هذه الخطبة وتنشر في سائر انحاء القطر لتنتبه الافكار وتعرف الامة قدرها وما تحفظ به نظامها بين الامم ولا يتم هذا الامر الا اذا اجتمع هؤلاء الاعيان وعرضوا ذلك لديوان الاوقاف ليتمكنوا من العمل بالخطبة وما أظن ان احدا يأبى هذا السعي الجليل مع تمتعنا برعاية مليك تقي يسره وقاية الدين من سقطات الجهلاء وحفظ المملكة بافكار رجاله وافراد رعيته

وأرى ان بعض الخطباء اذا سمع ذلك قال خطأ مشهور خير من صواب مهجور او القديم على قدمه اولا نغير أمراً جرى عليه اسلافنا أو غير ذلك من كلمات العجز والفاظ التمحل . ولكني لا اتركه يبيت الليل يسود ويبيض في اعتراض عليّ او في رد ينمقه ويزينه بألفاظ مجموعة من اوراق وانما اقول له طالع كتب الفقه واعرف منها شروط الخطبة وقابلها بما أنشره فان رأيتها منطبقة عليها فقد كفيتك التعب والسهر في كتابة الاعتراض وان وجدتها خارجة عن حدود الخطبة وشروطها ففصل أوراق خطبي ثوباً والبسني اياه ودر بي في الاسواق مشنعاً عليّ بما تراه على اني لا اتركه يتململ حتى

يرى تلك الخطب فيطول عليه الزمن ويؤلمه الانتظار وانما اقرب له الامر بانشاء خطبة في هذا العدد تكون نموذجاً لما ساعده من الخطب وان كانت محررة بلسان الجريدة وقلم السرعة لامنمقة ولا محلاة بشيء من البديع واني أعرضها على سادتي العلماء واخواني النبهاء لاقف على أفكارهم في هـذا المشرب الذي لاتغيب عنهم ثمرته ولعلي اكون رأيت الصواب وسعيت في الواجب فاعد من خدمة الدين والدنيا وقادة الامة للعليا فانى حليف لغتهم وابن بلادهم واخوهم في الدين الحنيفي والملة السمحاء خلد الله دعوتها

﴿ الخطبة ﴾

رب البيت العظيم له الحمد على نعمه . وميسر الخلق لماشاء له الشكر على كرمه ، نحمده حمد من تلي عليه الموحى به فسمعه . ورأي نور الهداية ساطعاً قتبعه . ونصلي ونسلم على غارس شجر الاتحاد في قلوب المؤمنين . سيدنا محمد الذي أرسله رحمة للعالمين . وعلى آله وأصحابه الذين جمع الله بهم الشتات. وأنزل في صفاتهم الحميدة آيات. عباد الله . ان لكل أمة كلمة تجمعها . وسيرة تسمعها. وكلمتنا الوحيدة حسن الاعتقاد . وسيرتنا حفظ الملة والبلاد . وقد تأسست كلمتنا بالاتحاد واللين . والقيام بما جاء به هذا الدين . من ترك العقوق: وحفظ الحقوق . والبعد عن الظلم والبغي . والتطهر من الرجس والغي . والحث على الائتلاف . والتحذير من الاختلاف . وقد دخل معنا من أهل الذمة من تعلمون . وصاروا اخواننا في الوطنية وهم مسالمون . وانتم تعلمون مانزل به الوحي من السماء وما أهريق في نشره من الدماء . حتى بلغنا السعود . وصرنا أمة عظيمة في الوجود. ولولا تفرق الكلمة ما انحل عقد اجتماعنا . ولا خرج علينا أحد من اتباعنا . ولا ضعفت منا الهمم . حتى تلاعبت بنا الامم . وأصبحنا ميداناً تجول فيه الافكار . وناطقا اشتد عليه الانكار . كاننا لسنا أسود الشرق الضاريه . ولا نجوم الهدى الساريه . صدق المرجفون فقد طال الزمن . وتغيرت الدمن . وأصبح العدو يطالبنا بثار اجداده . ويوغر علينا صدور انداده . ويتحدث بنا في كل ناد . وينشر عيوبنا في البلاد . ونحن لاتتأثر من التنديد . ولا نتحرك من التهديد . ولا نأخذ حذرنا من الاعداء . ولا تتأمل في خطوب الاعتداء . تأتينا أخبار البرق باغتيال اخواننا ونحن عن أنفسنا لاهون . ونقص علينا

الجرائد أخبار مجاورينا ونحن عن العاقبة غافلون . مالنا لانكون عضداً لمليكنا الاعظم . وحصنا يحفظه اذا ليل الخطوب أظلم . أترون الدول ترحمكم اذا ملكتكم . او تبكي عليكم اذا أهلكتكم . أو تعاملكم بالرفق واللين . او تحفظ لكم نظام الدين . كلاّ والله ماهي الا اسود ان دهمت احترست . وان تمكنت افترست . وان ملكت أساءت السيره . وان جاورت لم تحفظ الجيره . وان تداخلت احتالت . وان رأت غرة اغتالت . لاترانا الا بعين العدوان . ولا تعدنا معها من الانسان . يدلنا على هذا من فتح لهم من اخوانكم غار . فسقطوا فيه على أمة البلغار . فهي تكرههم على ترك الدين . وتقتل المؤذنين امام المصلين . ولقد أقاموا قروناً في ذمتنا . وعصوراً وهم تحت سطوتنا . ولم يروا منا الا الاحسان . وعدم التعرض للاديان . وهؤلاء اخوانكم في الغرب . يصطلون بنيران الحرب . على غير ذنب ولا جنايه . وانما هي النهاية ترد الى البدايه . فمن يرى هذا التعصب في مدته . ويرضى بالخروج عن أهل ملته . او يميل بجانبه للحمايه . ويتخذ مليكاً غير مليكه وقايه . فاستميتوا رحمكم الله في حفظ البلاد . ودعوا التنافر والزموا الاتحاد . واجعلوا خديويكم علماً يهتدي بنوره . وقطركم حصناً يحتمى بسوره . ولا تغمضوا عن كيد الاعادي عينا . ولا تهابوا في حفظ الاوطان حينا . والزموا السكينة في حركاتكم . ولا تسعوا في تنغيص حياتكم . ولا تجلبوا على الامة بالتهور شراً . ولا تحدثوا في البلاد كراً ولا فراً . واحفظوا للنزلاء حقوق تجارتهم . واسمعوا في المجالس حسن عبارتهم . ولا تأكلوا لتاجر مالا . ولا تسيئوا لاجنبي حالا . وعاملوا جميع السكان بالاحسان والرفق والحلم . ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم

قال صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً او كما قال

(منثورات من شعره) فنقل النفس من معنى لمعنى * كنقل الورد من غصن لجاني

ثبت هنا مابقي في الذاكرة من قوله في تخميس قصيدة للعلامة المرحوم الشيخ الشبراوي

شقوتي في الحب عنوان الرشاد * والجوى حظي ولذاتي السهاد * لاتلم صباً بغالي الدمع جاد
ان وجدي كل يوم في ازدياد * والهوى يأتي على غير المراد

نزهة الولهان في حال النوى * سقمه والنوح مادام الجوى * قدسباني تيه ظبي اللوى

ياعذولي لاتلمني في الهوى * ليس لي مما قضاه الله راد
ليس لي في الحب يوماً منصف * أعيني كاسي ودمعي قرقف * مغرم بالغيد قلبي مدنف
منتهى الآمال عندي أهيف * وجفون زانها ذاك السواد
وقدود قاتلات جهرة * وجبين قد ارانا طرة * وشفاه قد سقتنا خمرة
وخدود تتلظى حمرة * ودلال قد نفى عني الرقاد
انني المضنى فمن يعدلني * والهوى فني فمن يفضلني * لم أجئ فيه بما يخجلني
ان ذنبي عند من يعذلني * ان قلبي في الهوى لورد عاد
ضاع قلبي هل له من منشد * ضل عقلي هل له من مرشد * كم انادي في صباحي وغد
ياأهيل الود هل من منجد * هل سلا الاحباب ذو وجد وساد
سادتي ان لم يمنوا باللقا * مت وجداً ولهم طول البقا * لا تقولوا وجده عين الشقا
انا ان لم أهو غزلان النقا * اي فرق بين قلبي والجماد

قصيدة من رواية الوطن التي مثلها بحضور المغفور له افندينا توفيق باشا بالاسكندرية

انوار عدلك تهدي حي نادينا * وحسن سيرك للعيا ينادينا
لكننا في طريق ضل سالكه * فمن يدل الى الحسني ويهدينا
افتية ساءهم انصاف سيدنا * فاستقبحوا العدل والاحسان والدينا
كنا نناجي بالفاظ تقربنا * صرنا ننادى بدينار يفادينا
وكان يمشي على الديباج سافلنا * فصار يمشي على النيران عالينا
هل في القصور رجال غير من عظموا * بما لدينا وكانوا من موالينا
او في الديار أناس غير من وفدوا * من القفار فصاروا في مبانينا
هذي معالمنا تبكي وتنشدنا * قول ابن زيدون اذقامت تعزينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
لواننا مثل أهل الارض في هممٍ * ماقام يندبنا أحيا مغنينا
قل للنفوس التي ماتت بلا اجل * أين القلوب التي كانت تجارينا
أين الشيوخ الأُلى ساروا وسيرتهم * مسك ذكي يباهي مسك دارينا

اين العلوم التي كانت توصلنا * باب السعود فصارت من أعادينا
اين الصنائع أين العارفون بها * أين الديار التي كانت لاهلينا
كانت وكانوا وصار الكل في عدم * وستعبدتنا بما نهوى أمانينا
نمشي حفاة على شوك القتادفلا * يؤذي النفوس وكان الخز يؤذينا
استودع الله قوماً كان طبعهم * يبدي لك الحالتين البأس واللينا
شدّوا الجياد وجابوا كل بادية * كي يعمروها فعموا الارض تمدينا
وسيروا الحق في الآفاق أجمعها * فاستحسنته ونادتهم سلاطينا
واستخلفونا فكنا شرمن ورثوا * اذ لم نحافظ على ملك بأيدينا
اذا سمعنا خطيباً ذاكرا حكماً * قلنا له عزة الآباء تكفينا
لا نشتري المدح لوجاءت به فئة * من السماء فان الذم يرضينا
وليتنا اذ رضينا هجو أنفسنا * نستحسن البعد عما يوهن الدينا
ماذا ترى في أناس لو تقربهم * الى العلا بعدوا مما يرقينا
ما خالفوك ولكن خالفوا شرفاً * لم يعرفوا قدره ممن يولينا
فاجمع من القوم من ترضي خلائقه * واجعل لكل من الاعضا قوانينا
وشدد الامر حتى لا يضيع سدى * واجعل زمامك فيه العدل واللينا
وطهر القطر ممن طبعه شره * وخائن يحرق المأوى ويشوينا
وكن لاهل الوفا حصنا وملتجأً * وكن لاهل الهوى سيفاً وسكينا
واجعل رياضك للافكار منتزهاً * وسس بعزمك قاصينا ودانينا
فالفخر يحسن من سامي المقام لدى * مبارك فهمه يبديه تبيينا
ولا يسابر ارباب الفنون سوى * عليّ قدر يجل العلم تدوينا
والله يحفظ بالتوفيق دولتنا * ويرحم الله عبداً قال آمينا

---

(١) في هذه الايات اشارة الى رجال الوزارة في ذاك العهد وهم دولة رياض باشا وأصحاب السعادة فخري باشا ومحمود باشا سامي والمرحومين على مبارك باشا وقدري باشا ومحمود باشا فهمي

(٢) هذا هو المجلد الاول وقريباً ينتهي المجلدان الاخيران ان شاء الله